رسالة عقائدية

تأليف

السيد أبو القاسم الديباجي

رسالة عقائدية

تأليف

السيد ابو القاسم الديباجي

اسم الكتاب :	رسالة عقائدية
المؤلـف :	السيّد أبو القاسم الدياجي
الناشـر :	المـؤلف
الطبعـة :	الأولى
المطبعة :	ياران
الكميـة :	٢٠٠٠

الإهداء

الىٰ القرابين المجزَّرة على مذبح الولاية ، والذّابين عن الدِّين وحريمه بأرواحهم النقية الطاهرة .

الى الذين امتطوا ناصية الشهادة بشوق ولهفة أُسوة بجدِّهم الحسين عليه السلام سيِّد الشهداء .

الى أخي الاكبر ، وأُستاذي الْأَوّل ، حجة الاسلام والمسلمين السيّد أحمد الديباجي ، الذي كان من أوائل العلماء الذين ضُرِّجوا بدمائهم في بداية الثورة الاسلامية المباركة .

والى ولديه الشهيدين معه محمّد الديباجي ، وعلي الديباجي .

والى أخي الاصغر ، وتلميذي الْأَنجب ، والثمرة الطيِّبة التي تعهدّتُها بالرعاية والتوجيه والتهذيب ، السيّد مرتضى الديباجي ، الذي أُستشهد في جبهات الحقّ دفاعاً عن الاسلام وثورته المباركة في ايران .

لهذه الكوكبة الطاهرة من الشهداء ، ولكلِّ الشهداء الذين لم يترددوا في تقديم أرواحهم فداءاً وتضحية لهذا الدِّين العظيم أُهدي هذا الجهد المتواضع .

المؤلف

بســم الله الرحمٰـن الرحــيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمّد وعلى اهل بيته الطيبيـن الطاهريـن :

أمّا بعـد:

فالحق يقـال : ان الاستقـراء المتـأمـل لمجمـل الكتـابات المترادفة والمتعاقبة التي تنصب بالذات حول عقائد الشيعة الامامية وافكارهم ، والتي تحـاول جاهدة ان تنال ولو شيئاً ما من هذا البنيان الراسخ والمتين ، يبين بوضوح لا يقبل الشك ان تلك الكتابات لم تكن في حد ذاتها الا ردود افعال غير مبنية على ارض الواقع ، أو انعكاسات غير مدروسة لمدارس منحرفة ، وذلك لان المرء يجد بوضوح سقم وعدم موضوعية ما كتب وما قيل ، وعدم قدرته على مواجهة الحقائق الواضحة والمعلنة ، والتي لا ينفك علماء الشيعة من تكرارها وايضـاحهـا مرات ومـرات ، رداً للشبهـات المثـارة ، أو مناقشة ، ودراسة في مجمل مؤلفاتهم التي تغص بها المكتبة الاسلامية ، والتي هي بمتناول

الجميع .

بلى ان هذه هي حقيقة الحال حول ما كتب عبر الحقب الماضية من مؤلفات لم ينفق مؤلفوها في تبيّن حقيقة ما كتبوه ولا اي قدر من الجهد والبحث، مستثنياً من قولي هذا اولئك المنحرفين الذين لا ينفكون من الكيد بالاسلام واهله، مستخدمين حراب الدين في طعن جسد هذه الأُمة التي ذاقت الامرّين من هذه الفئة الفاسدة، التي لا ترعوي أمام كلمة الحق، ولا تخشى يوم الحساب .

كذا كان الامر فيما مضى من الازمنة الغابرة، وقد تصدى لابطال دعاواها جملة واسعة من علماء هذه الطائفة ومفكريها، من خلال نقاش علمي رصين، وبحوث منطقية شاملة، فلم يستطع اولئك الكتّاب أو المؤلفين امام هذه الحقائق الاّ الاقرار بالعجز أو الاعتراف بالخطأ والوقوع في الشبهة .

ولقد مضى على ذلك دهر طويل خبت فيه الى حد ما تلك التقولات المردودة والسقيمة، وبدأ المسلمون وعلماؤهم المخلصون في التفكير الجدي والمخلص من اجل الالتقاء والنقاش وصولاً الى ارساء دعائم الوحدة الاسلامية التي هي طلبة كل مؤمن غيور على دينه، يدرك بشكل عقلائي حجم الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الاسلام واهله من قبل الدوائر اليهودية والصليبية والمراكز الالحادية ذات المصالح المشتركة .

ولقد شهد العالم الاسلامي بالفعل قدراً محسوساً من هذا التفاهم المبارك والالتقاء الخيِّر، وبدأ المسلمون يأملون قطف ثمار هذه الشجرة الوارفة الضلال والكثيرة الخير.

هذا من جانب ومن جانب آخر فقد شهد العالم هزات متلاحقة وقوية متعاطفة مع الاسلام، ومع عقائده المباركة، بشكل اقلق تلك الدوائر الالحادية والكافرة، مما دفعها الى اعادة النظر في مواقفها وتعاملها مع

الاسلام واهله، وبدات في إعداد حملة متعددة الجوانب من الخطط الخبيثة التي تنصب حول الهدف الاساسي الذي يمكن لها من خلاله استرداد انفاسها المضطربة نتيجة حالة الاندفاع الرهيب والمتصاعد نحو التعاطف مع الاسلام والايمان به، والتي تتركز أساساً حول اثارة الفرقة بين الفرق الاسلامية بشكل حاد، من خلال استخدامها لجملة من المسلمين الذين ارتضوا لانفسهم ان يكونوا اداة طيعة بيد هذه الدوائر الواضحة المعالم.

حقاً ان هذه الدوائر الكافرة لن يعسر عليها ان تجد من لا يتردد عن الطعن في جسد هذه الأُمة دون ان يفكر ولو لحظة واحدة في عظم الوزر الذي سيرتكبه من خلال عمله هذا، الا ان هذه الدوائر فاتها ان تدرك حقيقة مهمة وهي ان هذه الحرب الفكرية التقليدية ستكون في نهاية المطاف حافزاً مضاعفاً نحو الاعتقاد الاقوى بأحقانية العقائد التي تؤمن بها الشيعة وتتعبد بها.

هذا يشكل الطرف الاول من رأينا في هذه الحملة المشبوهة التي نحن بصدد الحديث عنها، اما الطرف الآخر منها فيتعلق في طبيعة الكتابات التي اخذت تطالعنا بها هذه المراكز، ففي الوقت الذي يفترض ان يخضع هذا النقاش وهذه البحوث لقانون التطور والتغيير ليتمظهر بصيغ مختلفة، أو يتشكل بعناوين جديدة، يمكن ان تجد لقدميها موطناً على ارض الواقع، الا انها ـ وتلك حقيقة مضحكة ـ بدت على العكس من ذلك تماماً، فاذا كان بعض ما كان يكتب في القرون الغابرة يظهر ـ ولو في حدود ضيقة جداً ـ بصورة سجال علمي وجدل كلامي، الا انه هنا ـ ومع الاسف الشديد ـ لا يشكل الا اجتراراً مقيتاً لما تقوّله السابقون، وكأنّ الذين يكتبون يعيشون بعقلية تلك القرون الماضية، أو انهم لم يحاولوا ان يقرأوا ما سبق ان كتب، فأقر بحقيقته السابقون، وسلّم به اللاحقون، وهذه أُم الفواقر.

ان الملاحظ المسلّم به ان التقولات التي اثارها الكثير من اولئك الكتّاب الذين اشرعوا نصالهم بوجه هذه الطائفة، كانت تستند أساساً على الفهم الاولي للحديث أو الرأي، دون التأمّل ولو لهنيهة واحدة الى سياقه الطبيعي من خلال منظومة الافكار والآراء التي تحكمه، وتحدد ابعاده، أو حتى من دون الرجوع الى مجموع التأويلات والشروحات التي يقدمها علماء المذهب في توضيح ذلك، بل ومن دون النظر الى الموقف العام للمذهب الذي قد يرفض هذا الحديث، أو لا يتبنى ذلك الرأي.

ومن هنا فإنّا نجد ان اكثر تلك الهجمات الفكرية ـ التي طواها الزمن ـ لم تكن لتتعدى النقد الاولي الساذج الذي هو سمة مشتركة في جميع المذاهب الاسلامية، ولا يمكن لأْي منها ان يدعي عدم وجوده فيها.

هذا فيما يتعلق بما يمكن القول به من انه قد يشكل جانباً يعتمد بعض الأُسس العلمية في مواقفه، واما ما نحن الآن في صدده فهو بعيد كل البعد عن اي جانب علمي رصين، او اي اساس واقعي، لانه ينطلق اساساً من خلال محاولات ذاتية للنيل من عقائد الشيعة والتشكيك بمواقفها، وحيث يشكل في اطاره العام مجموعة من الافتراءات، والتمحلات السطحية المعتمدة على التغييب القسري لمنطق العقل والادراك، والذي لا يعسر على اي شيعي حتى وان كان ذو ثقافة متوسطة ومتواضعة الرد عليه، واثبات بطلانها، ناهيك بعلمائهم ومفكريهم.

كما ان المائز في هذه المحاولة الجديدة، هو كون مؤلف هذا الكتاب ممن يحمل الهوية الشيعية بالولادة، ويدّعي الانتماء اليها، وهو ما راهنت عليه الكثير من الدوائر حتماً، ولكنه في حقيقة الحال لا يشكل في نظر الشيعة وعلمائهم شيئاً مذكوراً يمكن ان يخلق له اصداءاً واضحة، وذلك من خلال مطالعة السجل الخاص بحياة هذا المؤلف، وارتباطاته المعروفة،

والتي ليست بخـافية على احـد، ونحن لا نريد على صفحات كتابنا هذا الخوض فيها، والتعرّض لها.)

وأخيراً فإنّنا نقول: بأنّنا في كتابنا هذا لم نسلّط الا اضاءة متكررة على طريـق الحق، وهمسة صادقة في آذان الباحثين عن الحقيقة، لكي تتبين امامهم بوضوح جملة الحقائق التي يعمد البعض ـ ممن لا يخشى الحساب ـ الى تشويهها والطعن بها، والله من وراء القصـد.

بســـم الله الـرحمٰن الـرحيم

كلمة اولية :

يتمحور هذا الكتاب ـ اي كتاب تصحيح الشيعة، والذي نحن بصدد الـرد عليه ـ حول جملة من الاطروحات التي سبق لجملة من الكتّاب والمؤلفين، ومنذ دهور طويلة، طرحها ومناقشتها، على صفحات الكثير من الكتب السقيمة ذات الاوراق الصفراء، وان كانت ـ والحق يقال ـ خيراً من هذا الكتاب، وافضل منه بكثير، لأنها كانت نتاج عصر شهد صراعاً فكرياً حاداً، بين الكثير من الفرق الاسلامية المتعددة، وكانت جميع هذه الفرق تحاول ان تجد لها موطئاً على ارض الواقع المعاش قبال مدرسة اهل البيت عليهم السلام العامرة والمغداقة، الا ان كتاب التصحيح زُج امام الأُمة في زمن شهدت فيه الساحة الاسلامية برمتها تقارباً وتلاقياً ضمن مجالات فكرية متعددة، تتعلق بنتائجه قلوب جميع المسلمين الخيّرين، غير صاحب هذا الكتاب وشركائه.

كما ان ما طالعنا به هذا الكتاب كان مثيراً للاستخفاف والاستهجان لما يتنافىٰ اساساً مع الفكرة التي حاول جاهداً اقناع الآخرين بها، من انه

سبر غور العقائد الشيعية، وادرك ما فيها فوجد فيها خللاً كبيراً، أبى الا ان يصلحه، حرصاً على الأُمة، أو شفقة عليها، حيث بدا هذاالرجل ابعد بكثير مما ادعاه، ومما نسبه الى نفسه، وصفحاتنا اللاحقة تكشف هذه الحقيقة.

ونحن بعون الله تعالى، وببركة اهل بيت العصمة سلام الله عليهم، سنشرع في مناقشة وتفنيد جمله دعاواه، وابطال حججه، من خلال الاشارة المختصرة اليها، وقد اسمينا ما كتبناه **برسالة عقائدية** أو بتصحيح التصحيح، والله الموفق للصواب.

التصحيح (ص١٩): تحت عنوان (الامام علي يؤكد شرعية بيعة الخلفاء) قال: الامام علي كان يقول لا نص عليه من السماء، وصحابة علي والذين عاصروه يعتقدون بذلك ايضاً.. الخ، وقد اسهب فيما لا طائل فيه ولا حجة.

تصحيح التصحيح:

لا اخفي قولاً اذا قلت باني توقفت طويلاً امام هذه العبارة، وتنازعتني اثنائها شتى التصورات والتأويلات والاعتقادات، وحاولت جاهداً ان اجد لهذا الرجل من تبرير منطقي، ومسرب فكري، الا اني وجدت نفسي في نهاية المطاف اكاد لا اتماسك من الاستخفاف بهذا الرجل وبما نفثه قلمه من اكاذيب وتخرّصات سقيمة لا تنطلي حتى على البسطاء والمغفلين، ناهيك بمن يحاول هو اقناعه جاهداً بانه داعية للاصلاح والتصحيح، بلى، فبالرغم مما ادعاه صاحب التصحيح ونسبه الى نفسه من ادراك عميق وفهم واضح لما يريد ان يسطره في كتابه ـ الذي وسمه بتصحيح الشيعة ـ ودعا فيه بصلف عجيب الى استدراج المغفلين من سطحيي التفكير والادراك نحو بعثرة الصف الاسلامي في سعي محموم ودائب ما انفكت تواصل الجري نحوه الكثير من الدوائر المشخصة الاتجاه والميول والرغبات الفاسدة، في وقت يشهد فيه العالم انقلاباً خطيراً وشاملاً في ادراك وفهم مجمل الاطروحات العقائدية والفكرية السائدة على هذه البسيطة، وحيث بدا هذا الادراك يتمحور بشكل ملفت للنظر حول عقائد الشيعة الامامية، ويتعاطف معها تعاطفاً اقلق كل المراكز الالحادية واليهودية والصليبية لادراكها خير من ادراك صاحب التصحيح ـ وان كان ذلك الامر ليس بخاف عليه حتماً ـ ما

يشكله هذا التعاطف من خطر مستقبلي اكيد على كياناتها الهزيلة التي ما انفك المستجدون مــن فتات موائدها دفاعاً عنها، وطعناً باعدائها.

أقول: وان لم اكن في موقفي هذا وعلى هذهالصفحاتفي معرض البحث الرامي لفضح الدوافع والمبررات، المعلومة والبيّنة، والتي حفّزت صاحب التصحيح، كمــا كانت ولا زالت تحفّــز غيره من ذوي النفـوس المتهالكة حول الترف الزائف الذي يقدم لهم في اطباق السم الزعاق ـ اني وجدت هذا الرجل في كتابه سطحياً جداً وساذجاً الى ابعد درجات الغفلة والجهل، لا يدري ما يقول، ولا يدرك ما يسطر، فها هو يردد حرفياً كالببغاء ما سبق لاعـداء الاسلام عامة والشيعة خاصة ترديده واثارته، في اكثر من مجلس، وعلى صفحات العديد من الكتب السقيمة ذات الاوراق الصفراء ـ تمزيقاً للاسلام وتفريقاً لأهله ـ من دون الالتفات ولو لهنيهة واحدة الى ما يحيط به من حقائق ثابتة كالطود الشامخ لا يستطيع احد لها حراكاً، ولا تحويلاً.

بلى كذا هي حقيقـة الحـال، بيد ان الامـر لا يتـوقف عند التفـرج والاستخفاف بما تطالعنا به بين الآونة والاخرى جملة تلك الاقلام الحاقدة والمـأجورة من تخرّصات وتقوّلات، لا تزيد عمّا سمعناه وقرأناه، وسمعناه وقرأناه حتى بلغ بنا السأم والملل حداًلا يعلمه الا الله تعالى، من كثر ما قيل وقالوا، وكتبوا وكذبوا، نعم حتى وان كان كذلك، الا ان السكوت والاعراض عن اولئك المأجورين والمستغفلين قد يوهم البعض غفلة ان اولاء لهم ولو جانبـاً من الحق في تخـرصاتهم السقيمة، واكاذيبهم الرخيصة، ولذا فقد عمدنا متكلين على الله تعالى في رد سهام اولئك الخائبين الى نحورهم، واسقـاط دعاويهم، رغم ان السابقين لم يألوا جهداً في ردها وفي تكذيب دعاواها، الا اني وقبل ان اشرع في تأكيد ما سبق لغيري قديماً من اعلام

الطائفة ومفكريها طرحه وتوضيحه وإلقام معترضيهم فيه احجاراً لا تدع لتلك التقوّلات منفذاً الا وسدَّته، أقول: اني أُريد في بداية حديثي ان اتساءل لعل صاحب التصحيح يتأمل في ما اقوله وما ابتغي الوصول اليه.

أقول: لقد بُعث محمّد (صلّى الله عليه وآله) الى أُمة بلغ بها التخلف والجهل حداً رهيباً لا يسع المرء امامه الا الاقرار بعظم المهمة التي كلِّف بها هذا الرسول العظيم، ومن سيتبعه في دعواه، ويستجيب لاوامره، وما سيترتب على هذه الدعوة من مواجهة شرسة وقتال دموي مع كيانات فاسدة استطالت وتجذرت وامست تتحكم في مقدرات الشعوب والقبائل التي كانت لا تملك امامها حولاً ولا قوة، وهذا الامر ليس بخاف على أحد ناهيك بمن يدعي التصحيح.

هذا من جانب، ومن الجانب الآخر يقع ذلك البدوي الذي أخذ منه الجهل والتخلف مأخذاً كبيراً حتى أمست الكثير من العادات القبيحة والسمجة مظهراً مألوفاً في حياته وشكلاً مقبولاً لا استهجان بيّن له.

ولعل خير من بيّن هذه الحقيقة مجملة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه في كلامه مع النجاشي حيث قال: ايها الملك، كنا قوم أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف....

بل وما أقرب مقالة المغيرة بن شعبة - في حديثه مع يزدجرد ملك الفرس - الى ارض الواقع المعبّر عن حياة اولئك الاعراب الذين بعث اليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله هادياً ومبشراً ونذيراً، قال: .... ديننا ان يقتل بعضنا بعضاً، وان يبغي بعضنا على بعض، وان كان احدنا ليدفن ابنته وهي حية، كراهية ان تاكل من طعامه....

لقد كانت القبائل العربية تستمرئ الغزو والسلب في غارات وحشية

تنتهك في اكثرها ابسط القيم والمبادئ الاخلاقية التي قد يتمشدق بها البعض ظلماً وزوراً، وكان ذلك البدوي وهو في مواجهة هذه الطبيعة القاسية لا يملك الا ان ينساب مع هذا التيار المتدافع حرصاً على عرضه وماله وحياته.

والحق يقال: إنّ التركيبة الاجتماعية للمجتمع القبلي السائد آنذاك في ارض الجزيرة وما يحيط بها كانت معقدة بشكل لا يتناسب وطبيعة النظم الاجتماعية البدوية البسيطة، وما ذلك الا نتيجة منطقيّة لحالة الانحدار المتسارع في البنيان الهيكلي للنظم الاخلاقية السائدة.

والغريب ان هذه القبائل كانت تتبجح بأفعالها هذه ولا تستنكرها، بل تعدها من ايامها التي يتبارىٰ شعراؤها في نظم القصائد الطوال في التباهي بها، والتفاخر بأفعالها، ولا غرو في ذلك، فهذه كتب التاريخ بمتناول الجميع حيث لا يعسر على احد مطالعة العديد من تلك الايام والحروب التي أُريق فيها الكثير من الدماء، وخلفت المئات من القتلى، لا لشيء الا لأُمور تافهة قد تكون في معظمها حول ناقة أو شاة أو غير ذلك.

بل ومن الحقائق التي لا يمكن لأحد غض النظر عنها والاعراض عن وجودها هي مسألة أخذ الثأر والاقتصاص من الغريم، وما تشكله من عُقدة نفسية في عقلية البدوي، وحقاً مسلّماً به لا يمكنه التجاوز والتغاضي عنه ابداً.

نحن الآن نعيش السنوات الاخيرة من القرن العشرين، والذي شهد بلا شك انقلاباً رهيباً في كثير من المعتقدات والتصورات، وتشكلت ـ وكنتيجة منطقيّة لحالة التطور العلمي والتقني، الذي تشهده كل الاصعدة ـ جملة واسعة من السلوكيات الاجتماعية الفردية منها والجماعية، الا انّالازلنا نشهد بين الفينة والاخرى مظاهر متكررة من هذه الافعال الاجتماعية المتجذرة في حياه الفرد العربي.

نعم، ان هذه الحقائق لا يمكن لأحد الاغضاء عنها وتجاوزها، وعدم اخـذها في الحسبان عند محاولة استقراء الاحداث الماضية والمطويّة في سجل الزمن الغابر، والا فلا تشكّل هذهِ الدراسة الا طرفاً مبتوراً مشوهاً لا يمكن له الاستقرار على ارض الواقع.

اقول: الى هذا المجتمع أُرسل محمّد بن عبدالله (صلّى الله عليـه وآلـه) وفي جنبات هذا الكيان البشري كان يعيش (صلّى الله عليـه وآله) ويتعامل، فهـو (صلّى الله عليـه وآله) سفّه احلامهم، وقتل ساداتهم، وأهان معتقداتهم، ورفع الضعفاء والمساكين والمغلوبين على أمرهم، وحطَّ من قدر اولئك السادة الغارقين حتى ناصيتهم والـدم بالخمر والنساء، فكيف يروق لهم ذلك؟، وانّى تتقبله نفوسهم؟

سلسلة متصلة من الغزوات والمعارك الشرسة صبغت ارض الجزيرة بلون احمر قاني من الدماء، قسرت الجميع على الركوع امام هذهِ الدعوة المباركة، واجبرت من لم تطاوعه نفسه على الايمان بها على التستر زوراً ومخاتلة بالشهادتين اللتين تحقنان دمه، تحيّناً للفرص وانتظاراً للمباغتة.

بلى ان ذلك المجتمع البدوي بكل ما فيه من العقد والتناقضات كان يشكل ما يحيط بالرسول صلّى الله عليـه وآله من المتسترين بالاسلام كذباً، صورة مصغرة من ذلك البنيان الرهيب، ولعل الاستقراء ولو كان مستعجلاً يبين بوضوح عمق هذه التركيبة واثرها في السلوك الفردي والاجتماعي، وهو ما تقر به كل المراجع التاريخية والعقائدية.

ولنتأمل مليّاً في بعض المفردات التي عاصرها رسول الله صلّى الله عليـه وآلـه ابـان الايام الأُولى لاشتـداد عود الـدعـوة الاسلامية المباركة، واستلالها السيف في وجوه رموز الكفر والالحاد في قريش، ومن يواليها.

فقد روى الطبري وغيره نموذجاً مصغراً عن هذه التركيبة النفسيّة التي

تأخذ من العربي البدوي آنذاك ذلك المأخذ الكبير، وذلك من خلال محاولة قريش الاقتصاص من رسول الله صلّى الله عليـه وآله بعد هزيمتها امامه في وقعـة بدر، حيث قال: وكان الذي هاج غزوة أُحد بين رسول الله صلّى الله عليـه وآلـه ومشركي قريش وقعة بدر وقتل من قتل ببدر من اشراف قريش ورؤسائهم، حيث اخذوا ينادون بالناس: يا معشـر قريش، ان محمداً قد وتركم، وقتل خياركم، فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثاراً بمن اصيب منا. ففعلوا.

وكذا تروي جميع المصادر عن ابي سفيان قسمه ان لا يأتي النساء ولا يمس الطيب الا بعد ان يأخذ بثأره من رسول الله صلّى الله عليـه وآله، فما زاده الله تعالى الا خزياً وعاراً لاصقاً به الى أبد الدهــر.

بل ولعل التأمل في مفردات بعض كلام سيد البلغاء امير المؤمنين عليه السلام يبيّن هذا الامر بوضــوح:

قال عليه السلام: وانتم معشر العرب على شر ديـن، وفي شـر دار، تنيخون بين حجارة خشن، وحيّات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكـون دمـاءكم، وتقطعون ارحامكم، الاصنام فيكم منصوبة، والآثام فيكم معصوبة.

وقـال عليه السـلام ايضاً: . . . فتركوهم عالة مساكين، اخـوان دبر ووبر، اذل الأُمم داراً، واجدبهم قراراً، لا يأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها، ولا الى ظل اُلفة يعتمدون على عزها، فالأحوال مضطربة، والايدي مختلفة، والكثـرة متفرقة، في بلاء ازل، واطباق جهل، من بنات موؤودة، واصنام معبودة، وارحام مقطوعة، وغارات مشنونة. . .

بلى لقد كان التخلف والجهل مطبقاً على ارض الجزيـرة، وخصوصاً ارض الحجاز، حيث نرى بوضوح أنّ السيف في أحيان كثيرة هو مصدر رزق

الكثيرين، لهم به التصاق قوي تتلاشىٰ امامه كل الموازين الأُخرى، والاعتبارات الاجتماعية ذات المساس المباشر بحياة الفرد وسلوكه اليومي.

ومن اوضح ما قرأت في اثبات هذه المظاهر المشخصة ما ذكره القطامي في احدىٰ قصائده، حيث يقول:

وكن اذا اغرن على قبيل ... واعوزهن نهب حيث كانا
اغرن من الضباب حلال ... وضبة انه من حان حانا
واحيانا على بكر اخينا ... اذا لم نجد الا اخانا

وهكذا ترى بوضوح الشكل العام للتركيبة النفسيّة والاخلاقية للمجتمع البدوي الذي اخذ منه سيف المسلمين مأخذاً عظيماً لا يسع تلك النفوس ان تطوي عنه كشحاً، أو تسدل دونه ثوباً.

فهل يتصور المرء ان هؤلاء الذين أُجبروا على النطق بالشهادتين خوف السيف يمكن لهم ان لا يتحينوا الفرص بهذا الدين الفتي وهذه الدعوة الغضة لعل الزمن يأتي لهم بما يسهل الامر، وان لم يتوقفوا لحظة واحدة من الكيد بهذا الدين وبأهله، وهذا ما كان يحذّر منه الله تعالى رسوله الكريم صلّى الله عليه وآله مرات متكررة في القرآن الكريم، حتى ان مفردة المنافقين والمنافقات وردت (٣٢) مرة في الكتاب العزيز، بل ان الله تعالى اسمه يحدِّث رسوله الكريم عن شريحة خطرة من المنافقين يتعايشون مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في محيط المدينة الصغير يتحيّنون الفرص السانحة برسول الله صلّى الله عليه وآله ودينه الحنيف.

قال تعالى في سورة التوبة الآية (١٠١): **﴿وَمِنْ حَولِكُم مِنَ الاعرابِ مُنافقونَ ومِنْ أهلِ المدينةِ مَردوا علىٰ النِّفاقِ لا تعلمهُم نَحَنْ نعلمهُم سَنُعَذبهم مَرتينِ ثُمَّ يرُدونَ الىٰ عَذابٍ عَظيمٍ﴾**.

وفي الآية الكريمة تصريح واضح بوجود هذه الجماعات الفاسدة من المنافقين المتسربلين بجلباب الاسلام، من الذين مردوا على النفاق وتشرّبوا بمائه النتن الفاسد، ومن الذين لا يتوقع لهم اي تغيير في موقفهم هذا حتى ان الله تعالى قد اشار الى ما سيؤول اليه امرهم في الآخرة.

ولا غرابة في هذا، فان مؤامراتهم لم تتوقف لحظة واحدة في محاولات دائبة للكيد بالاسلام واهله، بل ان الكثير منها كان يستهدف حياة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله كما تحدثنا بذلك مراجع التاريخ المختلفة.

فقد روى الواقدي في مغازيه (٣ : ١٠٤٢) والبيهقي في دلائله (٥ : ٢٥٦) وغيرهما: انه لما رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله قافلاً من تبوك الى المدينة، حتى اذا كان ببعض الطريق مكر به (ناس من اصحابه) فَأْتمروا ان يطرحوه من عقبة في الطريق، وارادوا ان يسلكوها معه، فاخبر رسول الله صلّى الله عليه وآله خبرهم، فقال: من شاء منكم ان ياخذ بطن الوادي فانه اوسع لكم.

فاخذ النبي صلّى الله عليه وآله العقبة واخذ الناس بطن الوادي، الا النفر الذين ارادوا المكر به استعدوا وتلثموا وامر رسول الله صلّى الله عليه وآله حذيفة بن اليمان، وعمّار بن ياسر فمشيا معه مشياً، وامر عمّاراً ان يأخذ بزمام الناقة، وامر حذيفة ان يسوقها، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه، فغضب رسول الله صلّى الله عليه وآله وامر حذيفة ان يردهم، فرجع ومعه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم، وضربهم ضرباً بالمحجن، وابصر القوم وهم متلثمون، فرعبهم الله تعالى حين ابصروا حذيفة حتى ادرك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، فلما ادركه قال: اضرب الراحلة يا حذيفة، وامش انت يا عمار.

فاسرعوا فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس.

فقال النبي صلّى الله عليـه وآله : يا حذيفة هل عرفت من هؤلاء الرهط أو الركب احداً؟

فقال : عرفت راحلة فلان وفلان ، وكانت ظلمة الليل قد غشيتهم وهم متلثمون .

فقال النبي صلّى الله عليـه وآله : هل علمتما ما شأن الركب وما ارادوا؟

فقالا : لا يا رسول الله .

قال صلّى الله عليـه وآله : فانهم مكروا ليسيروا معي حتى اذا اظلمت بي العقبة طرحوني منها .

قالوا : أفلا تأمر بهم يا رسول الله اذا جاءك الناس فتضرب اعناقهم؟

قال صلّى الله عليـه وآله : اكره ان يتحدث الناس ويقولوا : ان محمّداً قد وضع يده في اصحابه .

قال : فسماهم لهما وقال : اكتماهم

بل ومن كان اصحاب الافك الذين توعدهم الله تعالى في كتابه الكريم بشتىٰ الآيات المنذرة بالتهديد والوعيـد ، هل كانـوا الا من اولئك المنافقين المعدودين ضمن صفوف المهاجرين والانصار.

يحـدثنا البخاري ومسلم وغيرهما عن قصة هذا الافك الذي أُفتري للاساءة لرسول الله صلّى الله عليـه وآله ، والطعن به ، عن عائشة قولها : ـ بعد ان سردت قصة هذا البهتان العظيم ـ فخرجت مع ام مسطح قبل المناصع ، وكان متبرزنا ، وكنّا لا نخرج الا ليلاً الى الليل ، وذلك قبل ان نتخذ الكنيف قريباً من بيوتنا . . . قالت : فانطلقت انا وام مسطح ، وهي ابنة ابي رهمن بن المـطلب بن عبـد منـاف ، امها بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر ، وابنها مسـطح بن اثـاثـة بن عباد بن المطلب ، فأقبلت معها فعثرت في مرطها فقالت : تعس مسطح .

فقلت لها: بئس ما قلت، اتسبين رجلاً شهد بدراً!!

فقالت: اي هنّتاه، ولم تسمعي ما قال وقلت ما قال؟ فاخبرتني بقول اهل الافك وكان هو من اصحاب الافك، وهم: مسطح بن اثاثة، وهو من المهاجرين الاولين، وحسان بن ثابت، وهو من الانصار، وعبدالله بن ابيّ.

وقد جلدهم رسول الله صلّى الله عليـه وآله جميعاً.

ثم من هم اولئك الذين اشار اليهم رسول الله صلّى الله عليـه وآله في حديث الحوض، هل هم الا من صحابته، ومن المحيطين به، ومن يحاطون بهالة الصحبة، التي يخشىٰ البعض مجرد النقاش فيها؟ فقد اخرج البخاري في صحيحه بسِنده عن ابي وائل قال: قال رسول الله صلّى الله عليـه وآله: انا فرطكم على الحوض، ليرفعن الي رجال منكم حتى اذا هويت لأُناولهم اختلجوا دوني، فأقول: اي رب اصحابي! فيقول: لا تدري ما احدثوا بعدك.

كما انه اخرج ايضاً في صحيحه بسنده عن ابي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي صلّى الله عليه وآله يقول: انا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده ابدا، ليرد عليَّ اقوام اعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم.

قال ابو حازم: فسمعني النعمان بن ابي عياش وانا احدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟

فقلت: نعم.

قال: وانا اشهد على ابي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه، قال [اي رسول الله صلّى الله عليـه وآله]: انهم مني! فيقال: انك لا تدري ما بدّلوا بعدك.

واخرج مسلم هذا الحديث من طرق عدة، فيها قوله صلّى الله عليـه

وآله: انا فرطكم على الحــوض ولأُنازعنَّ اقواماً ثم لأغلِبنَّ عليهم، فأقول: يا رب اصحابي! فيقال: انك لا تدري ما احدثوا بعدك.

وكذا اخرج مثله الحاكم واحمد ومالك وغيرهم، فراجع.

وهل فات صاحب التصحيح كم أُوذي رسول الله صلّى الله عليـه وآله

من المنافقين الذي اذاقوه مرارة الحنظل لمرار عديدة ومتكررة، ام فاته ـ وهو المـدعي زوراً وظلمـاً الانتمـاء الى مذهب اهـل البيت والمتشـدق بشعار التصحيح ـ ان الله تعالى انزل سورة كاملة في حق المنافقين، وكم حذّر فيها وفي غيرها من سور القرآن الاخرى من كيدهم وغدرهم؟

أقول: اذا كان الامر كذلك فهل يمكن لذي عقل ان يتصور ولو للحظة واحدة ان يغفل رسول الله صلّى الله عليـه وآله عن هذه الحقائق المعلنة ليرحل دون ان يخلّف وصياً وخليفة يعهد اليه امر هذه الامة من بعده، حيث هذه الاخطار المحدقة والمتربصة بالاسلام واهله؟؟؟

لا اعتقد ان يقول بهذا اي عاقل أو ان يفكر بضده! فكيف يمكن لمن حمّله الله رسالة اراد منها ان تكون آخر الرسالات السماوية، وخاتمتها، ان يترك هذه الامة حيرىٰ تتخبط في افكار مضطربة وتيارات متعارضة، لا تهتدي الى شيء، ولاتستقر على بر، تبحث عن المنقذ والمرشد الذي يبادر طوعاً لانقاذها من هذا الضياع والتخبط والحيرة! هل يمكن لأحد ان يتصور هذا الامر؟

هل تتقبـل العقول والاذهان قول من يدعي ذلك البهتان وكتاب الله تعالى بين ظهرانيها يقرأ صباحاً ومساءاً وهو يردد قوله تعالى: **﴿لَقد جاءَكُم رسـولٌ مِنْ انفسكُم عزيـزٌ عليـهِ ما عَنتُم حَريصٌ عَليكُم بالمؤمنينَ رؤوفٌ**

رَحِيمٌ﴾[1]!! فأين تلك الـرحمـة والرأفة بهذه الامة وهو يتركها تخوض في مخاضات عسرة وشاقة، لا تدري ما تفعل ولا ماذا تقرر!!

وهل ان ابا بكر وعمر بن الخطاب كانا اكثر حرصاً على هذه الأُمّة واشد رأفـة بهـا من رسـول الله صلّى الله عليه وآلـه الـذي ما ارسله الله تعـالى إلاّ رحمـة للعالمين، بنص القرآن الكريم! ان ابا بكر وعمر لم يرحلا من هذه الدنيا حتىٰ التفتـا الى هذا الامـر ولم يغفـلاه، بل ان عمـراً كان اشد في تأكيد الضـرورة الـلازمة لاختيار الخليفة والإمام من بعده، حيث اوصىٰ بضرب اعناق من يختلف من الستة عن الجماعة رغم ان هؤلاء الستة كانوا من كبار الصحابة، ووجوههم.

فيا لله، انىٰ للعقول ان تظل مسترسلة في غفوتها وهي ترى وتسمع وتقرأ ما لا يتفق مع فطرتها التي فطرها الله عليها.

وهلاّ خفي على صاحب التصحيح ومن لف لفه ان الظرف السياسي والاجتماعي الذي مر به الاخيران كان اكثر استقراراً وهدوءاً عمّا كان عليه بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليـه وآله!!

فهل خفي عليه ما كان يحيط الدولة الاسلامية من الاخطار الجمّة التي تتحيّن جميعها الفرصة السانحة للانقضاض عليها والاطاحة بها، فالمنافقين من اهل المدينة ممن مردوا على النفاق بالنص القرآني الكريم، وما حولها من الأعراب الذين هم اشد كفراً ونفاقاً، كانـوا اشد الناس على هذه الدولة الطريّة العود، في حين يقـف مسيلمة الكذاب، وطليحة بن خويلد الافاك، وسجـاح بنت الحرث، واتباعهم من الهمج الرعاع كالحربة الناتئة التي لا تنفك تنغرز في خاصرة الكيان الاسلامي برمته، هذا من جانب ومن جانب

---

(١) التوبة ٩ : ١٢٨.

آخر كان الرومان الاكاسرة والقياصرة وغيرهم من اعداء الاسلام يقفون بكل امكاناتهم المادية بالمرصاد تحيناً للفرصة السانحة للقضاء على هذا الديـــن الفتي الـذي بدأ يزداد قوة ومنعـة وصـلابـة مع الايام، حتى انه اخذ يهدد وجودهم ويطيح بأحلامهم.

هل نسي صاحب التصحيح هذا ام تناساه؟

وهل كان هذا الامر اذا افترضنا غيابه عن ادراك رسول الله صلّى الله عليـه وآلـه وتصـوره وحسـه السياسي ـ وهذا ما لا تقره حتى عقول السذج والحمقىٰ ـ فهـل خفي هذا الامـر عن الله تعـالى، وهـو صاحب الـرسالة والمرسل لمحمّد صلّى الله عليـه وآله بها!!

أقول: انها دعوة للتأمل والتدبر قبل ارسال الكلام على عواهنه، ودون دليل عقلي يستند اليه.

كما ان التاريخ يحدثنا بشكل مغاير عما يتصور هؤلاء وامثالهم ممن خفيت عليهم الشمس في رابعة النهار فطفقوا يتهموها بالكسوف ظلماً وجوراً.

فالتاريخ يحدثنا بشكل جلي ان الرسول الاكرم صلّى الله عليـه وآله لم يكن ليترك المدينة المنورة فـي حياته دون ان يخلِّف على المسلمين وصياً عنه وخليفة يحل محله، حتى وان قصر المقصد وقل الزمان، كما فعل ذلك صلّى الله عليـه وآله عند خروجه الى أُحد، حيث لم يكن يبعد هذا الجبل عن المدينة الا ميلاً واحداً، وما طال غيابه عنها الا يوماً واحداً، فكيف ترتضي العقول لانفسها ان تتهمه صلّى الله عليـه وآله بأنه لم يفكر بأن يعهد لمن يحل بدلاً عنه وصيّاً وخليفة على الامة التي ما اكثر أعدائها واشد كلبهم عليها؟

ان المراجع التأريخية تحدثنا بصراحة عن مواظبة رسول الله صلّى الله

عليـه وآله على ايكال امر الامة الى من يختاره عند غيابه عن مركز الدولة الاسـلامية، وخصـوصـاً في غزواتـه التي تعـرض لهـا المؤرخـون بالشرح والتفصيل، وسنحـاول خلال الاسـطر القـادمة ان نذكّر صاحب التصحيح واصحابه ممن جهلوا او تجاهلوا هذه الحقيقة الدامغة :

يذكـر المسعـودي في كتـابـه التنبيه والاشراف من خلال استعراضه لمجمل غزوات رسول الله صلّى الله عليـه وآله، من السنة الثانية الى السنة الثامنة من الهجرة النبوية المباركة، اسماء من استخلفهم رسول الله صلّى الله عليـه وآله خلفاء عنه على الدولة الاسلامية ومركزها في المدينة المنورة، وفي هذا الامـر يوافقه جميع المؤرخين، وان وجدنا هناك بعض الاختلاف في المسميات، الا ان هذا الامر لا يعنينا في شيء قدر ما اردنا التعرض اليه من القول بان رسول الله صلّى الله عليـه وآله لم ينس ان يخلِّف طيلة حياته من ينوب عنه لادارة شؤون المسلمين وتعهدها، فكيف يخفى عليه تدبير ذلك لما بعد حياته ! !

اقـــول: لنقرأ هذه الاسطر، ولنتفكـر:

١ ـ عندما أُذن لرسول الله صلّى الله عليـه وآله بالقتال، وذلك في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة المباركة عمد الى التعرض لعير قريش، فخرج بجمع من المسلمين المقاتلين، فاستخلف صلّى الله عليـه وآله على المدينة سعد بن عبادة سيد الخزرج، خمس عشرة ليلة طوال غيبته عنها.

٢ ـ وفي غزوة بواط في شهر ربيع الاول من تلك السنة استخلف صلّى الله عليـه وآله سعد بن معاذ سيد الاوس.

٣ ـ ولما خرج صلّى الله عليـه وآله في طلب كرز بن جابر الفهري الذي اغار على المدينة، استخلف مولاه زيد بن حارثة.

٤ ـ وفي غزوة العشير استخلف صلّى الله عليـه وآله ابا سلمة

المخزومي .

٥ ـ واما في غزوة بدر الكبرى فقد استخلف صلّى الله عليـه وآله ابن ام مكتوم تسعة عشر يوماً خليفة عنه في المدينة .

٦ ـ واستخلف صلّى الله عليـه وآله ابا لبابة الانصاري في غزوة بني القَيْنُقاع .

٧ ـ وفي غزوة السويق استخلف صلّى الله عليـه وآله ابا لبابة ايضاً .

٨ ـ وفي السنة الثالثة سار رسول الله صلّى الله عليـه وآله يريد سليم وغطفان للنصف من المحرم فاستخلف ابن ام مكتوم على المدينة .

٩ ـ واستخلفه ايضاً صلّى الله عليـه وآله عندما غاب عن المدينة عشرة ايام من شهر جمادى الاخـرة فـي غزوة بفران .

١٠ ـ ولما غاب صلّى الله عليـه وآله عن المدينة عشر ايام في غزوة ذي امر استخلف على المدينة عثمان بن عفان .

١١ ـ وفي غزوة أُحد كان خليفته صلّى الله عليـه وآله في المدينة ابن ام مكتوم .

١٢ ـ واعـاد صلىٰ الله عليه وآلـه استخلاف ابن ام مكتوم في غزوة حمراء الاسد، على بعد عشرة اميال من المدينة .

١٣ ـ وكذا استخلفه صلّى الله عليـه وآله في غزوة بني النضيـر .

١٤ ـ واما عبدالله بن رواحة الانصاري فقد استخلفه صلّى الله عليـه وآله على المدينة عند خروجه الى غزوة بدر الثالثة .

١٥ ـ وفي غزوة ذات الرقاع فانه صلّى الله عليـه وآله استخلف فيها عثمان بن عفان .

١٦ ـ واستخلف صلّى الله عليـه وآله عليها ابن ام مكتـوم .

١٧ ـ واستخلف في غزوة بني المصطلق ثمانية عشر يوماً مولاه زيد بن

حارثة .

١٨ ـ واما في غزوة الخندق ـ وهي في نفس المدينة المنورة ـ فقد كان خليفته صلّى الله عليه وآله على المدينة ابن ام مكتوم .

١٩ ـ وعند خروجه صلّى الله عليه وآله الى غزوة بني قريضة استخلف عنه على المدينة ابا رهم الغفاري .

٢٠ ـ وفي السنة السادسة من الهجرة المباركة ، وعند خروجه الى غزوة بني لحيان من هذيل ، فانه استخلف صلّى الله عليه وآله ابن ام مكتوم .

٢١ ـ واستخلفه مرة اخرى خمس ليال عند خروجه صلّى الله عليه وآله الى غزوة ذي قرد .

٢٢ ـ وكذا فإنه صلّى الله عليه وآله استخلفه على المدينة عند خروجه في غزوة الحديبية .

٢٣ ـ واستخلف صلّى الله عليه وآله سباع بن عرفطة عند خروجه في غزوة خيبر ، وذلك في السنة السابعة من الهجرة النبوية المباركة .

٢٤ ـ واعاد صلّى الله عليه وآله استخلافه في عمرة القضاء .

٢٥ ـ وفي فتح مكة فانه صلّى الله عليه وآله استخلف على المدينة ابا رهم الغفاري .

٢٦ ـ ولما سار صلّى الله عليه وآله الى هوازن في غزوة حنين فأنه استخلف على المدينة ايضاً ابا رهم الغفاري .

٢٧ ـ واستخلف صلّى الله عليه وآله علي بن ابي طالب عليه السلام على المدينة عند خروجه الى غزوة تبوك .

أقول : هذا الامر يشكّل في حد ذاته رداً قاطعاً لما يمكن تصوره من تساهل رسول الله صلّى الله عليه وآله في مسألة استخلاف وصيّاً وخليفة من بعده ، يخلفه في غيابه عن اُمته ، حتى ولو استغرق هذا الغياب امداً قليلاً ،

فما قولك وهو يعلم انه تاركهم ابد الدهر في هذا الأُتون المضطرب، وهذه الفتن المتلاحقة؟

بلىٰ ان هذا الامر يعد في نظر العقلاء حقيقة مسلمة وبديهية ثابتة، كما ان الذي ليس بخاف على احد له ادنى اطلاع بحقائق التاريخ ومجرياته ان رسول الله صلّى الله عليـه وآله قد أُبلغ من قبل السماء بأن رحيله عن هذه الدنيا وشيك، وان هذا الامر ليس ببعيد، والى ذلك تشير بوضوح كثير من الشواهد والادلة التي لا خلاف في صحتها، كخطبته صلّى الله عليـه وآله في حجة الوداع، وتفسيره لتلاحق نزول القرآن، وزيارته الأهل البقيع، وغير ذلك مما لاجدوىٰ من تكراره وإعادته لوضوحه، وعدم الاختلاف فيه.

فما هو عذر من يعتذر عن عدم استخلاف رسول الله صلّى الله عليـه وآله رجلاً يتولى قيادة هذه الامة نحو مرفأ الأمان، وبر السلامة، كما كان هو، في ظروف شديدة التعقيد والتأزّم، وهو يعلم يقيناً ان من أُمته هذه من يرتد بعده متخبطاً بالفتن والاضطرابات.

بلىٰ ان رسول الله صلّى الله عليـه وآله لم يكن يخفىٰ عليه هذا الامر، طالما ان القرآن قد خاطب هذه الامة في حياته بقوله تعالى: ﴿**وَما مُحمَّدٌ إلاّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلهِ الرُّسُلُ أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقَلَبتُم على أعقابِكُم**﴾[١] ان ذلك ما لا يرتضيه العقلاء، فكيف بالرحمة الالهية العظيمة والمقدسة.

ان التأمل في النصوص المقدسة المتلاحقة ـ والتي لا يستطيع احد امامها انكاراً أو تكذيباً الا ان يكون مغالطاً للحقيقة، أو متجنياً عليها ـ تدل على ثبوت حقيقة استخلاف رسول الله صلّى الله عليـه وآله رجلاً من بعده بالنص القرآني، والامر النبوي الذي ما كان لينطق عن الهوى، بل هو وحي

---

(١) آل عمران٣: ١٤٤.

يوحىٰ .

وقبل ان نستعرض سوية جملة مختارة من هذه الشواهد الجمة، بل ومن قبل ان نسطر امام اعين صاحب التصحيح تلك الادلة التي يدعي ظلماً نكران وجودها في مسألة الوصية الشرعية الثابتة بولاية امير المؤمنين علي عليه السلام، سنحاول الاستطراق العاجل لثبات مفهوم الوصية في سجل الشرائع السماوية المترادفة طول التاريخ، والتي تبين حقيقة السنة الالهية الثابتة في اقرار هذا المبدأ المتعلق بمفهوم اللطف الالهي الرامي الى انقاذ هذه البشرية من الضلال والضياع .

وسنحاول هنا أن نورد جانباً ممّا ذكره أحد الكتّاب المعاصرين يختص بهذا الموضوع، استشهاداً به على المراد، ولدقته في مناقشته لهذا الموضوع :

قال تحت عنوان (الوصية في الامم السابقة) : قد سلسل المسعودي اتصال الحجج واوصياء الانبياء من لدن آدم حتى خاتم النبيين صلوات الله عليهم اجمعين واوصيائه، فقد ذكر مثلاً :

* إنّ وصي آدم كان شيث عليهما السلام .

* وإن وصي إبراهيم كان إسماعيل عليهما السلام .

* وإن وصي يعقوب كان يوسف عليهما السلام .

* وإن وصي موسى كان يوشع بن نون بن امزائيل بن يوسف عليهما السلام .

وخرجت عليه صفورا زوجة موسى عليه السلام .

* وان وصي عيسى كان شمعون عليهما السلام .

* وإن وصي خاتم الانبياء محمّد صلّى الله عليه وآله كان علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الاحد عشر من ولده .

قال: ونحن نقتصر هنا بذكر ثلاثة من الاوصياء المذكورين اعلاه:

أ ـ خبر وصية آدم لشيث:

(لما حضر آدم الوفاة.. جعل وصيته الى شيث).

وقال الطبري:

هبة الله، وبالعبرانية: شيث بن آدم، واليه اوصى آدم... وكتب وصيته، وكان شيث في ما ذكر وصي ابيه آدم عليهما السلام.

وقال المسعودي في خبر وصية آدم ثم وفاته:

ثم ان آدم ادى الوصية الى شيث، احتقبها واحتفظ بمكنونها، وأتت وفاة آدم...

وقال ابن الاثير:

وتفسير شيث: هبة الله، وهو وصي آدم، ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى شيث.

وقال ابن كثير:

ذكر وفاة آدم ووصيته الى ابنه شيث عليهما السلام:

ومعنى شيث: هبة الله... ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى ابنه شيث.

ب ـ خبر يوشع بن نون وصي موسىٰ:

اولاً: يوشع بن نون في التوراة:

ورد في مادة يوشع من قاموس الكتاب المقدس نقلاً عن التوراة:

ان يوشع بن نون كان مع موسى في جبل سينا، ولم يتلوث بعبادة العجل على عهد هارون.

وفي آخر الاصحاح السابع والعشرين من سفر العدد ورد خبر تعيينه من قبل الله وصياً لموسى كالآتي نصه.

وذكر النص.

ج ـ خبر شمعون وصي عيسى:

اولاً: ورد في قاموس الكتاب المقدس ذكر عشرة اشخاص بهذا الاسم، منهم: شمعون بطرس، وشمعون اسمه في التوراة سمعون، وقد ورد خبره في انجيل متى الاصحاح العاشر كالاتي:

ثم دعا ـ يعني عيسى ـ تلاميذه الاثني عشر واعطاهم سلطاناً على ارواحٍ نجسةٍ حتى يخرجوها، ويشفوا كل مرض، وكل ضعف... وأمّا الاسماء الاثني عشر رسولاً فهي هذه:

الاول: سمعان الذي يقال له بطرس...

وفي انجيل يوحنا، الاصحاح (٢١) العدد (١٥ ـ ١٨): ان عيسى اوصى اليه وقال له: (ارع غنمي) كناية عن رعاية من آمن به.

ثانياً: شمعون في مصادر الدراسة الاسلامية.

ذكر خبره اليعقوبي وسماه سمعان الصفا.

وقال المسعودي في (١: ٣٤٣): قتل برومية بطرس واسمه باليونانية شمعون، والعرب تسميه سمعان.

وفي مادة (دير سمعان) من معجم البلدان:

دير سمعان: بنواحي دمشق، وسمعان هذا الذي ينسب اليه الدير احد اكابر النصارى، ويقولون انه شمعون الصفا.

انتهى ما نقلناه عن العلاّمة العسكري.

واخيراً لنقرأ جملة من تلك النصوص التي زوى صاحب التصحيح عنها عينيه، واعرض عن وجودها بعارضيه:

١ ـ حديث الدار :

بعـد ان نزل الامـر الالهي القاطع في قوله تعالى ﴿وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقرَبِينَ﴾[١] دعا رسول الله صلّى الله عليـه وآله بني عبدالمطلب اليه، وبعد ان قدّم لهم الطعام والشراب ـ في قصة طويلةذكرهاجميع المؤرخين، حيث ابدىٰ لهم فيها رسول الله صلّى الله عليـه وآله الكثير من المعجزات الخارقة الدالة عل نبوته ـ توجه اليهم قائلاً:

يا بني عبدالمطلب، والله ما اعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، اني جئتكم بخير الـدنيا والآخرة، وقد امرني الله تعالى ان ادعوكم اليه، فأيكم يؤازرني على هذا الامر، على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

قال علي عليه السلام ـ وهو الراوي ـ: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت ـ وانا لاحدثهم سناً ـ: انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه.

فأخذ برقبتي ثم قال: هذا اخي، ووصيي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له واطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب: قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع[٢].

---

(١) الشعراء٢٦ : ٢١٤.

(٢) تأريخ الطبري ٢ : ٢١٧، الكامل في التأريخ : ٢ : ٦٢، تأريخ ابو الفداء ١ : ١١٦، شرح الشفا ٣ : ٣٧، شرح النهج لابن ابي الحديد ١٣ : ٢١٠، معالم التنزيل ٤ : ٢٧٨، شواهد التنزيل ١ : ٣٧٢، السيرة الحلبية ١ : ٤٦١.

٢ ـ حديث المنزلة :

ودلالة حديث المنزلة على استخلاف علي عليه السلام بينة لمن تدبر بتأن وروية، واماط عن عينه وعن عقله غبار الغفلة والخداع.

قال صلّى الله عليه وآله مخاطباً علي بن أبي طالب عليه السلام : انت مني بمنزلة هارون من موسىٰ، الا انه لا نبي بعدي[١].

أقول: ان التأمل في مفردات هذا الحديث تدلنا بوضوح على مراد رسول الله صلّى الله عليه وآله ووضوح مراميه.

فالقرآن الكريم يحدثنا عن توسل موسى عليه السلام بالله تعالى ـ حين امره ان يتوجه الى فرعون لابلاغه امر الله تعالى ورسالته ـ أن يجعل من أخيه هارون وزيراً له بقوله الذي يحكيه القرآن: ﴿**وَاجعَل لّي وَزيراً مِنْ أهلي * هارُونَ أخِي * آشدُد بِهِ أزرِي * وَأَشرِكهُ في أمرِي * كَي نُسَبّحَكَ كثيراً * وَنَذكُرَكَ كَثِيراً * إنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً**﴾[٢].

فاستجاب له تعالى هذا التوسل والرجاء بقوله: ﴿**قَد أُوتِيتَ سُؤلَكَ يا مُوسىٰ**﴾[٣] واشار إليه قوله تعالى في موضع آخر: ﴿**وَلَقَدْ ءاتَينَا مُوسى الكِتَابَ وَجَعَلنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً**﴾[٤] فما كانت تلك الوزارة التي جعلها الله تعالى لهارون، ان قوله تعالى حاكياً عن قول موسى عليه السلام

---

(١) صحيح البخاري ٥: ٨٩ /٢٠٢ ، صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٠/٢٤٠٤، سنن الترمذي ٥ : ٣٧٣٠، مستدرك الحاكم ٢ : ٣٣٧، مسند أحمد ١ : ١٧٣، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٤، مصابيح السنّة ٤ : ١٧٠/٤٧٦٢، الرياض النظرة ٢ : ١٥٧، الصواعق المحرقة: ٣٠، تأريخ الخلفاء ١ : ٦٥، تأريخ بغداد ٤ : ٢٠٤ .

(٢) طه ٢٠ : ٢٩ ـ ٣٥.

(٣) طه ٢٠ : ٣٦.

(٤) الفرقان ٢٥ : ٣٥.

يفسرها بوضوح ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(١).

٣ ـ حديث الثقلين :

روت المصادر الحديثية المختلفة قول رسول الله صلّى الله عليه وآله : اما بعد الا ايها الناس، انما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيب، وانا تارك فيكم الثقلين: اولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، واهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي. وفي لفظ آخر: اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي اهل بيتي، ولن يفترقا حتىٰ يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما(٢).

٤ ـ حديث السفينة :

وكذلك فقد روت المصادر الحديثية المختلفة قوله صلّى الله عليه وآله: مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق.

وفي لفظ آخر: انما مثل اهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وانما مثل اهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل، من دخله غفر له(٣).

---

(١) الاعراف ٧: ١٤٢.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٦٦٢ و٦٦٣، مسند احمد ٣: ١٧ و٥: ١٨١، مستدرك الحاكم ٣: ١٠٩، أُسد الغابة ٢: ١٢.

(٣) مستدرك الحاكم ٢: ٣٤٣، تأريخ بغداد ١٢: ٩١، حلية الاولياء ٤: ٣٠٦، مجمع الزوائد ٩: ١٦٧، ذخائر العقبىٰ: ٢٠.

ولاستاذنا الجليل سماحة السيد عبدالحسين شرف الدين رحمه الله في هذا المقام استدلال بليغ بهذا الحديث في مراجعته الثامنة مع العلامة الشيخ سليم البشري (١٢٤٨ ـ ١٣٣٥ هـ) شيخ الجامع الازهر رحمه الله، يطيب لي الاستشهاد به في هذا المقام، يقول رحمه الله: وانت تعلم ان المراد بتشبيههم بسفينة نوح ان من لجأ اليهم في الدين فأخذ فروعه واصوله عن ائمتهم الميامين نجا من عذاب النار، ومن تخلف عنهم كان كمن آوى يوم الطوفان الى جبل يعصمه من امر الله، غير ان ذاك غرق في الماء وهذا في الحميم، والعياذ بالله، والوجه في تشبيههم عليهم السلام بباب حطة هو ان الله تعالى جعل ذلك الباب مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع الى حكمه، وبهذا كان سبباً للمغفرة، وقد جعل انقياد هذه الامة لاهل بيت نبيها والاتباع لائمتهم مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع لحكمة، وبهذا كان سبباً للمغفرة، وهذا وجه الشبه.

والمراد بأهل بيته هنا مجموعهم من حيث المجموع باعتبار ائمتهم، وليس المراد جميعهم على سبيل الاستغراق، لان هذه المنزلة ليست الا لحجج الله والقوامين بأمره خاصة، بحكم العقل والنقل، وقد اعترف بهذا جماعة من اعلام الجمهور، ففي الصواعق المحرقة لابن حجر: وقال بعضهم يحتمل ان المراد بأهل البيت الذين هم أمان علماؤهم لانهم الذين يهتدى بهم كالنجوم، والذين اذا فقدوا جاء اهل الارض من الآيات ما يوعدون.

٥ ـ تبليغ سوره براءة:

لا اغالي اذا قلت بأنّ في قصة تبليغ سورة براءة الكثير من الدلائل القاطعة والحاسمة المؤكدة لخلافة علي عليه السلام بعد رسول الله صلّى

الله عليـه وآله ونفيها عن غيره قطعاً، لنتأمل الواقعة، ثم نتباحث في دلالاتها:

روت المصـادر الحـديثية والتاريخية عن ارسال رسول الله صلّى الله عليـه وآلـه لابي بكـر الى اهل مكة بسورة براءة، وترافقها جملة من الاوامر والتـوضيحـات، فيهـا: ان لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف في البيت عريان، ولا تدخل الجنة الا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله الى مدته، والله بريء من المشركين، ورسوله.

قالوا: فسار بها ابو بكر ثلاثاً، ثم قال النبي صلّى الله عليـه وآله لعلي عليه السـلام: الحقه، فرد عليَّ أبا بكر، وبلِّغها انت.

قالـوا: ففعل، فبينما أبو بكر في بعض الطريق، اذ سمع رغاء ناقة رسـول الله صلّى الله عليـه وآله القصـوى، فخرج أبو بكر فزعاً، فظن انه رسول الله صلّى الله عليـه وآله، فاذا هو علي عليه السـلام، فدفع اليه كتاب رسول الله صلّى الله عليـه وآله، واخذها منه وسار، ورجـع ابو بكر.

فلما قدم على رسول الله صلّى الله عليـه وآله بكى وقال:

يا رسول الله، أحـدث فيَّ شيء؟

قال: لا، ولكن (أُمرتُ) ان لا يبلغها الا انا او (رجل مني)[1].

أقـول: ماذا يعني قوله صلّى الله عليـه وآله (أُمرتُ)، ومن اين يتلقىٰ رسول الله صلّى الله عليـه وآله أوامره؟

ثم ماذا تعني عبارته (رجل مني)؟

ثم ولِمَ اختار رسول الله صلّى الله عليـه وآله ابا بكر لتبليغ سورة براءة

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٣٦/٣٧١٩، مستدرك الحاكم ٣: ١٣٢، الصواعق المحرقة: ١٢٢، الاصـابة ٤: ٢٧٠، مسند أحمد ١: ٣، ٣٣١و ٣: ٢١٢، ٢٨٣و ٤: ١٦٤، ١٦٥، مجمـع الـزوائد ٩: ١١٩، تفسير الطبري ١٠: ٤٦، الخصائص للنسائي: ٨، البداية والنهاية ٧: ٣٥٠.

دون جميع المسلمين مع علمه وعلم الجميع دون استثناء افتقار ابي بكر لتلك الشجاعة والبطولة المعدودة ليقف أمام جموع المشركين دون اي خوف وتردد ليبلغهم هذا الامر القطعي والرهيب في عقر دارهم ومركز تجمعهم؟

انها دعوة للتأمل هنيهة فيما اغفله عمداً المتغافلون.

٦ـ قصة الغدير:

قصة الغدير، وما اكتنزته من وقائع وشواهد، طار صيتها في الآفاق بشكل ليس له نظير، وتداولتها أفواه الجميع حتى في مجالس سمرهم، وبلغت حد التواتر عند جميع المسلمين، ولم تخل منها معظم المراجع التاريخية والحديثية، الا من حاول جهده نكران ابسط الحقائق والمسلّمات في حياة الامة الاسلامية، ومجمل عقائدها، بيد ان هذا الحديث قد لاقىٰ الكثير من التعتيم والتحريف، طول التاريخ من اعداء الاسلام التقليديين، ومن الحاقدين على سيف علي الذي اخذ من آبائهم واجدادهم ماخذاً كبيراً، ومن الحاسدين لعلي فضله ومكانته عند الله تعالى ورسوله.

واليك روايةهذه الواقعة عن طريق واحد من رواتها الذين بلغوا من الكثرة حداً لا يمكن الاغضاء عنه:

فقد روي عن زيد بن ارقم قوله: أنه لما رجع النبي صلّى الله عليه وآله من حجة الوداع، ونزل في غدير خم، أمربدوحاتفقممن، ثم قال: كأني دعيت فاجبت، واني تارك فيكم الثقلين، احدهما اكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

ثم قال صلّى الله عليه وآله: ان الله مولاي، وانا ولي كل مؤمن.

ثم أخـذ بيد علي فقـال: من كـنت وليه فهذا وليه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

قال ابو الطفيل: فقلت لزيد: سمعته من رسول الله صلّى الله عليـه وآله؟

فقال: وانه ما كان في الدوحات احد الا رآه بعينيه وسمعه باذنيه.

وفي رواية البراء بن عازب: كنا مع رسول الله صلّى الله عليـه وآله، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصـلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلّى الله عليـه وآلـه تحت شجرتين، فصلى الظهر، واخذ بيد علي، فقال: الستم تعلمون اني اولى بالمؤمنين من انفسهم؟

قالوا: بلى.

قال: الستم تعلمون اني اولى بكل مـؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى.

قال: فأخذ بيد علي فقال: من كـنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه.

قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا بن ابي طالب، اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة[١].

هذا جانب من قصة الغدير التي جهد اعداء الله ورسوله على اخفائها والتقليل من اهميتها قدر ما اعانهم على ذلك الشيطان وقبيله، والا فما هو جواب اولئك المتفيهقين والمتشدقين ظلماً بحمل راية الاسلام والـدفاع عن حوزته عن معنى هذه القصة؟ ولم اوقف رسول الله صلّى الله عليـه وآله هذه

---

(١) للاطلاع على واقعة الغدير ورواتها وصحة اسانيدها يرجع الى عشرات المؤلفات التي افردت لشرح هذه الواقعة، حيث يُعد بخساً لها ايراد مصادرها هنا في هذه العجالة، فراجع....

الجموع الكثيرة في هذا المكان، وفي هذا الجو اللاهب، والشوق العارم نحو الاهل والولدان والاوطان ليقول ما يقول، وليبلغ ما يبلغ؟ وما هو ذلك الامر الذي دعاه لان يدعو الجميع دون استثناء للتجمع والانصات لما يقول؟

ثم ما معنى قوله تعالى في سورة المائدة ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ وإنْ لَّمْ تَفعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[١].

فأي امر قصّر رسول الله صلّى الله عليه وآله في ادائه ليتوجه له هذا الخطاب القطعي والحاسم؟ بل واي شيء من الفرائض السماوية لم يفرض على المسلمين ولم يتعبدوا به قبل هذا اليوم؟ فالصلاة قائمة، والزكاة مفروضة، والصوم كان مشرّعاً، والبيت محجوجاً، والحلال والحرام بيّنان، وجميع الاحكام واضحة ومبيّنة للجميع دون استثناء، فما هو ذلك الامر الذي يقرنه الله تعالى بمجمل الرسالة السماوية العظيمة الند بالند؟

بل وما هو الامر الذين بلّغه رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد هذه الآية الكريمة المنذرة ليعقبها الله تعالى بقوله ﴿**اليومَ اكملتُ لكُم دِينَكُم وَاتَممتُ عَليكُم نِعمتي وَرَضيتُ لَكُمُ الاسلامَ دِيناً**﴾[٢]!!

انا نقول وبلا تردد ـ وصاحب التصحيح يعرف ذلك قطعاً ولكن. . . : ان هذه الآية الكريمة نزلت يوم الغدير بحق ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وتأكيداً لما رويناه من الواقعة المتقدمة، وفي ذلك يوافقنا من هداه الله تعالى سبيل السلام.

---

(١) المائدة ٥ : ٦٧.

(٢) المائدة ٥ : ٣.

ولله اقول: ما ابين الحق امام ناظريه، واوضح السبيل امام سالكيه، الا ان الرجال وللاسباب التي تعرضنا اليها آنفاً لم يألوا جهداً في اطفاء نور الله تعالى، واخفاء الحق ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً، ورحم الله الكميت اذ قال:

ويوم الدوح دوح غدير خم ... أبان له الخلافة لو أُطيعا
ولكن الرجال تبايعوها ... فلم أرَ مثلها خطراً مبيعا
ولم أرَ مثل ذاك اليوم يوماً ... ولم أرَ مثله حقاً أُضيعا

٧ ـ نصوص أخرى متفرقة:

أ ـ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لكل نبي وصي ووارث، وان وصيي ووارثي علي بن ابي طالب(١).

ب ـ وقال صلّى الله عليه وآله: يا انس، اول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين، وقائد الغر المحجلين.

قال أنس: فجاء علي، فقام اليه رسول الله صلّى الله عليه وآله مستبشراً فاعتنقه، وقال له: انت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي(٢).

ج ـ وقال صلّى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء عليها السلام: يا فاطمة،

---

(١) انظر: ترجمة الامام علي عليه السلام من تأريخ دمشق ٣: ٥، ميزان الاعتدال ٢: ٢٧٣، ينابيع المودة: ٧٩، المناقب للمغازلي: ٢٠٠، الرياض النظرة ٢: ٢٣٤، كفاية الطالب: ٦٢٠.

(٢) حلية الأولياء ١: ٦٣، ميزان الاعتدال ١: ٦٤، ترجمة الامام علي عليه السلام من تأريخ دمشق ٢: ٤٨٧، كفاية الطالب: ٢١٢، مطالب السؤول: ٢١.

اما علمت ان الله عزّ وجلّ اطلع على اهل الارض فاختار منهم اباك فبعثه نبياً، ثم اطلع الثانية فاختار بعلك، فاوحىٰ الي، فانكحته، واتخذته وصياً[١]

د ـ وقال صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: انت اخي ووارثي.

قال: وما ارث منك؟

قال صلّى الله عليه وآله: ما ورث الانبياء من قبلي[٢].

٨ ـ واخيراً رزية يوم الخميس:

لا اريد ان اطلق لقلمي العنان في هذا السيدان الرحب، والمرتكض الواسع، حيث تتساقط فيه جميع الاقنعة، وتنكشف فيه جميع الوجوه، بلى وان كان القلم لا يريد ان يطاوعني، الا اني اسكّن بين الفينة والاخرى من روعه، ومن حرارة جيشانه.

فمنذ ان تفتحت عيناي امام هذه الحقائق الرهيبة، وحين كنت صبياً يافعاً اتصفح جملة الكتيبات التي تحويها مكتبة ابي الخاصة، هزتني حتى الاعماق هذه الواقعة المؤلمة، ولم اتمالك نفسي من البكاء امام هذا الصلف المقيت وهذه الجرأة التي لا تقف امام حد، ولا ترعوي امام شيء، بل وكنت احمل في قرارة نفسي احتقاراً مضاعفاً لمن يمر على هذهِ القصة المفجعة دون ان يهتز من اعماقه الماً، وتنفجر احاسيسه جزعاً، ناهيك بمن لا يخجل من الكذب والافتراء، وقلب الحقائق امام ناظري الآخرين، وصاحب التصحيح واحد من اولئك الذين بلغت بهم السماجة حداً لا يسع

---

(١) كفاية الطالب: ٢٩٦، مجمع الزوائد ٨: ٢٥٣، الفصول المهمة: ٢٨١، ينابيع المودة: ٩٢، المناقب للمغازلي: ٢٨١.

(٢) ترجمة الامام عليه عليه السلام من تأريخ دمشق ١: ١٠٨، تذكرة الخواص: ٢٣، الرياض النظرة ٢: ٢٣٤، ينابيع المودة: ٥٦، فرائد السمطين ١: ١١٥ ـ ١٢١.

المرء امامه ان يبقى صامتاً، دون ان يرد تقولاته الى فمه.

ماذا جرى يوم الخميس في بيت نبي الرحمة، ورسول رب العالمين، الرسول المختار، وخاتم النبيين، وحبيب اله العالمين، محمد بن عبدالله صلّى الله عليـه وآله؟

بذلك تحدثنا هذه الاسطر المعدودة:

روى البخاري بسنده عن عبدالله بن عباس، قال: لما حضر رسول الله صلّى الله عليـه وآله، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي صلّى الله عليـه وآله: هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال عمر: ان النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف اهل البيت فاختصمـوا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبي كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قاله عمر، فلما كثر اللغـو والاختلاف عند النبي، قال لهم رسول الله صلّى الله عليـه وآله: قوموا عني. فكان ابن عباس يقول: ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلّى الله عليـه وآله وبين ان يكتب هلم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم (١).

وفي رواية سعيد بن جبير: قال ابن عبـاس: يوم الخميس، وما يوم الخميس! ثم بكى حتى بل دمعه الحصى، فقلت: يا ابن عباس: وما يوم الخميس؟

قال: اشتد برسول الله صلّى الله عليـه وآله وجعه، فقال: ائتوني اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي، فتنازعوا، وما ينبغي عند نبي التنازع، وقالوا: ما شأنه، اهجر؟ استفهموه!

---

(١) صحيح البخـاري ٧: ٢١٩/ ٣٠، وانـظر كذلك: صحيح مسلم ٣: ١٥٩/٢٢، مسند أحمد ١: ٣٢٤، البداية والنهاية ٥: ٢٠٠، الكامل في التأريخ ٢: ٣٢٠.

قال: دعوني، فالذي انا فيه خير [١] .

وفي مسند احمد عن جابر بن عبدالله الانصاري، قال: ان النبي صلّى الله عليه وآله دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلون بعده، فخالف عمر بن الخطاب حتى رفضها [٢]

أقول: لستُ الآن بصدد محاكمة عمر واصحابه وانما أُرجيء امرهم وأمر العاذرين لهم الى الله سبحانه إشفاقاً على الأُمّة وكرامة لها وتجنباً للاساءة الى اخوان نحن أحرص ما نكون على الاحتفاظ باخوتهم وودهم رغم كيد الكائدين ومنهم صاحب التصحيح!

بل انما اريد ان اسأل المنصفين: ماذا اراد رسول الله صلّى الله عليه وآله ان يكتب في اواخر لحظات حياته، هل هي احكام، ام توصيات، ام اوامر، ام ماذا؟ وهل تكفي هذه اللحظات المعدودة بعد ذلك العمر المديد؟ وهل يكفي كتاب صغير لا يستوعب الا اسطراً معدودة لان يكتب فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله ما فيه نجاة الأُمة، وسبيل صلاحها!!

لا وألف لا، بل الحق بيِّن أمام ناظريه، ولكن مَنْ تعالى أو تغافل فلا ينفعه إلا اصلاح نفسه ورفع الغشاوة عن عينه.

ثم اذا كان كذلك ألا يعني هذا تناقض واضح ـ في رأي اولئك ـ بين موقف رسول الله صلّى الله عليه وآله ونص الآية الكريمة ﴿**اليومُ اكملتُ لكُم دِينكُم** . . .﴾ التي يفسرونها باكتمال احكام الدين وتعاليمة!؟

اني اتساءل لعل الغافلين ينتبهوا لما يرددون من أكاذيب المغرضين.

---

(١) انظر: صحيح مسلم ٣: ١٦٣٧/١٢٥٧، مسند ابي يعلىٰ ٤: ٢٩٨، مسند أحمد ١: ٢٢٢، البداية والنهاية ٥: ٢٠٠، تأريخ الطبري ٣: ١٩٣.

(٢) مسند أحمد ٣: ٣٤٦.

واليك اخيراً ما رواه ابن ابي الحديد في تفسيره للنهج، حيث قال: ان عمر بن الخطاب سأل عبدالله بن العباس، وكانا يتحادثان، فقال: يا عبدالله عليك دماء البدن ان كتمتها، هل بقي في نفس علي شيء من امر الخلافة؟

قال ابن عباس: فقلت: نعم.

قال: ايزعم ان رسول الله نص عليه؟

قلت: نعم، وازيدك: سألت ابي عما يدعيه فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان رسول الله من امره ذرو من قول، لا يثبت حجة، ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في امره وقتاً ما، ولقد اراد في مرضه ان يصرّح باسمه، فمنعت من ذلك اشفاقاً، وحيطة على الاسلام!!

ورب هذه البنية، لا تجتمع عليه قريش ابداً، فعلم رسول الله اني علمت ما في نفسه، فأمسك!!![1].

اقول: ليتأمل المتأملون، وليحكموا بما تقرره عقولهم.

وهكذا تجد بوضوح بطلان ما ذهب اليه هذا الرجل من دعوى سقيمة لا تقف امام النقد ولا تجد امامه اي حيلة او مخاتلة، وهذا هو ديدن من يعرض عن نور الحق صفحاً ويلهث امام بريق الدنيا وزخارفها البالية.

نعم ان ما تقوّله صاحب التصحيح من ادعاء صلف بنفي النص على امامة علي ابن ابي طالب قد بان بطلانه، وظهر كذبه.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فأن صاحب التصحيح قد ادعى زوراً ان علي بن ابي طالب عليه السلام كان يؤكد شرعية الخلفاء من قبله، ولست ادري من اين له اثبات مدعاه هذا!! هل بلغ به الجهل والغفلة هذا الحد

---

(١) شرح النهج ١٢ : ٢١.

الكبير من الانحدار العظيم عن ادراك ابسط الشواهد التاريخية التي لا اعتقد لحظة واحدة على انها تخفى قطعاً حتى على خريجي الكتاتيب بل والأُميين ممن قد يعسر عليهم البحث والتنقيب في متون الكتب التاريخية المختلفة، ناهيك بمن يريد هو ان يخادعه بكلماته المعسولة المنقعة بالسم الزعاق، ام يريد ان يقول لنا بأن المسلمين شارفوا على درجة عظيمة من الجهل والغفلة وعدم الادراك السليم لوقائع التاريخ المختلفة، حتى يأتي هو وغيره من الكتّاب والباحثين ليخلطوا أمامهم الحقائق ويتلاعبوا بها كيف شاءوا وانىٰ شاءوا، ام ماذا!!؟

عجيب ان تبلغ الجرأة بالمرء هذا الحد من التجرأ على تزييف ابسط الحقائق، وقلبها رأساً على عقب، هل آسي عليه ام ازدريه، لا ادري!!

أقول: ـ وليس قولي هذا لصاحب التصحيح، لأنه يدرك بوضوح مبلغ ضعف ما تقوّله، وما حاول ان يمرره على اذهان البسطاء من المسلمين، وكذلك فان هذا الرجل يدرك بوضوح ما سأقوله ـ:

ان المطالعة المتأنية لكثير من المفردات التاريخية المختلفة المتصلة بسيرة الامام عليه السلام، تكشف بوضوح للمطالع جملة واسعة وثابتة من الحقائق المؤكدة لاعتراضه عليه السلام صراحة ودون مواربة على ماترتب عليه الامر بعد مؤتمر السقيفة المشهور من فعل جهد على صرف هذا الامر عن اهله الشرعيين، وكان لاغلب المشاركين فيه ذلك التوافق الواضح في هذا الجانب من اهدافهم، وان تعارض جوانب أُخر منها.

ولنشرع معاً من خلال هذه الاسطر القليلة القادمة في استقراء بعض تلك الحقائق الناصعة ،والمؤيدة لحقيقة ما زعمناه، وما عارضناه فيه صاحب التصحيح:

١ ـ لا تختلف معظم المراجع الحديثية والتاريخية على تخلف الامام

علي عليه السلام من البيعة لابي بكر ستة اشهر كاملة، وبالتحديد لما بعد وفاة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، وما دفعه الى هذا الامر الا خشية الامام عليه السلام على هذه الامة الطرية العود والغضة الاطراف ، وكثيرة الاعداء، من الفتنة والاضطراب الذي سيشكل بالتالي تهديداً خطيراً على وجود هذا الدين الحنيف بأكمله، والذي كان لسيفه وجهاده الفضل الاكبر في قيامه واشتداد عوده، وهو ما تشير اليه كلماته الرائعة التي سنتعرض اليها في صفحاتنا التالية.

فما هو تفسير صاحب التصحيح وتعليله لهذه الحقيقة الثابتة التي اقر بوقوعها الجميع، لِمَ لَمْ يبايع عليه السلام طيلة هذه الاشهر اذا كان الامر كما يقول صاحب التصحيح؟ انه مجرد تساؤل.

٢ ـ واعضاداً لما تقدم، نقول لصاحب التصحيح: ما هو تفسيره لمحاولة ابي بكر وعمر اقسار علي عليه السلام على البيعة، بل وتهديده بالاحراق؟ فلنقرأ معاً ولنتأمل:

روى ابن قتيبة في الامامة والسياسة، والطبري في تاريخه، وابن ابي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج، والبلاذري في انساب الاشراف، والشهرستاني في الملل والنحل، وابن شحنة في تاريخه، وابو الفداء في تاريخه، وابن طيفور في اعلام النساء، وغيرهم في غيرها، تفاصيل هذه الواقعة بأشكال لا تختلف مضامينها، واليك بعض تفاصيلها بلفظ الاول:

قال: وان ابا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي عليه السلام، فبعث اليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا ان يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لاحرقنّها على مَنْ فيها!!

فقيل له: يا ابا حفص، ان فيها فاطمة! فقال: وان!!

فخرجوا فبايعوا الا علياً....

فوقفت فاطمة عليها السلام على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا اسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلّى الله عليه وآله جنازة بين ايدينا، وقطعتم امركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقاً.

فأتى عمر ابا بكر فقال له: الا تاخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟

فقال ابو بكر لقنفذ ـ وهو مولى له ـ: اذهب فادع علياً.

قال: فذهب الى علي فقال له: ما حاجتك؟

فقال: يدعوك خليفة رسول الله!

فقال علي عليه السلام: لسريع ما كذبتم على رسول الله .فرجع فابلغ الرسالة. . .

فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عن البيعة.

فقال ابو بكر لقنفذ: عُد اليه فقل له: امير المؤمنين يدعوك لتبايع.

فجاءه قنفذ، فادىٰ ما امر به، فرفع علي عليه السلام صوته.

فقال: سبحان الله! لقد ادعى ما ليس له.

فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة. . . .

ثم قام عمر فمشى معه جماعة [لست ادري اين كانت هذه الجماعة يوم عمر ابن ود العامري وغيره من الايام!!].

حتى اتوا باب فاطمة عليها السلام، فلما سمعت اصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا ابت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابي قحافة.

فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين. . .

وبقي عمر ومعه قوم، فاخرجوا علياً، فمضوا به الى ابي بكر، فقالوا له: بايع.

فقال: وان انا لم افعل، فَمَهْ؟

قالوا: اذاً ـ والله الذي لا اله الا هو ـ نضرب عنقك!!!...

٣ ـ بل وتأكيداً لما تقدم اقول: روى كل من الطبري في تاريخه، والمسعودي في مروج الذهب، والدينوري في الاخبار الطوال، وابن ابي الحديد في شرحه للنهج، وابن عبدربه في العقد الفريد، وابو عبيدة في الاموال، وابن حجر في لسان الميزان، والذهبي في تاريخه، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ان ابا بكر قال في مرض موته: اما اني لا آسي على شيء في الدنيا الا على ثلاث فعلتها، وددت اني لم افعلهن ـ الى ان قال ـ: فوددت اني لم اكشف عن بيت فاطمة، وتركته ولو اغلق على حرب.

٤ ـ ومن ثم يا صاحب التصحيح، اذا كان علي بن أبي طالب عليه السلام ـ على حد زعمك ـ يؤكد شرعية الخلفاء، فما هو تفسيرك لخطبه، وكتبه، وكلماته، المتعارضة صراحة مع ما تقول؟ مع ما فيها من الوضوح الذي لا غبار عليه.

والحق أقول: لا أدري ما يملك هذا الرجل من جواب أمام سائليه عندما يحاج بما يعرفه ويتبجح بنكرانه!

الا اني ساحاول في هذه العجالة ان اورد بعض الشواهد الثابتة الواردة عن الامام علي عليه السلام في مجمل كلمه الرائع، لتكون حجة على من يوافق هذا الرجل في مذهبه:

أ ـ لنقرأ اولاً بعضاً من خطبته المسماة بالشقشقية ولنتأمل في مفرداتها، قال عليه السلام: اما والله لقد تقمصها فلان [وفي بعض المصادر: ابن ابي قحافة، ولا اختلاف بين الاثنين، لان التلميح يغني في بعض المواضع عن التصريح] وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل، ولا يرقى الي الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت

عنها كشحاً، وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جذاء، أو اصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتىٰ يلقىٰ ربه، فرأيت ان الصبر على هاتا احجىٰ.

فصبرت، وفي العين قذىٰ وفي الحلق شجا، ارىٰ تراثي نهبا.

حتى مضى الاول لسبيله، فادلىٰ بها الى فلان بعده.

ثم تمثل عليه السلام بقول الاعشىٰ:

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فيا عجباً!! بينا هو يستقيلها[1] في حياته، اذ عقدها لآخر بعد وفاته ـ لشد ما تشطرا ضرعيها ـ فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثارفيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم، وان اسلس لها تقحّم، فمني الناس ـ لعمر الله ـ بخبط وشماس وتلون واعتراض.

فصبرت على طول المدة وشدة المحنة، حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم، فيالله وللشورى، متى اعترض الريب فيَّ مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر، لكنني اسففت اذا اسفوا، وطرت اذ طاروا.

فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن.

الى ان قام ثالث القوم نافجاً حضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع، الى ان انتكث عليه قتله، واجهز عليه عمله، وكبت به بطنته...

---

(١) اشارة الى قول أبي بكر: اقيلوني اقيلوني.

ب ـ وفي كتابه عليه السلام الى اهل مصر، والذي بعثه مع صاحبه الوفي مالك الاشتر رحمه الله تعالى يقول: اما بعد: فان الله سبحانه بعث محمداً صلّى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين، فلمّا مضىٰ عليه السلام تنازع المسلمون الامر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي ان العرب تزعج هذا الامر من بعده صلّى الله عليه وآله وسلم عن اهل بيته، ولا انهم منحوه عني من بعده، فما راعني الا انثيال الناس على فلان ليبايعونه، فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمّد صلّى الله عليه وآله، فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلماً او هدماً، تكون المصيبة به علي اعظم من فوت ولايتكم....

ج ـ وفي احدى خطبه يقول عليه السلام: .... فنظرت فاذا ليس لي معين الا اهل بيتي، فظننت بهم على الموت، واغضيت على القذىٰ، وشربت على الشجى، وصبرت على اخذ الكظم، وعلى أمر من طعم العلقم.

د ـ وقال عليه السلام في موضع آخر: اللهم اني استعينك على قريش ومن اعانهم، فانهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، واجمعوا على منازعتي امراً هو لي...

هـ ـ وقال عليه السلام رداً على من قال له: انك على هذا الامر يابن ابي طالب لحريص: بل انتم والله لاحرص، وانما طلبت حقاً لي وانتم تحولون بيني وبينه...

و ـ وقوله عليه السلام: فوالله مازلت مدفوعاً عن حقي مستأثَراً عليَّ منذ قبض الله نبيه صلّى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا...

ز ـ وفي كتاب كتبه الى اخيه عقيل بن ابي طالب، يقول عليه السلام:

فجزت قريش عني الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن امي . . .

ح ـ وقال عليه السلام: اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا؟ كذباً علينا وبغياً أن رفعنا الله ووضعهم، واعطانا وحرمهم، وادخلنا واخرجهم، بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمىٰ، ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم . . . .

ط ـ وقال عليه السلام: لنا حق فان اعطيناه والا ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى.

ي ـ ولما سأله بعض اصحابه: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم احق به؟ قال عليه السلام له: يا اخا بني اسد انك لقلق الوضين، ترسل في غير سدد، ولك بعد زمامة الصهر وحق المسألة، وقد استعلمت فاعلم: اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسباً، والاشدون برسول الله صلّى الله عليه وآله نوطاً، فانها كانت اثرة شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم لله والمعود اليه يوم القيامة، ودع عنك نهباً صيح في حجراته . . .

ك ـ وفي احدى خطبه الشهيرة يقول عليه السلام: حتى اذا قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله رجع القوم على الاعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي امروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص اساسه، فبنوه في غير مواضعه، معادن كل خطيئة، وابواب كل ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السكرة، على سنة من آل فرعون، من منقطع الى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مباين . . .

ل ـ ومن خطبة له عليه السلام بعد البيعة له يقول: لا يقاس بآل محمّد صلّى الله عليـه وآله من هذه الامة احد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابداً، هم اساس الدين، وعماد اليقين، اليهم يفيْ الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن اذ رجع الحق الى اهله، ونقل الى منتقله...

و... و... وللمستزيد مزيد، فاليك نهج البلاغة، وغرر الحكم، وغيرها من المراجع التي ازدانت بخطب الامام عليه السلام ونثار كلماته.

وليت شعري انى لعلي بن ابي طالب عليه السلام ـ ومن لم يُحبَ غيره من عمـوم المسلمين ما حبي هو من الثنـاء السماوي، والمديح النبوي المنقطع المثال والشبيه، والذي لا ينكره الا كافر او جاحد اعمى الله قلبه ـ ان يدعي حقاً هو ليس له، وامارة ليست منوطة به!

بل وانى لجاهل انكار الدليل البين في كلماته عليه السلام في احقاق هذا الحق وابطال ما دونه، بل ومن يمتلك الرد على مجادلة ابنة رسول الله صلّى الله عليـه وآله، وهي ام ابيها، على المطالبة بهذا الامر، والمعارضة لمغتصبيه، هل كانت عليها السلام لتطالب بما ليس لزوجها مكابرةً ومعارضة للحق؟! ام انها دفعتها الاثرة بالدنيا والتعلق ببهارجها، وهي لم تنل من دنيا ابيها ولا زوجها ولا دنياها الا مرارة الفقر وشظف العيش، وكانت ـ وكما قال لها ابوها صلّى الله عليـه وآله ـ تستعجل حلاوة الآخرة بمرارة الدنيا، وكانت تدرك ـ باخبار من ابيها صلّى الله عليـه وآله ـ أنها اول اهل بيته لحوقاً به، فبأي دنيا كانت تطالب!!

لنقرأ سوية ما قالت: ويحهم انى زحزحوها [اي الخلافة] عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة، ومهبط الروح الامين، الطبن بامور الدنيا والدين، الا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا من ابي الحسن؟ نقموا والله نكير

سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله وتالله **لو تكافؤوا على** زمام نبذه اليه رسول الله صلّى الله عليـه وآله لاعتقله وسار بهم **سيراً سجحاً،** لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولاوردهم منهلاً روياً **فضفاضاً، تطفح** ضفتاه ولا يترتق جانباه، ولا صدرهم بطاناً، ونصح لهم سراً **واعلاناً، غير** متحلّ منهم بطائل الا بغمر الناحل، وردعة سورة الساغب، **ولفتحت عليهم** بركـات من السماء والارض، وسأخذهم الله بما كانوا يكسبون، **الا هلم** فاستمع، وما عشت اراك الدهر عجباً، وان تعجب فقد اعجبك **الحادث،** الى اي لجأ لجأوا، وبأي عروة تمسكوا، لبئس المولى ولبئس العشير، بئس للظالمين بدلاً، استبـدلـوا والله الـذنـابا بالقوادم، والعجز بالكاهل، **فرغماً** لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويحهم ﴿**أفمنْ يَهدي الى الحقِّ أحـقُّ أنْ يُتبـع أمّنْ لا يَهـدي الآ أنْ يُهدى فما لَكُـم كيفَ تَحكمونَ**﴾[1] اما لعمر المهكن لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً، وذعاقاً ممقراً هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون عبءَ مااسس الاولون، ثم اطيبوا عن انفسكم نفساً، وطامنوا للفتنة جأشاً، وابشروا بسيف صارم، وبقرح شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم وانىٰ بكم وقد عميت عليكم، انلزمكموها وانتم لها كارهون!!

كما ان لها عليها السلام كلام آخر لا يخفى ما فيه من الدلالة الواضحة على حقيقة المآل الذي صارت اليه الخلافة بعد وفاة ابيها رسول الله صلّى الله عليه وآله، وموقف اهل البيت عليهم السلام من ذلك، قالت عليها السلام: . . . .

---

(١) يونس ١٠ : ٣٥.

حتى اذا اختار الله لنبيه دار انبيائه ظهرت خلع النفاق، وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفلين، هدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم فوجدكم لدعائه مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين فاستنهضكم فوجدكم خفافاً، واجشمكم فالفاكم غضاباً، فوسمتم غير ابلكم، واوردتموها غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لم يندمل...

ومن ثم فلا مناص من القول بأنّنا نمتلك الكثير من الحجج المؤيدة لدعوانا، والتي لا يسع لهذا المرء ولا لغيره ممن لا يعون ما يقولون، ولا يدركون ما يتخرّصون، انكارها أو الطعن في صحتها، وهذه كتبنا حافلة بما يعضد قولنا هذا، سهلة المنال، ويسيرة المطلب، ومن ابتغى الحقيقة لا سواها لا يسعه الا بذل الجهد، والتشمير عن الساعد، وان يتحاشى النظر بعين واحدة، أو ان يسلّم بما يسمع أو يقرأ، ان ا لله تعالى لم يكن ليغفر لاولئك الذين لا يوقفون جهدهم في معرفة الحقائق واستخراجها من مظانها، من الذين يقولون ﴿**إنّا وَجَدنا آباءَنا على أُمةٍ وإنا على آثارِهم مُقتدون**﴾[(١)].

وليت شعري انى للسحب ان تحجب عن الارض ضوء الشمس، وانّى للكذب الرخيص ان يخفي الحقائق، بلى وربي انهامغالطةلا تنطلي على احد، ولا تخفى على عاقل، ولكن لنواصل حديثنا لعل فيه تذكرة لمن القى السمع وهو شهيد.

اقول: على الرغم ممّا يدّعيه البعض ـ من المتلاعبين بالمفردات اللغوية، ومن المتغافلين عن حقائق الامور ـ من نفي حقيقة وصية رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام، فان الاستقراء المتجرد عن حيثيات

---

(١) الزخرف ٤٣ : ٢٢.

الواقع العقائدي المعلوم، لتكشف بوضوح ثبوت هذه الحقيقة واستقرارها بشكل واضح في الكثير من الشواهد الصحيحة والبينة.

وليس هذا الامر متعلق بالشيعة الامامية، بل ـ والحق يقال ـ ان كل منصف لا بد ان يقر بهذه الحقيقة الناصعة التي هي ضالة المؤمن، وهي ما يبتغيه كل عاقل، الا ان تزويق الالفاظ، والتلاعب بالمفردات اللغوية، لا يعجز اي مثقف عن القيام به، أو امتطاء ناصيته.

بلىٰ انها حقائق ثابتة متصلة بالشريعة الاسلامية المقدسة، ولدت حين ولدت وترعرت في احضان مشرعها، فأصبحت ثوابت راسخة لها جذورها المتينة القوية، وليست كما يحاول صاحب التصحيح ومن لف لفه الايحاء الى القراء البسطاء على انها من افرازات العصر اللاحق بزمن الغيبة التي وقعت في عام (٣٢٩ هـ) من قبل فقهاء الشيعة ومفكريها، كما يشير الى ذلك بصراحته في كتابه المذكور بقوله: وبعد الاعلان الرسمي غيبة الامام المهدي في عام (٣٢٩ هـ) حدثت في التفكير الشيعي امور غريبة، اعظمها ذم الخلفاء وتجريحهم. . . الخ.

أقول: كأنَّ صاحب التصحيح يريد أن يقول أن الشيعة وائمتهم لم يكونوا قبل وقوع الغيبة الكبرى يندون بالخلفاء ويجرحونهم، بل وكأنهم لم يكونوا يتظلمون منهم فيما فعلوه تجاههم من الظلم الفظيع الذي لا يخفى على اي مطلع على احداث التاريخ، وسلسلة وقائعه، ولا كانوا يشيرون باصابع الاتهام الصريح الى ما ادخلوه في الدين الاسلامي الحنيف من بدع واجتهادات متوالية قبال النص السماوي المقدس، أو السنة النبوية الطاهرة.

ومن ثم فأن من يذهب الى هذا الزعم الباطل والمردود في استحداث هذه الامور بعد وقوع الغيبة الكبرى، يريد القول بأن مفهوم التشيع قبل الغيبة هذه كان يقتصر على حب أهل البيت فقط، وان المائز بينهم وبين الفِرَق

الاخـرى كان هو الحب فحسب ولا شيء عداه، دون التولي لهم والتبري والبغض لاعدائهم، أو ان حب اهل البيت ينحصر في الشيعة دون غيرهم، وكلا الامرين مخالف لحقيقة الحال.

ان الحق الثابت الذي لا مراء فيه: ان الشيعة كانت تدين منذ اليوم الاول بحب الائمـة من اهـل البيت عليهم السـلام، والبغض لاعدائهم، والتبري منهم، لان اعداء اهل البيت عندهم هم اعداء الله واعداء رسوله واوليائه، وهم يروون الحديث المتواتر عندهم: وهل الدين الا الحب والبغض.

وعلى كل حال، فدعـواه هذه امر غريب، وبهتان مريب، فكأنه لم يتصفح المراجع التاريخية التي تغص بها المكتبات الاسلامية في دس انحاء العالم، فاخذ يخبط خبط عشواء، لا يتأمل فيما يقول، ولا يراجع ما يسطّر، فاخذ يفرّق بين الشيعة والتشيع، ويصرّ على ذلك اصراراً مثيراً للاستهجان والاستغراب، والا فلو انه راجَع المعاجم اللغوية لأدرك بطلان ما ذهب اليه، ولتبين له كالشمس في رابعة النهار ان الشيعة اسم جنس يقع على المفرد والجمع، والمذكر والمؤنث، لمن يتشيع لعلي بن ابي طالب والائمة من بنيه من ولد فاطمة عليهم جميعاً سلام الله.

ففي القاموس المحيط قال: يقع على الواحد والاثنين والجمع، وعلى المذكر والمؤنث، وقد غلبت على كل من يتولى علياً واهل بيته.

ونحوه في الموسوعة العربية الميسرة.

وفي مجمع البحرين للعلامة الطريحي: وكل قوم اجتمعوا على امر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة لجماعة مخصوصة يتولّون علياً وبنيه ويتبرؤون من اعدائهم.

واخرج السيوطي في الدر المنثور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿انَّ الّذِينَ

آمَنوا وَعَمِلوا الصّالحاتِ هُم خيرُ البَريــةِ﴾ عن ابي سعيد الخدري وجابر وغيرهمـا من الصحابة: ان رسول الله صلّى الله عليـه وآله قال: هم علي وشيعته يأتون يوم القيامة غراً محجلين.

والخلاصة: ان الشيعة هم الذين يوالون علياً والائمة من ذريته منذ العصر الاسلامي الاول الى زمان الصادقين والى زماننا هذا، لا تبديل ولا تغيير، ومن الطبيعي ان يصاحب هذا رأي واعتقاد خاص بالذين غصبوا حق علي وفاطمة والائمة من ولدهما ولعل الباحث المتتبع في تاريخ صدر الاسلام لا يجد عناءاً كبيراً في قراءة واكتشاف الكثير من صفحات الاحتجاج والانتقاد والاعتـراض ضد بعض الممـارسـات والمواقف المخالفة للخط المقدس لمدرسة اهل البيت عليهم السلام مما يثبت ان كل ذلك ليس من افرازات عصر ما بعد الغيبة، وانما هي آثار الفتنة التي حدثت بعد رحيل الرسول صلّى الله عليـه وآله، ونتاج للاوضاع التي سادت حينذاك.

فهـذه فاطمة الزهراء عليها السلام الصدّيقة الكبرى بنت رسول الله صلّى الله عليـه وآله، وليدة بيت النبوة الطاهرة تجاهر بتظلمها بعد وفاة أبيها، وتندد بالذين غصبوا حقها وارثها، وحق بعلها وبنيها، وفي مسجده صلّى الله عليـه وآلـه، وعلى مرآى المسلمين ومسمعهم، وبقت على ذلك برهة من الزمن حتى ماتت غماً وكمداً، وهي لا زالت في مقتبل العمر، بل واوصت ان تدفن سراً في الليل، وان لا يخبروا احداً من الذين ظلموها، وتواطئوا على ظلمها، فلم يشاركوا في تشييعها والصلاة عليها، وماتت وهي واجدة غضبى على اولئك الظالمين لحقها، ولحق بعلها، وهو ما مرّ الحديث عنه سلفاً.

وكذا هو الحال بالنسبة للامام علي عليه السلام، وقد سبق ان اشرنا الى جانب واضح من تلك التظلمات والشكاوى المرة.

اذن فلم يكن الامـر بحـديث عهد كما يصوره صاحب التصحيح،

ويربطه بما بعد عصر الغيبة الكبرى، بل ان الشيعة ـ ومنذ اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلّى الله عليـه وآله والى يومناهذا ـ لم يتوقفوا لحظة عن التنديد بالظلم الذي احاط اهل البيت عليهم السلام، والاستنكار له، مع حرصهم الاكيد على وحـدة الصف الاسـلامي، الـذي يحـاول صاحب التصحيح واصحابه نخره، وهدمه.

نعم انّنا نتحدث عن ذلك دفعاً للفرية، ورداً للاتهام، ليس الا، وهذا الامر هو حقيقة ثابتة لا يستطيع احد اخفاؤها.

بلى ان الـرفض كان سمة الشيعة منذ ذلك اليوم الذي صودرت فيه الامامة الشرعية من اصحابها الحقيقيين، وتحولت الى اداة طيعة تتلاعب بها الاهواء البشرية كيف شاءت، وبهذا الاسم وسمت.

ومن ابسط الامثلة على ذلك ما يحدثنا به التاريخ عن واقعة استشهاد الامـام الكـاظم عليه السـلام، ووضـع جنـازتـه الـطاهرة على الجسر في بغــداد، حيث اخـذ المخـالفـون للشيعـة ينادون على جنازة الامام عليه السـلام: (هذه جنازة امام الرافضة) استهانة بها، حتى كادت تقع الفتنة لولا ان تداركها سليمان بن ابي جعفر المنصور بحكمته.

وهكذا نجد بوضوح ان المتتبع المنصف للروايات والاخبار والتواريخ والآثار التي رواها ودَوّنَها العامة والخاصة، يثبت لديه ان رأي الشيعة اليوم من الخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليـه وآله لم يكن مستجداً او طارئاً، وانما هو ذات الموقف الذي كانوا عليه في عصر الائمة عليهم السلام، والمتمثل بالتنديد بمظالمهم وادانة اعمالهم، وخصوصاً نحو العترة الطاهرة التي اوجب الله تعالى مودتهم في القرآن الكريم، وقرن رضاه برضاهم وغضبه بغضبهم.

واخيراً فيمكننـا ان نثبت خلاصـة ما اشـرنا اليه، أو ما اعرضنا عنه لوضوحه وعدم خفائه على احد، وذلك في النقاط المحددة التالية:

١ ـ تعتقد الشيعة ان الإمامة منصب الٰهي كالنبوة، لا تثبت الا بالنص من قبل الله تعالى ورسوله، قال جلّ اسمه: ﴿وَما كانَ لمُؤمنٍ ولا مُؤمنةٍ إذا قَضى اللهُ ورَسولُهُ أَمراً أنْ يَكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أمرِهِم وَمَنْ يَعصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً﴾[1].

وليس للامام ان يصالح عليها ويفوضها الى غيره او يعزل نفسه عنها، سواء بايعه الناس ونصروه واعطوه القدرة والسلطة، ام لم يعْطوه.

نعم له ان يصالح الامرة والقدرة والسلطة غيره اذا اقتضت الضرورة وخاف على بيضة الاسلام إنْ لم يصالح.

ولهم على ذلك ادلة قاطعة لا مراء فيها، قال الله تعالى: ﴿لئلا يكُونَ للناسِ على اللهِ حُجّة بعدَ الرُّسُلِ﴾[2].

٢ ـ ومن شرائط النبوة والامامة هذه العصمة من الظلم لقوله تعالى مخاطباً نبيه إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿لا يَنالُ عهدي الظّالمينَ﴾[3] والعهد هنا الامامة اجماعاً.

وفي الحديث: كان ابراهيم نبياً ليس بامام حتى قال الله تعالى له: ﴿انّي جاعِلكَ للناسِ إماماً﴾[4] فقال لله تعالى: ﴿ومِنْ ذُريتي﴾ فقال تعالى: انه ﴿لا ينالُ عَهدي الظّالمينَ﴾ فمن عبد صنماً أو وثناً أو مثالاً، لا يكون اماماً.

أقول: فمن عبد صنماً ولو برهة من الزمن لايليق للإمامة من قِبَل الله تعالى، لان الشرك لَظلم عظيم، فلا يجوز لمن له سابقة سوء

---

(١) الاحزاب ٣٣: ٣٦.
(٢) النساء ٤: ١٦٥.
(٣) البقرة ٢: ١٢٤.
(٤) البقرة ٢: ١٢٤.

ان يتصدى للامامة، ولا ان ينصبه الله اماماً للناس، كما لا يجوز لله ان يبعث نبياً ممن كان له سابقة سوء، واي سوء اسوأ من الشرك.

وهذا أمر طبيعي، وعليه المعَوّل اليوم في جميع العالم اذا ارادوا ان يُنَصِّبوا أحداً ويختاروه للصدارة ان يلاحظوا سابقته، وسجله الماضي، وعلى ذلك جميع العقلاء في العالم.

وعن مناقب المغازلي مرفوعاً، عن ابن مسعود، عن النبي صلّى الله عليه وآله: ان الله تعالى يقول في الآية: من سجد لصنم دوني لا اجعله اماماً ثم قال صلّى الله عليه وآله: وانتهت الدعوة الي والى اخي علي لم يسجد احدنا الى صنم قط.

٣ ـ ومن شرائط الامامة بعد العصمة العلم بجميع الاشياء، ولاسيما الاحكام الشرعية، بل وان يكون اعلم اهل زمانه، والعلم له مزية في الامرة متسالم عليها عند العقلاء، فلذلك ترى هذه المنزلة واضحة في حكاية طالوت التي يحدثنا بها القرآن الكريم: **﴿وَقالَ لَهُم نَبيُّهم إنَّ اللهَ قَدْ بَعثَ لكُم طالوتَ ملكاً قَالوا أنّى يكونُ لَهُ الملكُ عَلينا ونَحنُ أحقُّ بالملكِ مِنهُ وَلم يؤتَ سَعَةً مِنَ المالِ قالَ إنَّ اللهَ اصطفاهُ عَليكم وَزادَهُ بَسطَةً في العِلمِ والجِسم وَاللهُ يُؤتي مُلكَهُ مَنْ يشاءُ واللهُ واسِعٌ عليمٌ﴾**[1].

ولان الامام هاد للأُمة وقد قال الله تعالى: **﴿أَفَمَنْ يَهدِى إِلى ٱلحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّن لايَهِدِى إِلَّا أَنْ يُهدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيفَ تَحكُمُونَ﴾**[2] ولقبح تقديم المفضول على الافضل منه عقلاً، وثبت متواتراً وبالاجماع ان علياً عليه السلام كان افضل واعلم من جميع الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه

---

(١) البقرة ٢ : ٢٤٦.

(٢) يونس ١٠ ٣٥.

وآله، بل وقد قال عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله : انا مدينة العلم وعلي بابها.

بل وقد سجّل لنا التاريخ ان الصحابة كانوا كثيراً ما يرجعون الى علي لحل معضلات الامور التي يعجزون عن ادراكها وفهمها، ولم يسجل التاريخ ابداً ان الامام علي عليه السلام قد رجع الى واحد منهم قط، بل ان التاريخ يحدثنا عن ابي بكر وعمر تاكيدهما على مدى علم علي عليه السلام، فمن القائل: لا ابقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن، وهل ينسى احد قول عمر بن الخطاب المتكرر: لولا علي لهلك عمر!!

وهذا ابن عباس حبر الامة يقول: ما علمي وعلم اصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله في علم علي الا كقطرة في سبعة ابحر.

بل أو ليس الامام علي القائل بملء فمه :سلوني قبل ان تفقدوني، والله لا تسألوني عن شيء يكون الى يوم القيامة الا اخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية الا وانا اعلم أبِلَيْلٍ نزلت ام بنهار، في سهل نزلت ام في جبل؟

فمن له الجرأة على هذا الكبير الكبير غير علي بن ابي طالب عليه السلام؟ وفيه دليل قاطع على مدى علمه، وعمقه.

٤ ـ كما لا يجوز بالشورى ان يختاروا نبياً لهم كذلك لا يجوز ان يختار لهم إماماً، والشورى مشروع لامر الدنيا لا لجعل الاحكام الشرعية، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يستشير اصحابه في جعل الأحكام الشرعية، ومن قال بذلك فقد كفر، بل كان يتوقف حتى يأتيه الوحي من الله تعالى، وما كان يستشيرهم الا في غزواته وسراياه وبعض الامور الدنيوية البحتة.

٥ ـ ان الشيعة يدينون بحب آل رسول الله صلّى الله عليه وآله ولا سيما الائمة الاطهار عليهم السلام، ويبغضون اعداءهم، ويوالون اولياءهم

ويتبرؤون من اعدائهم، ويعتقدون ان الولاية والبراءة اصل من احكام الدين الاسلامي الحنيف، قال تعالى: ﴿**لا تَجِدَ قوماً يُؤمِنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ يُوادون مَنْ حادَّ الله ورَسُولِه**﴾(١).

والولاية والبراءة امران قديمان كما ذكرنا وليسا بحادثين.

٦ ـ ان الشيعة تقول ان بيعة ابي بكر فلتة، لا هي بالشورى، ولا هي بالنص للاجماع على عدم وجود نص في ذلك، ولا بالشورى لعدم حضور اكثر المسلمين في الشورى، ولا سيما بنو هاشم ورأسهم علي والعباس.

وتقول الشيعة كما قال عمر: ان بيعة ابي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها فمن عاد لمثلها فاقتلوه. في رواية فمن عاد لي مثلها فلا بيعة له ولا لمن بايعه.

٧ ـ الشيعة تعتقد بأن الرسول الاكرم صلّى الله عليه وآله يمتاز عن سائر الناس، فهو لا تحمله نزواته وشهواته النفسية على اتخاذ جملة متناقضة من الاوامر والاراء، بل ان جميع ما يأمر به عن الله تعالى، اشارة الى قوله تعالى: ﴿**وَما ينطِقُ عَنِ الهوى * إنْ هُوَ إلّا وحيٌ يُوحى**﴾(٢).

وهذا يعم النطق بالقرآن وبالحديث وكذا النطق بالاحكام، والا ما امتاز الحكم المولوي من غيره في كلامه، ولحمل الناس الاحكام الثابتة من كلامه على رغباته وميوله، ولم يكن حينئذ لسنّته وقع ولا اثر ولا حجة، ولم تكن السنّة قريبة للكتاب في الحجية.

٨ ـ الشيعة تتثبت في نقل الحديث، وتحتاط ولا تقبل الآحاد ولا تتعبد بها الا اذا حفت بقرائن الصدق من عدالة الرواة في جميع طبقاتهم وضبطهم وحفظهم وسائر شرائط الرواية والدراية، ولا تثبت العدالة ولا سائر الشرائط

---

(١) المجادلة ٥٨: ٢٢.

(٢) النجم ٥٣: ٣ ـ ٤.

الواجب توفرها في الراوي الا بالتبيّن التام، والتأكد الحقيقي قال الله تعالى: ﴿**إنْ جاءَكُم فاسِقٌ بِنَبأ فَتَبَينوا أنْ تُصيبوا قَوماً بِجهالَةٍ فَتُصبِحوا على ما فَعلتُم نادِمين**﴾[1].

ولا اعتقد بوجوداي مذهب في عالم التشريع واحكام الدين يؤكد على العدالة، ويتوقف عندها كما تؤكد ذلك الشيعة.

فالعدالة عند الشيعة الامامية تراها تتخلل كل شيء، ومن ذلك:

١ ـ العدالة اصل من اصـــول التوحيد.

٢ ـ العدالة شرط في النبـوة.

٣ ـ العدالة شرط في الامامة.

٤ ـ العدالة شرط في المفتي.

٥ ـ العدالة شرط في القاضي.

٦ ـ العدالة شرط في الشاهد.

٧ ـ العدالة شرط في مجري الحدود والتعزيرات.

٨ ـ العدالة شرط في الامين.

٩ ـ العدالة شرط في الراوي.

١٠ ـ العدالة شرط في الامير.

١١ ـ العدالة شرط في امام الجمعة والجماعة.

١٢ ـ العدالة شرط في الخطيب.

و. . . و. . .، بخلاف غيرهم من المذاهب، فان منهم من يطيع كل إمام براً كان ام فاجراً، ويقتدون به، ولا يشترطون العدالة في اي شيء مما ذكرناه، وما لم نذكره.

---

(١) الحجرات ٤٩ : ٦.

فلذلك ترىٰ ان علماء الامامية رضوان الله عليهم قد ضبطوا الاحاديث الـواردة عن النبي صلّى الله عليـه وآله وعن ائمة الهدى عليهم السلام في اصـولهم وكتبهم، وضبـطوا ترجمـة الـرجال والرواة، واولوها اهتماماً كبيراً وقسمـوا الحديث الى متواتر، ومستفيض دون المتواتر، والآحاد ، وقسموا الآحاد الى الصحيح المحفـوف بقـرائن الصحـة والصـدق، والحسن، والمـوثق، والمـرسـل، والمسند، والضعيف،وبيّنوه بشكل واضح بيّن غير خفي ، كما انهم لا يعملون الا بالمتواتــر والمسند الصحيح ، ودليلنا على ذلك الكتب والموسوعات الرجالية للشيعة الامامية الاثنى عشرية، كرجال الكشي ، ورجـال النجـاشي ، ورجـال الشيخ الـطوسي ، ورجـال العـلامة الحلي ، ورجال بحر العلوم ، ورجال الطباطبائي ، وموسوعة رجال المامقاني ، وموسوعة قاموس الرجال للتستري ، وموسوعة رجال الحديث للامام الخوئي ، وغيرها من عشرات الموسوعات المختلفة في علم الرجال .

التقية

التصحيح (ص٥١): اني اعتقد جزاماً انه لا توجد أُمة في العالم اذلت نفسها وأهانتها بقدر ما أذلت الشيعة نفسها في قبولها لفكرة التقية والعمل بها. . . الخ.

تصحيح التصحيح:

قد يكون اطلاق الكلام من البعض جزافاً ودون تأمل وتدبر، واستقصاء واستقـراء، مبعثاً للاستهجان والاستخفاف، ناهيك عن من لا يخفى عليه قطعاً عدم مصداقية وواقعية ما يتناوله بالبحث، او يجزم بوقوعه. . . نعم ان هذا الامر هو اشـد في التوكيد المنطقي للرد الحاد والقطعي الذي ينبغي ان لا يترك اي منافذ مشرعة لعلها تمكّن ما عداها من الاقلام المدفوعة باكثر من سبب وعلة ـ قد يُعلم بعضها وقد يخفى البعض الآخر منها، الا انها تبقىٰ ولا شك عارية واضحـة المعالم والنوايا امام الله تعالى، العليم بذات السرائر وخبـايا الصـدور ـ لأن تمتـد أصـابعهـا الخبيثة الى خاصرة الدين بين الآونة والاخرىٰ، وبشتىٰ الصور والاشكال.

ولعله لا يخفى على اخي القارئ الكريم حجم الهجمة الشرسة التي تعـرضت لها الشيعة الامامية، وخلال الحقب الماضية المتلاحقة، وحيث عملت فيها الايدي المشبوهة بجد واجتهاد ـ قد يقابله في احيان كثيرة نوعاً

ممقوتاً من الغفلة والسذاجة والتقليد الاعمى من قبل رواد ومفكري بعض المذاهب الاسلامية فأوقعوا أنفسهم بسهولة في شباك العناكب اللعينة والخبيثة التي لم تنفك لحظة في الكيد للإسلام واهله ـ نقول عملت هذه الايدي على شق الصف الاسلامي الواحد، وتمزيق اهله، واشاعة الاحقاد والاضغان بين ابناء الدين الواحد، حيث راحت تعمل هي دون عائق في الجسد المسترخي كالسرطان الاسود والبغيض.

بلى لقد كان للشيعة الامامية وابان تلك الحقب المرة النصيب والحظ الاوفر من تلقي النصال الناتئة والمسمومة التي انهالت عليها كالوابل المتصل تبغيها الهلاك، والموت الزؤام، بأيدٍ وان كان بعضها ساذجاً الا ان الكثير منها كان يحمل الحقد الاسود الذي تديره جملة من العقول الماكرة والخبيثة، كلها تدعي ابتغاء مرضاة الله تعالى من خلال قتل اوليائه وتمزيق دينه.

نعم فلقد كانت الكثير من التقولات السقيمة، والافتراءات الباهتة تشكل المحور الاساس الذي دارت عليه رحى تلك الهجمات اللعينة ابان تلك الازمنة الغابرة، الا انها ـ وتلك حقيقة لا مغالاة فيها ـ لم تستطع ان تنل شيئاً من البنيان العقائدي والفكري لهذه الطائفة المظلومة، بقدر ما عمدت الى تمزيق هذه الامة، واشاعة الفرقة والتناحر بين مذاهبها المختلفة، واشغال مفكريها باختيار الاسلوب المنمق والمرتب، في عملية الرد على اخوانهم في الدين، وشركائهم في العقيدة.

دهور مرة من الاختلاف والتناحر، اخذ من هذا الدين الحنيف مأخذاً كبيراً، واشرع الابواب امام اعدائه لينفذوا الى ادق الابعاد الحساسة والخطرة، والمؤثرة بشكل مباشر على حياة المسلمين وبنائهم الفكري.

بلى لقد مضت تلك الايام العصيبة بعد ان خلّفت على جسد الامة آثاراً بادية لادنىٰ المتطلعين، عمد وبجد مخلص جملة لا باس فيها من علماء

الـدين ومفكريهم على تجاوزها ودفع الملسمين الى نبذها وادراك خطورة المـآل المترتب على الجريان خلفها، وكان من حرص اولئك المخلصين المؤمنين ان عمدوا وبشكل متواصل الى الدعوة المخلصة لِلَمْ شتات هذه الامة المبتلاة بهذه الادواء الخطرة، ونجحوا في مسعاهم ذاك الى حد بعيد، وذلك ما كان ليروق للبعض ممن لا يستسيغ لتلك الجراح ان تندمل، وللكروم ان تثمر.

نعم هي عين النبرة القديمة الكالحة والمقيتة تطالعنا بأعينها الماكرة والمتلونة تريد ان تشتفي وترتوي من الدماء الطاهرة والزكية.

نعم انّا نرى ان حلقات الايام الغابرة والتي عفا عليها الدهر، واكل وشرب، تدفع قسراً لتجد لها صدى على ارض الايام الحالية التي اوشكت اشجارها ان تؤتي ثمارها غضة طرية.

بلى، انها الطُعون السالفة والباهتة بعقائد الشيعة، والتي لم تستطع لحظة واحدة على الوقوف في ارض الواقع، وامام الحقائق الصريحة والدامغة لشرعية هذه الحقائق، تعود لتطل علينا كالغراب الابقع، لا جديد فيها، ولا شيء يستحق منها الاهتمام.

التقية، والخمس، والمتعة، والجمع بين الصلاتين. . و. . . و. . . لا شيء جديد، عين ما مضى الا خضوعه وتأثره بالتطور التقني لعالم الطباعة والنشر.

ونحن سنحـاول في هذه الوريقات المحدودة ان نتعرض بالمناقشة لصاحب التصحيح حول ما سبق لعلمائنا الافذاذ طرحه ومناقشته في اكثر من موضع ومكان، ومن اوائل هذه الموضوعات: التقية.

التقية: اسم لفعل: اتقى، يتقي، وأصل الاول كما يذكر ابن الاثير في البداية والنهاية (٥: ٢١٧): او تقى، فقلبت الواو ياء لكسرة ما

قبلها، ثم أُبدلت الى تاء وأُدغمت.

ولعله لا يخفى بان هذا المفهوم من المفاهيم القرآنية التي تكرر وروده في آيات الكتاب الكريم في اكثر من موضع منه، دالاً على حقيقة هذا المفهوم الشرعي بشكل جلي واضح.

بل ان المرء قد يجد تشابهاً لفظياً بينه وبين تقوى الله واتقائه، وحيث يراد به السعي والعمل للنجاه من عقابه وغضبه جل اسمه، وان كان هناك اختلافاً بيّناً في الجوهر الحقيقي لهذين المفهومين.

التقية تحت المجهر:

لماذا التقية، وما هي الغاية من تشريعها، بل وما هو المفهوم الحقيقي لها...؟؟ انها اسئلة قد يثيرها البعض وهو يتأمل في احكامها وتشريعاتها وابعادها الموضوعية.

اقول: ان استقراء جملة الآيات القرآنية المباركة، والاحاديث النبوية المطهرة لرسول الله صلّى الله عليه وآله، وكذا احاديث اهل بيته المعصومين عليهم السلام يشير الى جملة واضحة من الحقائق والمسلَّمات.

ان هذا التامل يدل بوضوح على ان مفهوم التقية يتلخص في حالة الدفاع المحض الذي يلجأ اليه الضعيف، والمغلوب على امره، امام ما يواجههمن قوى ظالمة وباغية قد تهدد ماله وعرضه ونفسه، فلعدم قدرته على الوقوف امام هذه القوى الباغية، ولادراكه الحتمي بنتيجة رد فعل هذه القوى امام اعلانه لموقفه، يضطر هذا الكائن المغلوب على امره ـ وبتجويز من الشارع الاقدس ـ الى مهادنة هذه القوى، وموافقتها في الظاهر دون الباطن، وضمن الضوابط والاسس التي رسمها له المشرِّع الاسلامي.

اذن فالتقية هي سلاح الضعيف العاجز امام القوي الظالم والغاشم،

هي رد الفعــل الـواقعي والمنـطقي المتـرجم بوضـوح لظلم الانسـان لأخيه الانسـان في واقـع تضيع فيه كل الضوابط الاخلاقية والانسانية، ويتحول فيه المجتمع البشري الى غابة البقاء فيها للاقوى، لا للاصلح .

ولا غرو في ذلك، فلا مناص لمن لا حـول له ولا قــوة امام طوفان الظلم الا ان يهادن تلك القوة الطاغية حتى ينجيه الله منها، أو يأتي الله بامره، والا فقد لا يثمر الوقوف امامها الا الخسران المؤكد الذي قد يتحول الى نصر محتم بعد حين .

بلى او لم يتأمل المرء الى الشعوب المسلمة المغلوبة على امرها، والتي خضعت ولعشـرات من السنين للهيمنـة الكـافرة والملحدة في دول الاتحـاد السـوفيتي السابق، كيف ولولا لجوئها الى التظاهر بموافقة ذلك الحكم، وممارستها لعبادتها السماوية سراً، لما كان ذلك النظام ابقى عليهم من باقية، وهـا هي الآن نراهـا تعـود لتعلن بصـراحـة عن تمسكها بدينها الحنيف، وتعبدها بمناسكه التي طالما عمدت الى اخفائها، خوف القتل والتعذيب والارهاب، وهل هذا الا هو التقية بعينها . . . !

بلى، بل وفي التأريخ الغابر والقريب مشاهدات كثيرة ووقائع متعددة لا تخفى على مطلع، اضطر فيه الكثيرون الى اللجوء الى التقية حفظاً لانفسهم وما يملكون من القتل والاستباحة والتدمير. وان كنا في هذا الموضع ليس في صدد ايراد هذه الوقائع، حيث تختص بها المراجع التاريخية المختلفة، الا انّا نذكّر صاحب التصحيح بواقعة تأريخية مشهورة تتعلق بالامام أحمــد بن حنبل وباقي علماء اهل السنّة ابان عصر الخليفة العباسي المأمون ورأيه في خلق القرآن، وحيث عمد الى اقسار الجميع ـ واعني العلماء المشهورين في زمـانه والفقهاء ـ الى الاقرار بخلق القرآن، واعتمد في ذلك الى استخدام القـوة والتهـديد بالسجن والقتل، فوافقه الجميع على ذلك خوفاً وتقية مع

ايمانهم بخلاف ذلك، الا نفراً او نفرين، وحيث اقر اولئك المأمون على رأيه، وكتب لهم محضراً امضوه امام نائب الخليفة العباسي في بغداد، والواقعة شهيرة لا تخفى على احد، وذكرتها المصادر التأريخية المختلفة في احداث عام ٢١٨ هـ، فراجع.

بل ويحدثنا السرخسي في كتابه الشهير المبسوط (٢٤ : ٤٥) عن ابن مسروق قوله: بعث معاوية بتماثيل من صفر تباع بارض الهند فمر بها عليّ، قال: فوالله لو اني اعلم انه يقتلني لغرّقتها، ولكني اخاف ان يعذبني فيفتنني، ووالله لا ادري اي الرجلين معاوية: رجل قد زُين له سوء علمه، او رجل قد يئس من الآخرة فهو يتمتع في الدنيا!!![1].

بل وقال ايضاً: ان حذيفة رحمه الله كان ممن يستعمل التقية على ما روي انه يداري رجلاً فقيل له: انك منافق، فقال: كلا، ولكني اشتري ديني بعضه ببعض مخافة ان يذهب كله[2].

بل ويروي ابن الجوزي عن ابي العباس ـ وكان من حفّاظ اهل الحديث ـ: انهم دخلوا على احمد بن حنبل ـ وهو محبوس بالرقة ـ فجعلوا يذاكرونه ما يروى في التقية من الاحاديث[3].

اذن التقية ليست بدعة ابتدعتها الشيعة، ورفعتها شعاراً لاخفاء عجزها وضعفها كما يدعي صاحب التصحيح، بل هو مفهوم شرعي يعرفه جميع المسلمين ويلجؤون اليه عند الضرورة، وعند اشتداد المحنة والفتنة، وما اشد المحن والفتن التي لاقاها الشيعة على امتداد التأريخ، وكم لاقوا من قبل اخوانهم المسلمين، سواء من الحكومات الظالمة والمتعاقبة، أو من

---

(١) المبسوط ٢٤ : ٤٦.

(٢) المبسوط ٢٤ : ٤٥.

(٣) مناقب الامام احمد بن حنبل: ٣١٦.

المتعصبين من العلماء الجهلة.

نعم ان الشيعة قد اقسرت علىٰ اللجوء الى التقية قسراً ولولاها لما ابقوا عليها من باقية ابداً، والتأريخ خير شاهد على ذلك، الم تقرأ كتاب مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني، بل وكتاب الشيعة والحاكمـون وغيرها من المصـادر المختلفـة لتبيّن لك حقيقـة ما خفي عليك ـ وان كان ذلك امراً مستبعداً ـ لتدرك هذه الحقيقة المرة والواضحة؟ بل ولترى بأُم عينيك سيل الدم الجارف الممتد على طوال الحقب الماضية، والتي كان رجال الشيعة وعلماؤهم هم القرابين المجزّرة في مذبح الاخوة الاسلامية.

نعم هذه هي الحقيقة التي ينبغي لك ـ يا صاحب التصحيح ـ ان لا تغض الطرف عنها، ولا ان تهيل عليها تراب الغفلة والنسيان.

بلى ان ذا الامر عين الحقيقة وان كان لا يعني تقوقع الشيعة داخل هذه الحدود المرسومة، وانزوائهم بعيداً عن ساحة الاحداث ومعترك الواقع، فكم وكم ـ وانت تعلم قبل غيرك ـ قتل من اعيان الشيعة ورجالاتها وهم يحملون سيف الثورة ويقارعون القوى الكاملة والطاغية، في ثورات متتالية متلاحقة لا حصر لها افرد لها الكثير من الكتاب المعاصرين مؤلفات خاصة بها، بل لا يمكن لاحـد ان يجـد طائفة اسلامية قارعت الظلم والظَلَمة كما هي حال الشيعة ابان تلك الحقب الغابـرة.

ان للتقية ـ وكما يذكـر المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر ـ احكاماً من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف موقع الضرر، وليست هي واجبة على كل حال، قـد يجوز او يجب خلافها في بعض الاحوال، كما اذا كان اظهار الحق او التظاهر به نصرة للدين وخدمة للاسلام، وجهاد في سبيله، فانه عند ذلك يستهان بالاموال ولا تعز النفوس.

وقد تحرم التقية في الاعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة، او

رواجـاً لبـاطل، أو فساداً في الدين، أو ضرراً بالغاً على المسلمين[1].

وقال الشيخ محمد كاشف الغطاء رحمه الله في أصل الشيعة واصولها (٦٣):

والعمل بالتقية له احكامه الثلاثة:

فتارة: يجب، كما اذا كان تركها يستوجب تلف النفس من غير فائدة.

وأُخـرى: يكون رخصة، كما لو كان في تركها والتظاهر بالحق نوع تقوية له، فله ان يضحي بنفسه، وله ان يتحفظ عليها.

وثـالثـة: يحـرم العمل بها، كما لو كان ذلك موجباً لرواج الباطل، واضلال الحق، واحياء الظلم والجور.

اذن فللتقية حدوداً وابعاداً تندرج من خلالها المناهج الشرعية للتعامل مع الواقع الآني الذي يقدره المسلم المبتلىٰ به، ويتعامل معه من خلال هذه الابعاد.

والتقية، وكما تبدو بوضوح، تندرج ضمن الاقسام الثلاثة التالية:

١ ـ التقية لحفظ النفوس والاعراض والاموال المحترمة.

٢ ـ التقية لحفظ المصالح العامة، وحفظ بيضة الاسلام.

٣ ـ التقية لحفظ المقام والمنصب والجاه.

ونحن في مبحثنا هذا نعلّق مفهوم التقية الشرعي الذي سنتناوله بالشرح على القسمين الاوليين.

التقيـة من خـلال ادلتها الشرعية:

لقد شبّه الامام الصادق عليه الســلام مفهوم التقية بمن يمشي على

---

(١) عقائد الشيعة الامامية: ٦٤.

ارض مملوءة بالحسك والسعدان والاشواك، اترى كيف يجمع ثيابه، ويواظب على موطئ اقدامه حذراً من ان تصيبه شوكه أو أن يلحقه ضرر. . . .

والتأمل الواقعي في هذا التصوير الرائع يبيّن بوضوح الدلالة المنطقية ذات الاساس الشرعي لمفهوم التقية، وما يعني مخالفتها من ترتب ضرر بالغ وعظيم على صاحبها.

بلىٰ فهل يتقبل العقل البشري ان يدفع الانسان بنفسه الى الهلكة والى تحمل الضرر ـ في عملية حسابية واقعية ـ طالما ان هناك ما يدفع به هذا الضرر المتوقع ـ دون الاضرار بالآخرين ـ ترقباً لزوال هذا الواقع الآني، ولا سيما والرسول الاكرم صلّى الله عليه وآله قد جاء بالشريعة السمحاء التي تنفرج ابوابها عن مساحة واسعة قد تمتد من الارض الى السماء، والمشرّع الاسلامي الحكيم يدرك بلا لبس قدرة هذا المخلوق، وحدود امكاناته!!

نعم ان الانسان المؤمن يمتلك اكثر من دليل لسلوك هذا المنهج الشرعي الذي جعله الله تعالى وسيلة للنجاة من سطوة وظلم الانسان لأخيه الانسان، ظلم القوي الغاشم للضعيف المغلوب على امره.

فالدليل العقلي المؤكد لهذا المفهوم هو وجوب حفظ النفس المحترمة، ووجوب دفع الضرر المحتمل عقلاً، ولوجوب مقدمة الواجب اذا توقف كل ذلك على التقية.

نعم فان التقية التي تدفع الانسان المسلم الى فعل غير ما يعتقد، او قول خلاف ما يؤمن، دفعاً للضرر عن نفسه، أو ماله، أو عرضه، ترتبط اساساً بوجود هذا الانسان بين قوم لا يدينون بما يدين به، ولا يعتقدون بما يعتقد به، وهذا الخلاف في الاعتقاد قد يصل بهم الى تطرف شديد، وتعصب مقيت، قد يدفعهم الى احداث الضرر بمن يخالفهم ولا يوافقهم، فلا يجد حينذاك ذلك المرء المغلوب على امره الا ان يسايرهم بالقدر الذي يمكنه من

خلالـه صيانة نفسه ودفع الضرر عنها، لان الضرورة تقدر بقدرها كما هو معروف وهذا التصور العقلائي السليم ليس بحكر على الشيعة الامامية، وواحد من مبتدعاتها الشرعية والاجتهادية، بل وليس بشيء جديد ودخيل على الفكر الانساني بصورة عامة.

فقـد تكلم عنهـا ـ وكمـا يذكـر ذلـك المرحوم محمد جواد مغنية ـ الفلاسفة، وعلماء الاخلاق قبل الاسلام وبعده، تكلموا عنها واطالوا، ولكن لا بعنوان التقية بل بعنوان «هل الغاية تبرر الواسطة؟» وما الى ذاك.

وتكلم عنها الفقهاء واهل التشريع في الشرق والغرب بعنوان: «هل يجـوز التـوصـل الى غاية مشـروعـة من طريق غير مشـروع؟» وبعنـوان: «المقاصد والوسائل».

وتكلم عنها علماء الاصول من السنة والشيعة بعنوان «تزاحم المهم والاهم»، واتفقـوا بكلمة واحدة على ان الاهم مقدم على المهم، ارتكاباً لاقل الضررين، ودفعاً لاشد المحذورين، وتقديماً للراجح على المرجوح.

وهـذه العنـاوين ومـا اليهـا تحكي التقية كما هي عند الامامية، ولا تختلف عنها الا في الاسلوب والتعبير، وكانت التقية وما زالت ديناً يدين به كل سياسي في الشرق والغرب، حتى المخلص الامين.

واذا سأل سائل: ما دام الامر كذلك فلماذا عبّر الشيعة بلفظ التقية ولم يعبّروا بلفظ المقاصد والوسائل، أو الغاية والواسطة؟

والجـواب عن ذلـك: ان العبـرة بالمعنى، لا باللفظ، وقـديماً قال العارفون: «النقاش في الاصطلاحات اللفظية ليس من دأب المحصلين».

وثـانياً: ان علمـاء الشيعـة يأخـذون ـ دائمـاً أو غالبـاً ـ الفـاظهم ومصطلحاتهم الشرعية من نصوص الكتاب والسنّة، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا المعنى بمادة الاتقاء كما في اكثر من موضع منه.

أقـول: لقـد تعرّض القـرآن الكريم الى مفهوم التقية ورسم ابعاده الشرعية واباحته في اكثر من آية مباركة اتفق المفسرون على انها تختص بهذا المفهوم الشرعي.

قال جلّ اسمـه: **﴿مَنْ كفـرَ باللهِ مِنْ بَعدِ إيمانِهِ إلاّ مَنْ أُكـرِهَ وَقلبُهُ مُطمئِن بالايمانِ وَلكِـنْ مَنْ شَـرحَ بِالكفـرِ صَـدراً فعَلَيهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَـذابٌ عَظيمٌ﴾**[1].

١ ـ قال الشيخ الطوسي في تفسيره الموسوم بـ (التبيان في تفسير القـرآن): نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر رحمه الله، اكرهه المشركون بمكة بانواع العذاب، وقيل غطّوه في بئر ماء على ان يلفظ بالكفر، وكان قلبه مطمئناً بالايمان، فجاز من ذلك، وجاء الى النبي صلّى الله عليـه وآله جزعاً، فقال له صلّى الله عليـه وآله: كيف كان قلبك؟ قال: كان مطمئناً بالايمان.

فأنزل الله تعالى فيه الآية...

وقال: قال ابو علي: هذه معاريض يحسن من الله مثلها، ولا يحسن من الخلـق الا عند التقية، قال: الا ان على اهل العقول ان يعلموا ان الله لم يفعـل ذلك الا على ما يصح ويجوز، وليس ذلك للانسان الا في حال التقية[2].

٢ ـ واما في مجمع البيان في تفسير القرآن فقد ذكر الطبرسي: قيل نزل قوله تعالى **﴿إلاّ مَنْ أُكـرِهَ وَقلبُهُ مُطمئِن بالايمانِ﴾** في جماعة اكرهوا وهم: عمار وياسر ابوه وأُمه سمية، وصهيب، وبلال، وخبّاب، عُذبوا، وقتل ابو عمار وأُمه، واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا منه، ثم اخبر سبحانه بذلك رسول الله صلّى الله عليـه وآله، فقال قوم: كفر عمار، فقال رسول الله صلّى الله

---

(١) النحل ١٦: ١٠٦.

(٢) التبيان ٦: ٤٢٨.

عليـه وآلـه: كلّا ان عمار ملئ ايماناً من قرنه الى قدمه، واختلط الايمان بلحمه ودمه.

وجاء عمار الى رسول الله صلّى الله عليـه وآله وهو يبكي، فقال له صلّى الله عليـه وآله: ما وراءك؟ فقال: شر يا رسول الله، ما تُركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير.

فجعل رسول الله صلّى الله عليـه وآله يمسح عينيه ويقـول: ان عادوا لك فعد لهم بما قلـت.

فنزلت الآية.

وقال: ان من يرتد عن الاسلام ويشرح بالكفر صدراً فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم ﴿إلّا مَنْ أُكـرِهَ﴾ فتكلم بكلمة الكفر على وجه التقية مكرهاً﴿وَقلبُهُ مُطمئِن﴾ اي ساكن ﴿بالايمانِ﴾ ثابت عليه، فلا حرج عليه في ذلك [١].

٣ ـ وقال الطبري: نزلت في عمار بن ياسر، أخذه بنو المغيرة، فغطّوه في بئر ميمون وقالوا: اكفر بمحمد، فتابعهم على ذلك، وقلبه كاره، فأنزل الله تعـالى ذكره ﴿إلّا مَنْ أُكـرِهَ وَقلبُهُ مُطمئِن بالايمانِ وَلكـنْ مَنْ شَـرحَ بِالكفـرِ صَـدراً﴾.

اي: من اتى الكفر على اختيار واستحباب ﴿فعَلَيهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَـذابٌ عَظـيمٌ﴾[٢].

٤ ـ وقـال الفخـر الـرازي: ان أُناساً من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسـلام بعـد دخـولهم فيه، وكان فيهم من أُكره فاجرى كلمة الكفر على لسـانـه، مع انه كان في قلبه مصراً على الايمان، منهم عمار وابواه ياسر

(١) مجمع البيان ٣: ٣٨٧.

(٢) جامع البيان ١٤: ١٢٢.

وسمية، وصهيب، وبلال. . ـ الى ان قال ـ واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرهاً، فقيل: يا رسول الله ان عماراً كفر، فقال صلّى الله عليـه وآله: كلا، ان عماراً مليئ ايماناً من فرقه الى قدمه، واختلط الايمان بلحمه ودمه. فاتى عمار رسول الله صلّى الله عليـه وآله يبكي، فجعل رسول الله صلّى الله عليـه وآله يمسح عينيه ويقول: مالك! ان عادوا لك فعد لهم بما قلت[1].

٥ ـ وفي تفسير الحسن البصري (٢ : ٧٦) ذكر: ان عيوناً لمسيلمة اخذوا رجلين من المسلمين فأتوه بهما، فقال لاحدهما: اتشهد ان محمّداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: اتشهد اني رسول الله؟ فأهوى الى أُذنيه فقال: اني اصم، فأُمر به فقتل.

وقال للآخر: اتشهد ان محمّـداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: اتشهد اني رسول الله؟ قال: نعم. فأرسله، فأتى النبي صلّى الله عليـه وآله فأخبره، فقال: اما صاحبك فمضى على ايمانه، واما انت فاخذت بالرخصة.

٦ ـ واما ابن ماجة فقد روى في سننه (١ : ٥٣) قائلاً: والايتاء معناه الاعطاء ان وافقوا المشركين على ما ارادوا منهم تقية، والتقية في مثل هذه الحالة جائزة لقوله تعالى ﴿**إلاّ مَنْ أُكرِهَ وَقلبُهُ مُطمئِنٌ بالايمانِ**﴾.

وقـال تبـارك وتعالى: ﴿**لا يَتخذِ المؤمنونَ الكافِرينَ أَولياءَ مِنْ دُونِ المؤمنينَ وَمَنْ يفعَـلْ ذلـكَ فَلَيسَ مِنَ اللهِ في شيءٍ إلاّ أنْ تَتَّقـوا مِنُهم تُقاةً وَيُحذِرُكُمُ اللهُ نَفسَهُ وإلى اللهِ المصيرُ**﴾[2].

١ ـ روى القرطبي في الجامع لاحكام القرآن (٤ : ٥٧) عند تفسيره لهذه الآيةالمباركة قول الحسن البصري: التقية جائزة للانسان الى يوم

---

(١) التفسير الكبير ١٩ : ١٢٠.

(٢) آل عمران ٣ : ٢٨.

القيامة .

٢ ـ وقال الفحر الرازي في تفسيره (٨ : ١٣) : ان ظاهر الآية يدل على ان التقية انما تحل مع الكفار الغالبين ، الا ان مذهب الشافعي رضي الله عنه ان الحالة بين المسلمين اذا شاكلت الحاله بين المسلمين والكافرين حلّت التقية محاماة عن النفس . . .

اقول: اذا كانت التقية في ولاية الكافر الجائر تجوز للمسلم ، فالتقية في ولاية المسلم الجائر جائزة للمسلم بالطريق الاولى لمفهوم الموافقة ، وهي حجة عند الجميع .

٣ ـ واما الزمخشري فقد ذكر في الكشاف (١ : ٤٢٢): . . الا ان تخافوا من جهتهم امراً يجب اتقاؤه ، وقد رخّص لهم في موالاتهم اذا خافوهم ، والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة ، والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع .

٤ ـ وقال الامام الرازي في تفسيره الكبير (٨ : ١١) : اعلم ان للتقية احكاماً كثيرة . . .

الحكم الاول: ان التقية انما تكون اذا كان الرجل في قوم كفّار ، ويخاف منهم على نفسه وماله ، فيداريهم باللسان ، وذلك بأنْ لا يظهر العداوة باللسان ، بل يجوز ايضاً ان يظهر الكلام الموهم للمحبة والموالاة ، ولكن بشرط ان يضمر خلافه ، وان يعرض في كل ما يقول ، فان للتقية تأثيرها في الظاهر لا في احوال القلوب .

الحكم الثاني : انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة ، وقد تجوز ايضاً فيما يتعلق باظهار الدين .

الحكم الثالث: التقية جائزة لصون النفس ، وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل ان يحكم فيها بالجواز . .

٥ ـ واما المراغي فقد ذكر في تفسيره (٣: ١٣٦): ان ترك موالاة المؤمنين للكافرين حتم لازم في كل حال الا في حال الخوف من شيء تتقونه منهم، فلكم حينئذ ان تتقوهم بقدر ما يبقى ذلك الشيء، اذ القاعدة الشرعية (ان درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح).

وقد استنبط العلماء من هذه الآية جواز التقية، بأنّ يقول أو يفعل ما يخالف الحق لاجل التوقي من ضرر يعود عليه من الاعداء الى النفس أو العرض أو المال.

وقال: ويدخل في التقية مداراة الكفرة، والظلمة، والفسقة، وإلانة الكلام لهم، والتبسم في وجوههم، وبذل المال لهم لكف اذاهم وصيانة العرض منهم، ولا يعد هذا من الموالاة المنهي عنها، بل هو مشروع، فقد أخرج الطبراني قوله صلّى الله عليه وآله «ما وقىٰ المؤمن به عرضه فهو صدقة».

٦ ـ وأمّا جمال الدين القاسمي فقد ذكر في محاسن التأويل (٤: ٨٢): استنبط الائمة مشروعية التقية عند الخوف...

٧ ـ وقال ابو بكر الرازي الجصّاص في كتابه الموسوم بأحكام القرآن (٢: ١٠): يعني ان تخافوا تلف النفس، أو بعض الاعضاء فتتقوهم باظهار الموالاة من غير اعتقاد لهما، وهو ظاهر ما يقتضيه اللفظ، وعليه الجمهور من اهل العلم.

٨ ـ واما في السيرة الحلبية (٦١) فقد روى عن حجاج بن علاط قوله لرسول الله صلّى الله عليه وآله بعد فتح خيبر: يا رسول الله ان لي بمكة مالاً، وان لي بها اهلاً، وانا اريد ان آتيهم، فانا في حل ان انا نلت منك وقلت شيئاً؟

فأذن له رسول الله صلّى الله عليه وآله ان يقول ما يشاء...

أقول: بل ان التأمل في سيرة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وسنته المباركة تكشف بوضوح عن كثير الدلالات والاشارات الواضحة على مشروعية التقية وجواز اللجوء اليها عند الاضطرار.

أوَلَيس الله تعالى من امر رسوله الكريم صلّى الله عليه وآله بالتكتم في تبليغ دعوته، وامر هو صلّى الله عليه وآله اصحابه بذلك طوال السنوات الثلاثة الاولى من حياة الدعوة المباركة، فبقي المسلمون يعيشون مع المشركين دون ان يعلنوا عن آرائهم وعقائدهم بصراحة رغم مخالفتها القطعية لمعتقدات المشركين وافكارهم.

بل أوَليس رسول الله صلّى الله عليه وآله هو القائل لعائشة: لولا ان قومك حديثوا عهد بالاسلام لهدمت الكعبة وجعلت لها بابين. .

بل وهو القائل صلّى الله عليه وآله: رفع عن امتي تسعة اشياء: الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا اليه. . .

فان قوله صلّى الله عليه وآله (وما اضطروا اليه) يدل بصراحة على ان الضرورات تبيح المحظورات.

بلى ان تلك الشواهد وغيرها حجج دامغة استدل بها الشيعة لاثبات شرعية اللجوء الى التقية، وانها مفهوم شرعي ينبعث من اصل الشريعة الاسلامية، لا هي من مبتدعات الشيعة، ومن تخرصاتهم، كما يحلو للبعض ان يطلق هذا الكلام جزافاً ودون تأمُّل وتدبر.

بل ولقد استفاض وتواتر عن الائمة من اهل البيت عليهم السلام، وهم عديل القرآن بنص حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله الذي يرويه الفريقان، العدد الكبير من الاخبار والاحاديث التي تؤكد على لزوم التقية ـ ابان تلك الظروف المشخصة والتي اشرنا اليها ـ مصلحة وحفظاً لمدرستهم ولكرامة

شيعتهم ولكيان المسلمين، وهي قطعاً ليست خافية على صاحب التصحيح وغيره، ولكن. . .

ان ما يريد صاحب التصحيح ان يسدل عن وجوده الستار حقائق لا تخفى، وثوابت لا يسهل غض الطرف عنها، وقد اشار لها الآخرون بصراحة ودون تردد كما سبق ان اشرنا اليه في الصفحات السابقة.

بلى، فليس ذا الامر مقصورعلى الشيعة دون غيرهم كما يريد هو وغيره ان يصِّوره للقرّاء والبسطاء من الناس.

قال السرخسي وبعد ايراده لرواية ابن مسروق التي اشرنا اليها سابقاً:

وفيه تبيّن انه لا بأس باستعمال التقية،وانه يرخّص له في ترك بعض ما هو فرض عند خوف التلف على نفسه.

بل وروي عن جابر بن عبدالله الانصاري رضي‌الله عنه قوله: لا جناح عليَّ في طاعة الظالم اذا اكرهني عليها.

وقال اصحاب ابو حنيفة: التقية رخصة من الله تعالى.

اذن فلا يخالفنا عاقل في تشريع التقية مع ابتداء الدعوة الى الاسلام وكسلاح دفاعي يلجأ اليه الضعفاء لحماية وصيانة انفسهم واعراضهم واموالهم، كما لا اعتقد ان يخالفنا احد في ان ظاهرة اللجوء الى التقية دليل بيّن على وجود الحيف والظلم والاستبداد والقتل والتشريد من قبل الفئات الحاكمة والمتسلطة، أو من قبل الجماعات المتعصبة والغاشمة، اذ لولا وجود هذا الطرف لما تولّدت حالة الطرف الآخر، وهي التقية، فالامر بحد ذاته اشبه بالمعادلة الآنية المتساوية الطرفين.

وبالله اسأل ذوي العقول: ماذا يفعل المستضعفون من رجالات الشيعة وعوامهم امام ذلك السيل المتدافع من الظلم والقتل الذي لا يرحم ولا يرعوي امام شيء؟

أنا لا ادعوك اخي القارئ الى قراءة جميع صفحات التأريخ لذاك الزمن الغابر ـ وان كان ذاك اولى ـ لئلا يستغرقك الامر طويلاً، بل تأمل في بعض تلك المفردات لترى عظم الحيف الذي وقع على الشيعة ليضطرها بالتالي الى اللجوء الى التقية، اذ لولا ظلم اخوانهم في الدين لم يلجوا هذا المولج، ولم يدخلوا هذا المدخل، ويطيب لي ان انقل عبارة الشيخ المرحوم محمد جواد مغنية التي يقول فيها: في عام (١٩٦٠) اقامت الجمهورية العربية المتحدة مهرجاناً دولياً للغزالي في دمشق، وكنت فيمن حضر وحاضر، فقال لي بعض اساتذة الفلسفة في مصر فيما قال: انتم الشيعة تقولون بالتقية. . فقلت له: لعن الله من احوجنا اليها. . . اذهب الآن أنّى شئت من بلاد الشيعة فلا تجد للتقية عندهم عيناً ولا اثراً، ولو كانت ديناً ومذهباً في كل حال لحافظوا عليه محافظتهم على تعاليم الدين ومبادئ الشريعة[١].

بلى ان الشيعة لم تلجأ الى التقية اختياراً وبطوع امرها، بل اضطرت الى ذلك اضطراراً لتحافظ على ذاتها من القتل الذريع.

ان الحقب الماضية قد حملت في بطونها ذكريات مرة ومشاهد دامية سطرها التأريخ في سجله بأسطر حمراء قانية كان الشيعة فيها الضحية المغلوبة على امرها، فكم قتل من رجالاتها واعيانها لا لشيء الا لانهم ينادون بحق اهل بيت النبوة الذين هم الاوصياء بالرسالة وعدلاء القرآن وورثة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسفن النجاة الفارهة والنجوم التي يستدل بها ومن أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، بل ومن اوصى الله تعالى بمودتهم فقال جلّ اسمه **﴿قُل لا أسألُكم عَليهِ أجراً إلاّ المودَّةَ في القُربى﴾**[٢].

---

(١) انظر رسالة القرآن السنة الرابعة عشرة.

(٢) الشورى ٤٢: ٢٣.

بلى ان هذا الامـر هو مصـدر المحنة ومركزها التي احاطت برجال الشيعة فتكالب عليهم اعداؤهم واخوانهم قتلاً وتشريداً وتكفيراً، فيالله هل من مدّكر. فكم للامويين من وقعة بشعة لم يردعهم عنها اي شيء، استباحوا فيهـا الحـرث والنسـل، واعملوا سيوفهم قتلاً ودون رحمة باهل بيت النبوة وبشيعتهم كان أوجها قتل ابن بنت رسول الله صلّى الله عليـه وآله، والتأريخ خير شاهد على ذلك.

وكذا هو حال العباسيين حتى قال القائل:

تا الله ما فعلـت أُمـية معشـار ما فعلـت بنـو العبـاس

فهل هناك من ملجأ تلجأ اليه الشيعة لتبقي على البقية الباقية منها الا التقية التي اباحها الله تعالى لامثالهم من المبتلين بالظلم وبالجور، وان كان هذا الامر لا يلغي قيام العشرات من الثورات الشيعية ضد ذلك الظلم صبغت ارض الاسلام بدمائهم الطاهرة الزكية، والجميع يعلم ذلك، ومن لم يمر ذاك بخاطره فاليه كتب التأريخ ومراجعه خير شاهد على ذلك.

بلى اخي القارئ ان اللوم لا يقع على الشيعة للجوئها الى التقية، بل كل اللوم ينبغي ان يقع على من اضطرهم الى ذلك، واليك بعضاً من تلك الاحداث ولنترك الخيار لك وحدك.

فقد روى ابو الحسن علي بن محمد بن ابي سيف المدائني في كتاب الاحداث جانباً من المحنة التي احاطت بالشيعة ابان حكم الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان، حيث قال: كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة [بل الفرقة والتشتت]: ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل ابي تراب [اي علي بن ابي طالب عليه السلام اخـو رسول الله صلّى الله عليـه وآله وزوج ابنته واول الناس اسلاماً واكثرهم جهاداً...] واهل بيته،

فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر، يلعنون علياً ويبرأون منه، ويقعون فيه وفي اهل بيته، وكان اشد الناس بلاء حينئذٍ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضم اليه البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف ـ لانه كان منهم ايام علي عليه السلام ـ فقتلهم تحت كل حجر ومدر، واخافهم، وقطع الايدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم، وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية الى عماله في جميع الآفاق: ان لا يجيزوا لاحد من شيعة علي واهل بيته شهادة.

ثم كتب الى عماله نسخة واحدة الى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة انه يحب علياً واهل بيته فامحوه من الديوان، واسقطوا عطائه، ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة أُخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به، واهدموا داره.

فلم يكن البلاء اشد ولا اكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة حتى ان الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي اليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليتكتمن عليه[1].

فكان ذلك ايذاناً صريحاً من قبل السلطة الحاكمة لجلاوزتها ومرتزقتها لان يعملوا انيابهم في جسد هذه الجماعة المسالمة والمناصرة للحق.. فقتل المئات وشرِّد الالاف وسجنوا وضيّق عليهم، وصفحات التأريخ التي

---

(١) انظر للاستزادة اكثر عن هذهِ الواقعة شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١١: ٤٤.

كتبها الآخرون من غير الشيعة خير شاهد على ذلك.

فأما في عهد معاوية فقد راح نتيجة لهذه السياسة الحمقاء والظالمة خيرة الصحابة واجلة المؤمنين من رجالات الشيعة الذين ابوا البراءة من دين علـيعليه السلام امثال:

١ ـ حجر بن عدي، وهو من اصحاب رسول الله صلّى الله عليـه وآله، ومن كبار الزّهاد والعبّاد، الموصوف براهب اصحاب محمد صلّى الله عليـه وآله.

٢ ـ عمرو بن الحمق، وهو من اصحاب رسول الله صلّى الله عليـه وآله ايضاً، ومن المقرّبين اليه، قتله ابن سمية وبعث به الى معاوية، فكان رأسه اول رأس طيف به في الاسلام.

٣ ـ رشيد الهجري، وهو من تلاميذ الامام علي عليه السلام وخواصه ومن كبـار رجـالات الشيعة واعيانها، قطع ابن سمية يديه ورجليه ولسانه، وصلبه خنقاً في عنقه.

٤ ـ جويرية بن مسهـر العبـدي: من اكثـر المقرّبين الى علي عليه السلام، ومن وجوه الشيعة، اخذه زياد وقطع يديه ورجليه، وصلبه على جذع نخلة.

وغير ذلك كثير مما لا يمكننا حصره في هذه الاسطر المعدودة.

واما سجن معاوية فكان يغص بالشيعة بشكل عجيب واعدادة تتزايد يومياً، بل وكان معاوية يتردد عليهم ويتشفى بحالهم وضيق امورهم وتردي اوضاعهم[1].

نعم هذا غيض من فيض يصوّر حال الشيعة في عهد معاوية والذي

---

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٣٢.

اشرع الابواب امام خلفائه ففاقوه ظلماً وتعدياً على الشيعة ورجالاتها، فسطَّر التأريخ لنا اسطراً دامية تقشعر لها الجلود، ويندى لها الجبين، اتى بها رجال نزعت من قلوبهم الرحمة وتحولوا الى مسوخ وشياطين وسخة امثال: يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف الثقفي وغيرهما، فقتل الاول ريحانة رسول الله صلّى الله عليه وآله واهل بيته واصحابه، وفاق الثاني الجميع وتصاغروا امام اجرامه وقسوته وظلمه للشيعة.

فقد روى ابن ابي الحديد المعتزلي عن الامام الباقر عليه السلام قوله عن تلك الايام القاسية: قتلت شيعتنا بكل بلد، وقطعت الايدي والارجل على الظنة، وكل من يذكر بحبنا والانقطاع الينا سجن، أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمن عبيدالله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام.

ثم جاء الحجاج، فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى ان الرجل ليقال له: زنديق أو كافر أحب اليه من ان يقال شيعة علي عليه السلام. . . . [١]

فقتل المئات من خلّص الشيعة واعيانها امثال: قنبر مولى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، ذبحه الحجاج كما تذبح الشاة، لرفضه البراءة من دين علي عليه السلام.

وكذا كميل بن زياد، وهو من خيار رجال الشيعة، ومن خواص علي عليه السلام وسعيد بن جبير، وهو من كبار التابعين، المسمى بجهبذ العلماء لما بلغه من الدرجات العالية في العلم والعفة والزهد والعبادة، اخذه خالد بن عبدالله القسري، وارسله الى الحجاج، فلما رآه قال له: انت شقي

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١ : ٤٣.

ابن كسير؟ فقال: أُميّ اعرف باسمي منك، فقال له الحجاج: ما تقول في ابي بكر وعمر، هما في الجنة أو في النار؟ قال: لو دخلت الجنة لعلمت من فيها، ولو دخلت النار ورايت اهلها لعلمت من فيها.

قال: ما تقـول في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل، قال: ايهم احب اليك؟ قال: ارضاهم لله. قال: فايهم أرضىٰ لله؟ قال: علم ذلك عند ربي يعلم سرهم ونجواهم. قال: ابيت ان تصدقني، قال: بل لم احب ان اكذب.

فامر الحجاج بقتله، فقال سعيد بن جبير: وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً مسلماً وما انا من المشركين.

فقال الحجاج: شدوه الى غير القبلة.

فقال سعيد: اينما تولوا فثم وجه الله.

فقال: كبوه على وجهه.

قال: منها خلُقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أُخرى.

فأمر الحجاج بضرب عنقه فذبح واحتز رأسه.

يقول ابن الاثير: لما سقط رأس سعيد الى الارض هلل ثلاثاً، افصح بمرة، ولم يفصح بمرتين، فلما قُتل التبس عقل الحجاج فجعل يقول: قيدونا قيدونا، فظنوا انه يريد القيد، فقطعوا رِجْلَي سعيد من انصاف ساقيه واخذوا القيود، وكان الحجاج اذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه ويقول: يا عدو الله فيم قتلتني؟ فيقول (أي الحجاج): مالي ولسعيد بن جبير! مالي ولسعيد ابن جبير[1].

يقول المسعودي في مروج الذهب: تأمر الحجاج على الناس عشرين

---

(١) الكامل في التأريخ ٤ : ٥٨٠، وانظر: تأريخ الطبري ٦ : ٤٨٩، مروج الذهب ٣ : ٣٧٢.

سنة، وأُحصي من قتله صبراً ـ سوى من قتل في عساكره وحروبه ـ فوجد مائة وعشرون الفاً، ومات الحجاج وفي حبسه خمسون الف رجل، وثلاثون الف امرأة، منهن ستة عشر الفاً مجردة ـ عارية من الثياب ـ وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف، ولا من المطر في الشتاء، وكان له غير ذلك من العذاب[1].

يقول ابن الجوزي: ان سجن الحجاج كان مجرد حائط يحوط السجناء، ويمنعهم من الخروج، ولا سقف له، فاذا آوى المسجونون الى الجدران يستظلون بها من حر الشمس رمتهم الحرس بالحجارة.. وكان يطعمهم خبز الشعير مخلوطاً بالملح والرماد، وكان لا يلبث الرجل في سجنه الا يسيراً حتى يسوَد ويصير كانه زنجي، وقد حبس فيه غلام فجاءته أُمّه بعد ايام تتفقده، فلما قدم اليها انكرته وقالت: هذا ليس ولدي، هذا زنجي!! وحين تأكدت انه ولدها شهقت وماتت في مكانها.

وهكذا فقد كانت ايام امارة الحجاج وما قبلها وما بعدها اهوالاً رهيبة احاطت بشيعة آل محمد صلّى الله عليه وآله، فاما الحجاج فقد إختاره عبدالملك بن مروان الخليفة الاموي ليضع سيفه في رقاب الشيعة أينما كانوا وكيفما كانوا، لا فرق عنده بين الرجال والنساء، والاقوياء والضعفاء، والمرضىٰ والاصحاء، حفاظاً على ملك الامويين وتمزيقاً للشيعة وتقتيلاً.

قال ابن الاثير: لما شعر عبدالملك بهلاكه قال لاولاده: ... اوصيكم بتقوى الله!! واكرام الحجاج، فانه الذي وطّد لكم المنابر، ودوخ البلاد، واذل الاعداء[2].

واستمر هذا الحال يحيط بالشيعة دون رحمة ورأفة، ودون اي مبررات

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٧٥.

(٢) الكامل في التأريخ ٤: ٥١٧.

يستسيغها العقلاء أو حتى الحمقىٰ ، فغصت الارض بقبورهم ـ ناهيك عمن لا قبـر له ـ واشتملت ايامهم بالسـواد القـاتم ، وترددت في جنبات دورهم النياحة والبكاء ، عاماً بعد عام ، وعصر حاكم اموي بعد آخر ، الا في ايام عمر ابن‌عبدالعزيز رحمه الله ، والذي كان من نتيجة عطفه على الشيعة والعلويين ان بقي الشيعة وحتى يومنا هذا لا يذكرونه الاّ بخير مشفوعاً بالرحمة .

هذه الاسـطر كانت تلميحـاً بحـال الشيعة ابان الحكم الاموي ، وأما حالهم فيما بعد ، وفي عصر العباسيين الذين ما نالوا الحكم الا بالدعوة الى آل محمد عليهم السلام ، فانهم اداروا ظهر المجن لابناء عمهم وشيعتهم ، وقتلوهم تحت كل حجر ومدر ، واليك بعضاً من تلك الشواهد .

روى المسعودي وغيره : أن المنصور جمع ابناء الحسن عليه السلام واوثقهم في الحديد ، وحملوا على المحامل المكشوفة ، فمر بهم المنصور في قبته على الجمازة ، فصاح به عبدالله بن الحسن «يا ابا جعفر أهكذا فعلنا بكم يوم بدر»؟

فسيرهم الى الكوفة ، وحبسوا في سرداب تحت الارض ، لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل . . وكانوا يتوضئون في مواضعهم حتى اشتدت عليهم الرائحة . . . وكان الورم يبدو في أقدامهم فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفوآد فيموتون . . . وكانوا قد عمدوا لمعرفة أوقات الصلوات ان جزّأوا القرآن خمسة اجزاء ، فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد من جزئه[١] .

وقال ابن الاثير : دعا المنصور محمّد بن عبدالله العثماني ، وكان أخاً لابناء الحسن من امهم ، فأمر بشق ثيابه حتى بانت عورته ، ثم ضرب مائة وخمسـون سوطـاً ، فاصـاب سوط منهـا وجهـه ، فقال : ويحك اكفف عن

(١) مروج الذهب ٤ : ١٥١ .

وجهي، فقال المنصور: الرأس الرأس، فضربه على رأسه ثلاثين سوطاً، واصاب احدى عينيه سوط فسالت على وجهه، ثم قتله.

واحضر المنصور ايضاً محمّد بن إبراهيم بن الحسن، وكان احسن الناس صورة، فقال له: انت الديباج الاصفر! لاقتلنك قتلة لم اقتلها احداً، ثم امر به فبني عليه اسطوانة وهو حي، فمات فيها(١).

واستمر كذلك الحال في عهد ولده محمّد الملقب بالمهدي، ومن بعده الهادي، فاشتد البلاء على الشيعة، ولقوا منه فنون العذاب والتنكيل، فقتل الكثيرون ومنهم الحسين بن علي بن الحسين صاحب فخ، قتله واصحابه وبقيت اجسادهم ثلاثة ايام في العراء حتى اكلتهم السباع والطير، وقتل من أُسر منهم صبراً(٢).

يقول الاصبهاني: ان أُم الحسين صاحب فخ هي زينب بنت عبدالله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب، قتل المنصور اباها واخوتها وعمومتها وزوجهُا علي بن الحسن، ثم قتل الهادي ـ حفيد المنصور ـ ابنها الحسين، وكانت تلبس المسوح على جسدها ولا تجعل بينها وبينه شيئاً حتى لحقت بالله عز وجل(٣).

واما الرشيد ـ ذائع الصيت ـ فقد اولغ في دماء العلويين والشيعة بشكل لا تصدقه العقول، ويكفي للتدليل على هذا الامر ايراد ما ذكره الصدوق في عيون الاخبار عن حميد بن قحطبة الطائي الطوسي، حيث قال: طلبني الرشيد في بعض الليل، وقال لي فيما قال: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به الخادم.

---

(١) الكامل في التأريخ ٥: ٥٢٥.
(٢) مروج الذهب ٤: ١٨٥.
(٣) مقاتل الطالبيين: ٤٣١.

فجاء بي الخادم الى دار مغلقة، ففتحها واذا فيها ثلاثة بيوت وبئر، ففتح البيت الاول واخرج منه عشرين نفساً عليهم الشعور والذوائب، وفيهم الشيوخ والكهـول والشبان، وهم مقيدون بالسلاسل والاغلال، وقال لي: يقـول لك امير المؤمنين اقتـل هؤلاء، وكانوا كلهم من ولد علي وفاطمة، فقتلتهم الواحد بعد الواحد، والخادم يرمي باجسامهم ورؤوسهم في البئر.

ثم فتح البيت الثاني، واذا فيه عشرون من نسل علي وفاطمة، وكان مصيرهم كمصير الذين كانوا في البيت الاول.

ثم فتح البيت الثالث، واذا فيه عشرون، فالحقهم بمن مضى، وبقي منهم شيخ، وهو الاخير، فقال: تباً لك يا ميشوم، اي عذر لك يوم القيامة عند جدنا رسول الله!!

يقول قحطبة: فارتعشت يدي، وارتعدت فرائصي، فنظر اليَّ الخادم مغضباً وهددني، فقتلت الشيخ، ورمى به في البئر..[1].

واستمر كذا الحال حتى بلغ اوجه في عصر المتوكل الذي كان ـ كما يذكر ذلـك ابـو الفـرج الاصبهـاني ـ شديد الـوطأة على آل ابي طالب، غليظاً في جماعتهم، شديد الغيظ والحقد عليه، وسوء الظن والتهمة لهم ... واستعمل على المـدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي، فمنع آل ابي طالب من التعرض للناس، ومنع الناس من البر بهم، وكان لا يبلغه ان احداً أبر احداً منهم بشيء ـ وان قل ـ الا انهكه عقوبة، واثقله غرماً، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقعنه، ويجلسن على مغازلهن عواري حاسرات!![2].

بل وهدم قبر الامام الحسين عليه السلام، وهدم ما حوله من البيوت،

---

(١) عيون الاخبار ١: ١٠٨، والواقعة مطولة فليراجع من أراد الاستزادة.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٥٩٧ ـ ٥٩٩.

ومنع الناس من زيارته، ونادى مناديه :ان من وجدناه عند قبر الحسين حبسناه في المطبق[1].

وهكذا كانت حال الشيعة آنذاك ، فلا غرو ان يقول في ذلك القائل :

تا لله ما فعلت أمية   معشار ما فعلت بنو العباس

نعم، ان للحكومات الظالمة وقعات ووقعات في الشيعة لم يكن للرحمة فيها اي اثر واي موقع، فعلى الرغم مما شهدته الشيعة من بعض الاستقرار ابان الفترة التي شهدت ضعف الدولة العباسية، الا انها لم تلبث ان عانت الامرّين من غير هؤلاء، امثال دولة السلاجقة والايوبيين، وخصوصاً في حكم صلاح الدين الايوبي، حيث كان يحمل الناس على التسنن وعقيدة الاشعري، ومن خالف ذلك ضُربت عنقه، بل وأمر بعزل قضاة الشيعة، وأمر ان لا تقبل شهادة شيعي ابداً، وان لا يقدم للخطابة ولا للتدريس، حتى قيل بالحرف الواحد: لقد غالى الايوبيون في القضاء على كل أثر للشيعة[2].

نعم كذا وأسوء من ذلك كان فعل صلاح الدين الايوبي بالشيعة، رغم ما عرف الناس عنه من مآثر معلومة في قتاله للروم الصليبيين، وتلك وصمة عار لا تنسى.

واما العثمانيون فقد كانوا اسوأ من ذلك بكثير، وذلك مما يندى له الجبين، حيث استحصل السلطان سليم فتوى ـ ممن يسمى ظلماًوزوراً وبهتاناً بشيخ الاسلام ـ ان الشيعة خارجون عن الدين يجب قتلهم!! فامر بقتل كل من كان معروفاً بالتشيع داخل بلاده، فقتل نتيجة ذلك اربعون ـ وقيل سبعون ـ الفاً لا ذنب لهم الا انهم شيعة. . .

(١) سجن رهيب ومظلم تحت الارض.

(٢) انظر كتاب الازهر في الف عام ١ : ٥٨.

تساؤل لابـد منـه :

اخيراً اقـول ـ وبعد هذا المرور العابر على جانب ضئيل من الظلم الذي وقع على الشيعة طوال مئات من السنين ـ:هل للشيعة من بد الا ان تتجه الى اعتماد التقية لتبقي على البقية الباقية منها؟

وهل يقبل عاقل بنبزهـم باتهامات باطلة لا تقوم امام شيء ولا تستقر ولو قليلاً على ارض الواقع؟

ماذا يفعل الشيعة امام هذا الظلم العظيم، وامام هذا القتل الرهيب؟

هل من عار على الشيعي ان يلجأ الى التقية ليحفظ عرضه وماله وحياته؟؟

كلا والف كلا، بل العار والخزي يتعلق باولئك الـذين دفعـوه الى ما اضـطر اليه اضـطراراً، وتلك حقيقـة لا يقر بها الا العقلاء، والمنصفين، والمثقفين الذين لا يخدعهم بريق الكلمات وتزوق الحروف، والله خير الحاكمين.

❊ ❊ ❊

الكلمة الاخيرة :

اقول وقبل ان نطوي عن هذا الحديث الملئ بالشجون: ان ما مر من الحديث حول الظلم الواقع على الشيعة، واضطرارهم الى اللجوء الى التقية لا يفي تقوقع الشيعة واستكانتهم أمام الظلم، بل ان التأريخ سجل لنا الكثير من الثورات البطولية والدامية لرجال الشيعة، سطروا فيها اعظم الملاحم في البطولة والتفاني والشجاعة، نصرة للحق ورفعاً للوائه، ودفعاً ورفضاً للظلم والانحراف الذي اصاب جسد هذه الامة المبتلاة، وانا ادعو القارئ الكريم للاطلاع على كتاب «الانتفاضات الشيعية عبر التأريخ» للسيد هاشم معروف الحسني للاطلاع عن كثب على طبيعة هذه الثورات الكبرى، امثال:

١ - ثورة الامام الحسين عليه السلام.

٢ - وثورة التوابين.

٣ - وثورة المختار.

٤ - وثورة زيد بن علي بن الحسين.

٥ - وثورة يحيى بن زيد.

٦ - وثورة عبدالله بن معاوية.

وغيرها من الثورات المعروفة والشهيرة، والله المسدد للصواب.

❊ ❊ ❊

التصحيح (ص٥٥): ومن الغـريب ان بعض رواة الشيعة روت عن الامام الصادق روايات في وجوب التقية على شيعته، في حين انه وشيعته لم يكونوا بحاجة اليها، فالامام كان يدرّس في مسجد رسول الله (ص) وحوله آلاف من التلامذة والطلاب والمستمعين. . . . الخ.

تصحيح التـصحيح:

ربما يغنيني القرّاء عن الاجابة على هذا الرجل في تخرصاته هذه، فالتأريخ خير شاهد على التجاء الامامين الباقر والصادق عليهما السلام الى التقية، وعدم إبرازهما للعموم ما كان يعتقدانه من مثالب الحكام وجورهم، وهذا ما مكنهما عليهما السلام من ان يوفقا في اقامة هذه المدرسة العامرة، والتي تولى ثقلهـا الاكبـر الامـام الصـادق عليه السـلام، حيث توسعت وازدهرت، واخذ يحضرها الآلاف من الطلبة والدارسين، بما فيهم المحب المخلص، والعدو الشامت.

والتأريخ يحدثنا عن وقائع كثيرة ضايق فيها خلفاء الجـور الامام عليه السلام، فهل يريد صاحب التصحيح ان يقـول لنا ولغيـرنا ان الامام الصادق عليه السـلام كان على علاقـة وثيقـة بالسلطة الحاكمة وكأنّا وغيرنا لا نقرأ التأريخ ولا نفهم شيئاً منه!!

واليك هذه الواقعة التي يرويها ابن عبدربه في العقد الفريد، قال: لما حج المنصـور مر بالمدينة، فقال للربيع: عليَّ بجعفر بن محمّد، قتلني الله ان لم اقتله، فمـطل به، ثم الـح فيه، فحضـر، فلما دخل همس الامام بشفتيه، ثم تقرّب وسلم، فقال المنصور، لا سلم الله عليك يا عدو الله . . .

تعمل على الغوائل في ملكي! قتلني الله ان لم اقتلك، فقال الامام: ان سليمان أُعطي فشكر، وان ايوب أُبتلي فصبر، وان يوسف ظلم فغفر، وانت على ارث منهم، واحق الناس بهم، فنكس المنصور رأسه، ثم رفعه وقال: يا ابا عبدالله، انت القريب القرابة، وذو الرحم الواشجة. ثم عانقه واجلسه معه على فراشه، واقبل عليه يسائله ويحادثه، ثم قال: عجلوا لابي عبدالله اذنه وكسوته وجائزته.

ولما خرج الامام تبعه الربيع وقال: اني منذ ثلاثة أيام أُدافع عنك واداري عليك، ورأيتك اذ دخلت همست بشفتيك وقد انجلى الامر، وانا خادم سلطان ولا غنى لي عنه فاحب ان تعلمنيه.

قال الامام: قل اللّهُمّ احرسني بعينك التي لا تنام، واكفني بكنفك الذي لا يرام، ولا اهلك وانت رجائي، فكم من نعمة انعمتها عليّ قل عندها شكري فلم تحرمني، وكم من بلية ابتليتني بها قل عندها صبري، فلم تخذلني، اللهم بك ادرأ في نحره، واعوذ بخيرك من شرّه، فانك على كل شيء قدير، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم[١].

كما لا يخفى على احد ان الامام موسى بن جعفر عليه السلام والخواص من شيعته قد اودعوا السجن لسنين طويلة لترك الشيعة العمل بالتقية في ايامه، والتأريخ خير شاهد على ذلك، فراجع[٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) العقد الفريد ٢ : ٣٤.

(٢) انظر في تأريخ بغداد للخطيب البغدادي، والارشاد للشيخ المفيد، واعلام الورى للطبرسي وغير ذلك من المراجع المختلفة.

التصحيح (ص٥٦): وهذان الإمامان الاب والابن[1] اللذان كان احدهما ولياً للعهـد والآخـر صهراً للخليفة، لم يكونا بحاجة الى العمـل بالتقية، ولم يطلبـا من الشيعة ان يتخذوا من التقية وسيلة لمآربهم... الخ.

تصحيح التصحيح:

اذا كانت التقية في زمان الامام الرضا عليه السلام قد رفعت برهة من الزمن لبسط يده، وتحمله لولاية عهد المأمون، فان الثابت والمؤكد الصريح ان حال الائمة عليهم السلام بعد ذلك هم وشيعتهم، ولا سيما في عصر المعتصم والمتوكل وما بعدهما، كانوا يلاقون اشد الحرج والتضييق، وكانوا في أدق حالات التقية والتستر، ويتبيّن ذلك بوضوح لمن سبر تأريخهم، وطالع في سيرتهم ومناهـج حياتهم، وكذا لمن استقرأ الاوضاع السياسية السائدة آنذاك[2]، ويبدو ان صاحب التصحيح اما اصدر حكمه ورأيه دون ان يطالع ولو قليلاً في تأريخهم، أو انه لم يؤد أمانة التأريخ وانكر الحقيقة واخفى في كتابه واقع الامر، وهذا هو الاقوى والاقرب الى الصـواب.

اقول: وقبل ان نطوي عن مبحث التقية: اود ان اشير الى جملة من الملاحظات التي قد يكون لها دلائل واضحة في استطرادنا في هذا المبحث المهم:

ان للتقية مراتب، منها: ان يحضروا جماعتهم، والصلاة خلفهم، وان يقولوا للناس حسناً، ويجاملوهم، ويماشوهم في مذهبهم ولا يكاشفونهم عن حقيقة الامر.

---

(١) يعني بهما الامامان علي بن موسى الرضا وابنه محمد الجواد عليهما السلام.

(٢) تقدمت الاشارة الى جملة من تلك الظروف في صفحات بحثنا الاولىٰ حول التقية، فراجع.

جاء في التأريخ : ان المأمون لما أراد ان يزوج ابنته من الامام الجواد عليه السلام عقد مجلساً جمع فيه وجوه بني العباس والفقهاء، فاستأذنوا ان يسألوا الامام عليه السلام بعض المسائل الفقهية ليمتحنوه، فسألوه جملة من المسائل المُشكلة ـ حيث ارادوا ان يعجزوا الامام في الجواب عنها لينتقصوا منه أمام الخليفة ليفسخوا عزمه ـ فأجابهم الامام الجواد عليه السلام بأحسن جواب وبيسر ودون اي تردد، ثم استأذن الخليفة في مسائلتهم هم، فسألهم فعجزوا عن الجواب، فاحتالوا حيلة ارادوا منها ايقاع الامام في الحرج والشدة.

سألوه : ما تقول في حديث العباء الذي جاء فيه : ان الله تبارك وتعالى يسأل ابا بكر: اني منك راض، فهل انت راضٍ مني ! ![1] فاجابهم الامام عليه السلام : إنّا لا ننكر فضل ابي بكر وأنّه من كبار الصحابة، ولكن الحديث يخالف قوله تعالى ﴿**وَلَقد خَلقنا الانسانَ ونَعلمُ ما تُوسوس بهِ نفسُهُ**﴾[2].

فحيث ان الله تعالى يعلم السر واخفى، ويعلم ما توسوس به النفوس، فلا حاجة له ان يسأل.

فهذا هو معنى التقية، ان يجادلهم بالتي هي احسن، وان يقول للناس حسناً، ولا يتعصب، ولا يقول صريحاً ان الحديث موضوع مجعول، وانهم كذبوا على الله تعالى وعلى لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله، فيخرج

(١) حديث العباء مما يُتبرك به عند العامة، ابناء السنة والجماعة، يُقرأ عندهم في المواليد وفي مجالسهم، ويبكون شوقاً عند قراءته.

وسمعت ان كثيراً منهم يأتون الحديث بصورة مسرحية تبركاً وتيمناً، ولعل الحديث موضوع من قبل الامويين أو العباسيين قبال حديث الكساء المشهور والمتواتر عندنا وعند العامة.

(٢) ق ٥٠ : ١٦ .

عواطفهم.

ثـم سألوا الامام عليه السلام ايضاً عن ما يروونه من: «ان ابا بكر وعمر سيدا كهول اهل الجنة»[1].

فأجـاب عليه السلام: إن ابا بكر وعمر سيدان كبيران محترمان عند المسلمين، ولكن ليس في الجنة كهول ليكونا سيديهم، بل اهل الجنة كلهم جرد مرد كما جاء في الحـديث.

* * *

(١) ولعل هذا الحديث موضوع ايضاً بايعاز من الامويين والعباسيين في قبال الحديث الصحيح عن رسول الله (صلّى الله عليـه وآله): الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة.

تصريح وتصحيح :

من المؤسف جداً ان كثيراً من فقهائنا قديماً وحديثاً لما عسر عليهم الجمع بين كثير من الاخبار الصحيحة المتضادة ظاهراً تمسكوا بأخبار التقية، وحملوا الاخبار على غير محملها، أو تمسكوا بالاخبار العلاجية، فأخذوا يطرحون ما هو موافق للعامة، ولو كانت مخالفة لبعظهم الآخر، والحال ان الجمع مهما امكن أولىٰ من الطرح.

نعم جاء في بعض الاخبار العلاجية : خذ ما خالف العامة فان الرشد في خلافهم، اما متىٰ وكيف؟ أليس في الاخبار العلاجية نفسها اولاً العرض على كتاب الله وسنّة نبيّه، والمراد سنّته المتواترة أو المحفوفة بقرائن الصدق لا المروية من طرق الآحاد غير المحفوفة.

ثم اذا كان احـدهمـا موافقـاً للكتـاب والسنّة فخذ الموافق واضرب المخالف بالجدار.

وامـا اذا لم يكن في الكتاب والسنّة ما يوضح المراد، وكانت الرواة كلهم فيها عدولاً، نجمع بينهما إمّا بالتخصيص اذا كان اخدهما عامّاً والآخر خاصّاً، بحمل العام على الخاص.

وامـا بالتقييد اذا كان احدهما مطلقاً والآخر مقيّداً، بحمل المجمل على المبيّن.

والا يحمل ما هو موافق لاصحابنا على الفرض، وما هو موافق للعامة على السنّة والاستحباب أو الاباحة وما شاكل ذلك، ولا حاجة الى الحمل على التقية وطرح الخبر، لان التقية خلاف الاصل.

قال بعض اساتذتنا في الدرس : «الحمل على التقية مهنة العاجز» فمن باب المثـال لا الحصـر: أنه قد ورد عن أئمتنا غسل الرجلين قبل المسح

ليكون آخر ما يأتيه في الوضوء هو المسح (اي مسح الرجلين) عملاً بكتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلّى الله عليـه وآله . . ولكن ومع الاسف حملوا الغسل هنا على التقية وخلاف الواقع، لظنهم انه لا وجه للمسح بعد الغسل، مع انه يجوز حمله على الغسل قبل الشروع في الوضوء، لان الارجل مظنة القذارة والنجاسة، فيُستحب غسلها وازالة الدرن عنها قبل الشروع في الوضوء، وهذا الحمل على التقية التي هي خلاف الاصل.

نعم نحن لا ننكر جريان التقية في الوضوء ونحوه، إذا جاء في حديث علي بن يقطين لما تولى منصب الوزارة ايام الرشيد، وكتب الى الامام موسى ابن جعفـر عليهمـا السـلام يستفتيه، فأجازه الامام عليه السلام وكتب في جوابه: «كفارة عمل السلطان قضاء حوائج الاخوان» ثم أمره أن يتوضأ ويصلي على مذهب العامة حتى يأتيه كتابه.

فالتقية بهذا المعنى مستحسن عقلاً، ممدوح شرعاً، ونظائرها كثيرة في زمان الرسول الاكرم صلّى الله عليـه وآله وائمة الهدى عليهم السلام، كما اشرنا اليه سابقاً.

وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام انه لم يثبت عنده الفطر، وقد ثبت ذلك عند المنصور، كما اعلن ذلك للناس، فطلب المنصور الامام عليه السـلام للحضور في مجلسه، فقدّموا للحاضرين الحلوى، فتناولوا وأكلوا وأكل الامام عليه السلام، فقال له بعض اصحابه: كيف افطرت يا بن رسول الله ولم يثبت عندك الفطر!؟ فقال عليه السلام: لأفطر يوماً واقضيه خير من ان يراق دمي . . .

فأي خلاف للعقـل والشرع في اعتماد التقية هذه؟ واي مذلة فيها؟ وكيف يصعب على صاحب التفسير ان يتصور التقية بالمفهوم الذي رسمناه، والتقية في ايام حضور الائمة عليهم السلام كانت شائعة اكثر من زمان الغيبة

الكبرى، واما في زماننا هذا، وبعد ان منح الله تعالى الشيعة القدرة والنشاط فانتشـروا وشاعوا في اكثر بلاد المسلمين وغير بلاد المسلمين، فلا حاجة للتقية ان شاء الله تعالى . . .

❊ ❊ ❊

الامام المهدي عليه السلام والخمس

التصحيح (ص٦٣): ولـو ان الاعتقـاد بوجـود المهـدي بقي محصوراً في الايمان بوجود إمام غائب من نسل رسول الله صلّى الله عليـه وآله يظهر في يوم ما ويملأ الارض قسطاً وعدلاً، لكان المسلمون بخير، ولكن مع الاسف الشديد أن فقهاء المذهب الجعفري الصقوا الى المهدي جناحين شوهـوا بهما صورة المهدي الرفيعة الوضاءة، وهذان الجنـاحـان بدعتـان.. الى قوله ـ البدعة الاولى هي تفسير الخمس وارباح المكاسب، والبدعة الثانية هي ولاية الفقيه.. الخ.

تصـحيـح التصـحيـح:

يبدو بوضوح للمتأمل في تقولات هذا الرجل انه امّا يُلقي الكلام على عواهنه ودون تدبر وتبصر، أو انّه يردد حرفياً ما يملىٰ عليه ويلقَّن، وهذه اشد وانكى، فما عسى المرء وهو يقرأ هذه السطور الصفراء المنفلتة عن مقاييس العقل والشرع والمنطق، والمتغربة بشكل لا تصدقه العقول عن ارض الواقع وميدانه الرحب!! بلى ماذا تعني هذه التخرصات السقيمة والمملة، والجميع يدركون بوضوح عمق ومتانة الادلة الشرعية التي تستند اليها الشيعة الامامية

في كل تشريعاتها الفقهية والعقائدية، والتي يعد الخمس واحداً منها، وحيث يجد المطالع لكتب فقهائنا ومفكرينا الصورة واضحة بينة لا تحتاج الى زيادة توضيح واعادة صقل، بيد ان من لا يرعوي امام كلمة الحق لا بد وان يُلقم به لعله يذعن مرغماً، ويسلّم مكرهاً، أو على اقل تقدير ان يكف عن اطلاق هذه التقولات والتخرصات المردودة.

بلى ان وجـوب الخمس في الجملة من ضروريات الاسـلام، وهو فرض من الفرائض كالزكاة، ولربما كان انكاره كفراً والحاداً وارتداداً، ويدل على ذلك الكتاب والسنّة والاجماع، بل والعقل ايضاً.

ففي القرآن الكريم جاء قوله تعالى:

﴿وَٱعلَمُوا أَنَّمَا غَنِمتُم مِن شَيءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسهُ ولِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلقُربَى وَٱليَتَامى وَٱلمَساكِينِ وَٱبنِ ٱلسَّبِيلِ إن كُنتُم آمَنتُم باللهِ وَمَا أَنزلنَا عَلَى عَبدِنَا يَومَ ٱلفُرقانِ يَومَ ٱلتقَى ٱلجمعَانِ وَٱللهِ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

قال بعض المحققين من الفقهاء تعليقاً على هذه الآية الكريمة: صدّر سبحانه وتعالى كلامه بالبعث على العلم موجهاً خطابه الى عموم المؤمنين فقال **﴿واعلموا﴾** واكده بكلمة **﴿ان﴾** للتنبيه على الاهتمام والعناية الخاصة بالحكم المذكور فيه، وعلّقه على **﴿ما﴾** الموصولة التي هي من المبهمات، وفسّره بمبهم آخر فقال: **﴿أنّما غنمتم من شيء﴾** للدلالة على التعميم، وانه لا يختص بامر دون آخر، بل كل ما انطبق عليه مفهوم الصلة، وصدق عليه لفظ الشيء، وبأي سبب من اسباب تحصيل المغنم حصل، فهو موضوع لهذا الحكم.

جاء في لسان العرب مادة «غنم»: الغنم: الظفر بالغنم، ثم استعمل

---

(١) الانفال ٨: ٤١.

في كل ما يظفر به من جهة العدو وغيرهم.

وقال: الغنم: الفوز بالشيء من غير مشقة[١].

وفي القاموس المحيط: الغُنم «بالضم» والمغنم والغنيمة في اللغة: ما يصيبه الانسان ويناله ويظفر به من غير مشقة[٢].

وفي كتاب العين: الغُنم هو الفوز بالشيء من غير مشقة[٣].

واما في نهاية ابن الاثير فقد جاء: الرهن لمن رهنه، له غُنمُه وعليه غرمه. غُنمه: زيادته ونماؤه وفاضل قيمته[٤].

وقال الجوهري في الصحاح: المغنم والغنيمة بمعنى[٥].

وهكذا ترى بوضوح ان استعمال كلمة المغنم لم تكن بمقيدة ولا منحصرة فقط في امور الحرب، بل ان لها موارد متعددة واستعمالات شتىٰ.

روى ابن ماجة في سننه (الحديث ٧٩٧) عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قوله: اللهم اجعلها [اي الزكاة] مغنماً ولا تجعلها مغرماً.

بل وفي مسند احمد روى عن عبدالله بن عمر قال: قلت: يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر؟ فقال صلّى الله عليه وآله: غنيمة مجالس الذكر الجنة الجنة[٦].

هذا يشكّل الجانب الاول من حديثنا حول هذه الآية الكريمة، وما يثار حولها من تساؤلات، كما ان الجانب الآخر يتعلق بموضع الحكم الخاص

---

(١) لسان العرب ١٢: ٢٤٥.

(٢) القاموس المحيط ٤: ١٥٨.

(٣) العين ٤: ٤٢٦.

(٤) النهاية ٣: ٣٩٠.

(٥) الصحاح ٥: ١٩٩٩.

(٦) مسند احمد بن حنبل ٢: ١٧٧، ١٩٠.

بها.

فإنّ هذه الآية وان كانت نزلت في مورد خاص، وفي سياق آيات غزوة بدر، الا انهـا في الحقيقة قد قررت حكماً عاماً لا يمكن لاحد ان يوجب تخصيصها بهذا المورد الواحد التي كأنها تبدو لغير المتامل بها انها نزلت في حدودها، لان الاولى ان يُذكر في سياق الآية بعد قوله تعالى ﴿**انما غنمتم**﴾ عبارة «في الحرب» مثلاً لا قوله جلّ اسمه ﴿**من شيء**﴾ حيث يظهر من ذلك ان هذا المورد غير مخصص، والاّ وجب تخصيصها بغنائم غزوة بدر فقط، كمـا انه لا مانع من ان يصير مورداً خاصاً موجباً لنزول حكم كلي يشمله بعمومه، بل هذا الامر مألوف ومتعارف عليه في القرآن الكريم.

نعم ان التشكيك في دلالة الآية الشريفة باحتمال اختصاصها بغنائم دار الحرب أمر لا وجه له، ولا سيما بعد الاتفاق من الفريقين على شمول الغنائم لغنيمة الركاز ـ وهو الكنز المدفون ـ فانه يجب فيه الخمس بلا خلاف بين مذاهب المسلمين[١].

روى احمد في مسنده (١ : ٣١٤)، وابن ماجة في سننه (٨٣٩) عن ابن عباس رحمه الله قوله: قضى رسول الله صلّى الله عليـه [وآله] في الركاز الخمس.

وفـي صحيح البخــاري، وصحيح مسلم، وسنن ابي داود، وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجة، وموطأ مالك، ومسند أحمد، رووا عن ابي هريرة عن رسول الله صلّى الله عليـه وآله قوله: العجماء جُرحها جُبار، والمعدن

---

(١) يراعى عندنا فيه ان يبلغ نصاباً تجب في مثله الزكاة، وهو قول الشافعي في الجديد، وقال في القديم: يُخمسّ قليله وكثيره.

وبه قال مالك وابو حنيفة.

جُبار، وفي الركاز الخمس(١).

وروي عن انس بن مالك قوله: خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله الى خيبر، فدخل صاحب لنا الى خربة يقضي حاجته، فتناول لبنة ليستطيب بها فانهارت عليه تبراً، فأخذها فاتى بها النبي صلّى الله عليه وآله فاخبره بذلك.

فقال له صلّى الله عليه وآله: زنها.

فوزنها فاذا هي مائتا درهم فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: هذا ركاز وفيه الخمس(٢).

وروي: ان رجلاً من مزينة سأل رسول الله صلّى الله عليه وآله مسائل منها: فالكنز نجده في الخراب والآرام؟

فقال صلّى الله عليه وآله: فيه وفي الركاز الخمس(٣).

ثم ان الاستقراء في كتب العامة يدلنا بوضوح على اتفاقهم مع ما ذهبنا اليه من وجوب الخمس في الركاز، واليك مثلاً ما ذكره صاحب كتاب الخراج، القاضي ابو يوسف في كتابه، حيث قال:

واما الركاز فهو الذهب والفضة الذي خلقه الله عزَّ وجلَّ في الارض يوم خُلقت، فيه الخمس ايضاً، فمن اصاب كنزاً عارياً في غير ملك أحد، فيه ذهب أو فضة أو جوهر أو ثياب، فان في ذلك الخمس واربعة اخماسه للذي أصابه، وهو بمنزلة الغنيمة يغنمها القوم فتخمّس وما بقي فلهم(٤).

---

(١) صحيح البخاري ١: ١٨٢، صحيح مسلم ٥: ١٢٧، سنن ابي داود ٢: ٢٥٤، سنن الترمذي ٣: ١٣٨، سنن ابن ماجة: ٨٠٣، موطأ مالك ١: ٢٤٤، مسند احمد ٢: ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٧٤، ٤٦٧، ٤٨٢، ٤٩٥، ٥٠١، ٥٠٧.

(٢) مسند احمد ٣: ١٢٨.

(٣) مسند أحمد ٢: ١٨٦، سنن الترمذي ١: ٢١٩.

(٤) الخراج: ٢٦.

وهكـذا فاننـا وبعد ما تقدم تبيّن لنا ان مفهوم الغُنم لا يختص فقط بجانب الحرب، بل يتعداه الى جميع ما يحصل عليه الانسان، حتى من دون مشقة، وحيث يُعرف ذلك بوضوح بملاحظة ضده، اي الغُرم، والغنيمة والمغنم من مشتقاته، فلا تختصان بحسب اللغة بغنائم دار الحرب فقط، ولو سلم كثرة استعمالهما في خصوصها، بحيث صارتا حقيقة عرفية، فان ذلك لا يوجب هجر معناهما اللغوي، لا سيما وان المذكور في الآية المتقدمة هو الفعل الماضي ﴿**غنمتم**﴾ لا لفظ الغنيمة والمغنم.

كمـا اننـا قد تبيّن لنـا ان لفظ ﴿**ما غنمتم**﴾ يشمل الكنز، مضافاً الى ما ذكرناه من اتفاق المذاهب على وجوب الخمس فيه، والمكسب عموماً يقال له بانه غنيمة باردة في قبال غنيمة الحرب، حيث انها وحسب ما يقال غنيمة حارة مزعجة.

ثم ان المطالعة في عموم الروايات التي ينقلها العامة في كتبهم حول الخمس واضحة الدلالة على شمول الخمس لغنيمة المكسب استدلالاً بما توصلنا اليه من الاستنتاجات السابقة.

فمن ذلك قوله لوفد عبدالقيس: آمركم باربع وانهاكم عن اربع، آمركم بالايمان بالله. . . . وتعطوا الخمس من المغنم[١].

وما رواه ابن الاثير في ترجمة مالك بن احمر الجذامي، ان رسول الله صلّى الله عليـه وآله كتب له (اي لمالك) ولمن تبعه من المسلمين أماناً لهم ما اقاموا الصلاة، واتبعوا المسلمين. . وادّوا الخمس من المغنم[٢].

وكتب صلّى الله عليـه وآله لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن: بسم

---

(١) صحيح البخاري ٤: ٢٠٥، صحيح مسلم ١: ٣٥، سنن النسائي ٢: ٣٣٣.
(٢) أسد الغابة ٤: ٢٧١.

الله الرحمن الرحيم، هذا بيان من الله ورسوله: **﴿يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود﴾**[١] عهد من محمّد النبي رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن:

امره بتقوى الله في امره كله، وان يأخذ من المغانم خمس الله . . .[٢].

وروى ابن سعد في طبقاته وابن الاثير في أُسد الغابة، وابن حجر في الاصابة ما كتبه رسول الله صلّى الله عليه وآله للفجيع ووفد بني البكاء ـ من بطن بني عامر من العدنانية ـ عندما قدموا عليه صلّى الله عليه وآله، ما نصه: من محمّد النبي للفجيع ومن تبعه وأسلم وأقام الصلاة وآتى الزكاة واطاع الله ورسوله، واعطى من المغانم خمس الله . . . .[٣].

وغير ذلك من الروايات والكتب التي بينت بوضوح ايجاب رسول الله صلّى الله عليه وآله الخمس على المسلمين من مغانمهم، والتي استعرضنا سابقاً انها لا تختص بجهة الحرب، بل تتعداها لغنيمة المكسب والتي اوردنا ان الركاز واحد من مصاديقها، فتأمل.

واما من طرقنا الخاصة فهناك العديد من الروايات الصحيحة، وذات الاسانيد الموثقة التي لا يرقىٰ اليها الشك، والتي يتعمد صاحب التصحيح ان يعرض عنها ويغضي بطرفه عن صحتها، ونحن لا نريد هناك ان نستعرض جميع هذه الروايات ونناقش في مدى ما تؤكده على شرعية هذا الامر، لانه موكول الى كتب الفقه المختلفة، والتي اعطته من الاهتمام حقّه، الاّ إنّا سنحاول في هذه العجالة تذكير صاحب التصحيح بجانب مختصر من هذه الروايات لعله يتذكر أو يخشىٰ:

---

(١) المائدة ٥: ١.

(٢) سيرة ابن هشام ٤: ٢٦٥، البداية والنهاية ٥: ٧٦.

(٣) طبقات ابن سعد ١: ٣٠٤، أُسد الغابة ٥: ١٧٤.

من ذلك رواية سماعة الصحيحة عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام حيث سأله عن الخمس، فقال عليه السلام: في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير.

وما رواه الشيخ الطوسي باسناده عن الريان بن الصلت، قال: كتبت الى ابي محمد الجواد عليه السلام: ما الذي يجب عليَّ يا مولاي في غلة رحى ارض في قطيعة لي، وفي ثمن سمك وبردي وقصب ابيعه من اجمة هذه القطيعة؟

فكتب عليه السلام: يجب عليك فيه الخمس ان شاء الله.

وما رواه الشيخ ايضاً باسناده عن علي بن مهزيار قال: قال لي ابو علي ابن راشد: قلت له: امرتني بالقيام بامرك وأخذ حقك، فعلمت مواليك بذلك، فقال لي بعضهم: وأي شيء حق؟ فلم أدر ما اجيبه، فقال: يجب عليهم الخمس، فقلت: ففي اي شيء؟ فقال: في امتعتهم وصنائعهم اذا أمكنهم بعد مؤونتهم.

وكذلك ما رواه باسناده عن علي بن محمد بن شجاع النيسابوري: انه سأل ابا الحسن الثالث عليه السلام: بقي في يده ستون كراً، ما الذي يجب لك من ذلك؟

فوقّع: لي منه الخمس مما يفضل من مؤونته.

وما رواه ايضاً باسناده عن علي بن مهزيار عن محمّد بن الحسن الاشعري قال: كتب بعض اصحابنا الى ابي جعفر الثاني عليه السلام: اخبرني عن الخمس أعلى جميع ما يستفيد الرجل من قليل وكثير، من جميع الضروب وعلى الصنائع، وكيف ذلك؟

فكتب بخطه: الخمس بعد المؤونة.

وغير ذلك من الروايات الموثقة والتي تبلغ حد التواتر، مضافاً الى

اجماع الطائفة الذي يضرب به صاحب التصحيح عرض الحائط، وكانه من اختراعات الشيعة وحدهم، ومن تخرصات افكارهم!!

انهـا دعـوة للتأمل قبل فوات الاوان والوقوف للحساب امام صاحب الحساب وحيث لا ينفع الظالمين معذرتهم.. ولات حين مناص.

❊ ❊ ❊

التصحيح (ص٦٦): لم يذكر أرباب السير الذين كتبوا سيرة النبي الكريم صلّى الله عليه وآله ودونوا كل صغيرة وكبيرة عن سيرته ونواهيه ان الرسول صلّى الله عليه وآله كان يرسل جباته الى اسواق المدينة ليستخرج من أموالهم خمس الارباح، مع ان ارباب السير يذكرون حتى أسامي الجباة الذين كان الرسول صلّى الله عليه وآله يرسلهم لاستخراج الزكاة من اموال المسلمين. . . الخ.

تصحيح التصحيح:

ان في هذا القول كثير من المغالطة ومن التلاعب في الالفاظ دون الالتفات الى لب الموضوع وصلب الحقيقة، وذلك لان هذا الاشكال الذي يحاول هذا الرجل طرحه ـ دون تدبّر وتفكر ـ لا يضر بأصل الحكم بعد ثبوته بعموم الكتاب والأخبار الكثيرة، بل والاجماع ايضاً.

نعم ان التأمل القليل يبيّن بوضوح ما اردنا التصريح به وما ذكرناه سابقاً، ولعل هذا الحكم كان ثابتاً في عصر النبي صلّى الله عليه وآله بنحو الانشاء، بيد ان اجراءه آنذاك كان موجباً للحرج والمشقة لظروف الفقر العمومي، أو للاستيحاش، وذلك لكونهم حديثي عهد بالاسلام، فارتأى صلّى الله عليه وآله تأخير ذلك واجرائه في عصر الصادقين عليهم السلام، وفي ذلك حالات كثيرة لا تخفى على الجميع، كحكم المارقين والقاسطين والناكثين.

بل ويمكن ان نورد جملة أُخرى من التأويلات والآراء الواقعية التي لا يخالفنا فيها أحد، الا اننا نود ان نستعرض جانباً مهماً يشكل الحجر

الاساس في فهم وابطال الاشكال الذي أثاره صاحب التصحيح من خلال ربطه بين الزكاة والخمس دون الالتفات الى جوانب الاختلاف بينهما، وهو ما يوضح لنا صورة ما اغمض عن النظر اليه.

بلى ان هناك أُمــور تميز بين الزكاة والخمس عند التأمل بها نستنتج الجواب دون الحيرة والالتباس:

منها: ان الخمس بعد اخراج مؤونة السنة من الارباح، فهذا الامر لا يعلمه ولا يشخصه الا صاحب المال نفسه، ولا يتيسر ذلك التقويم من الجباة ابداً، بخلاف الزكاة فانها تقوّم على صاحب المال وتؤخذ منه، من غير اخراج مؤونة السنة.

ومنها: ان الزكاة تؤخذ ولو قهراً، ولذلك يعبّر عنها «بأوساخ الناس» على الخلاف من الخمس، فان صاحب المال يعلم كم ربح، وكم صرف منه لمؤونة سنته، وكم عليه ان يخمس مما اغتنم من الارباح، فلذلك جعل لاخذ الزكاة الجباة، وما جعل للخمس من جباة، لان الخمس لا يؤخذ بل يعطىٰ عن طيب نفس.

ومنها: ان الزكاة يعطيها الغني والفقير، ربح أم خسر ما لم ينقص عن النصاب، بخلاف الخمس فانه لا يعطيه إلّا الغني الذي ربح وفضل له بعد مؤونة سنته.

ومنها: ان صاحب المال لا بد ان ينتابه السرور وتعتريه الغبطة اذا علم بوجوب الخمس عليه، حيث ان ذلك مؤشر على ان في عامه هذا قد غنم وربح، وان له اربعة اخماسه، وانما يعطي في سبيل الله تعالى خمس الفائدة فقط والباقي ـ وهو اربعة أخماس الفائدة مع رأس المال ـ يبقى له.

إذن فالخمس صفو المال يعطيه صاحبه المال تقرّباً الى الله تعالى ـ كباقي العبادات ـ عن طيب نفس، ومن رضاه، غير مُكرَهٍ ولا مُستَكرهٍ، يرجو

ثواب الله جلّ وعزّ، والله ـ يا صاحب التصحيح ـ عنده حسن الثواب.

هذا كله مع العلم بأن المال إذا خُمِّس لا يُخمّس أُخرى الى الابد، للحديث المشهور من قولهم عليهم السلام: «المخمَّس لا يُخمَّس».

وأما قول صاحب التصحيح من انه صلّى الله عليه وآله لم يُرسل أحداً من الجباة الى أسواق المدينة لجباية الخمس، فان في ذلك دلالة واضحة على عدم الفحص والتأمل فيما يقوله، وهو ما يسمى بالقاء الكلام على عواهنه.

فهل يريد ان يقول انه كان في ايام رسول الله صلّى الله عليه وآله وايام الخلفاء الثلاث سوقاً كما هو عليه اليوم ليضرب عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله الخمس ويرسل الجباة اليه!! بل إنّا لم نسمع انه صلّى الله عليه وآله ضرب على ما يسمى بسوق المدينة الزكاة، ولم نسمع ايضاً انه ارسل اليه الجباة.

ومع ذلك فقد قرأنا وسمعنا ان عبيدالله بن العباس ونفراً من بني هاشم ارسلهم النبي صلّى الله عليه وآله الى بعض الاحياء لجمع الاخماس، ومنهم من بعثهم الى اليمن لجباية اخماسهم.

❊ ❊ ❊

مصرف الخمس :

واما مصرف الخمس فالواجب على من عليه الحق ان يوصله الى مصارفه بنفسه، فاذا عجز ولم يعرف مصارفه فان عليه ان يعطيه الى مجتهد عادل يثق به ليوصله الى مصارفه، وهم الفقراء من بني هاشم «قربىٰ النبي صلّى الله عليه وآله» واليتامىٰ وابناء السبيل منهم، ليصونوا به أعراضهم، ويحفظوا به شرفهم، ولا يُستهانوا وهم منسوبون الى رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقد حرّم الله تعالى عليهم ان يأخذوا الصدقات والزكوات بأقسامها.

قال الشافعي في كتابه «الأُم»: فأما آل محمد صلّى الله عليه وآله ـ الذين جعل لهم الخمس عوضاً من الصدقة ـ فلا يعطون من الصدقات المفروضات شيئاً قل أو كثر، ولا يحل لهم ان يأخذوها، ولا يجزي عمن يعطيهموها اذا عرفهم ـ الى ان قال ـ وليس منعهم حقهم في الخمس يحل لهم ما حرّم عليهم من الصدقة[1].

والمسلمون اليوم يعلمون يقيناً ان علماء الشيعة، والحوزات العلمية المرتبطة بهم، وفقراء السادة من بني هاشم، لم يمدوا ايديهم الى الاوقاف أو الى الدولة في كافة انحاء العالم رغم حاجتهم في بعض الاحيان الى المصارف والمؤن الخاصة بعوائلهم، والى مصارف حوزاتهم العلمية، فلذا نرى ان المسلمين من الشيعة المؤمنين يتوافدون على اولئك العلماء الاعلام مقدمين لهم اخماسهم بكل رغبة واحترام، يترقبون من الله الثواب، وحالهم كحال المتبرع بماله.

ومن خلال هذا الحق الشرعي وفر العيش الكريم والمنزلة المحترمة للكثير

(١) الأم.

من مؤمني الشيعة ورجالاتها من احفاد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

هذا وإذا تأملنا الى الجوانب الاخرى من هذه القاعدة الشرعية العظيمة نجد ان التخميس بعد الزكاة خير سبيل للمنع من تكديس الاموال الضخمة بلا طائل، بل وخير سبيل لئلا تكون الاموال دولة بين الاغنياء.

والمال المخمَّس الذي خمّس ولو مرة واحدة في العمر لا يُخمَّس، ولكن عندي انّه يزكىٰ كل سنة حتى يبلغ المال دون النصاب فلا زكاة، والزكاة لا يعتبر فيها مؤونة السنة لعياله، بل يؤخذ منه الزكاة عند بلوغ النصاب وان كان اهله جوعاً من المسلمين مع اختلاف مذاهبهم، والخمس عندنا ليس به كذلك، بل تراعى فيه عائلته ومصرف مؤونتهم الى طول السنة.

ولولا مشروع الخمس الذي تحرص على استدامته طوائف مؤمني الشيعة ويشرف عليه علماؤهم الفضلاء لما كان للشيعة حوزات علمية عامرة ـ كما هو حالها اليوم ـ مع شدة عناد الاستكبار العالمي للشيعة ولحوزاتها، حيث تقف هذه الحوزات المباركة بكل قواها امام هجمات وتحديات الاستكبار العالمي، مع شدة عناد الاخير لهذه الحوزات. ولدينا في التأريخ شواهد كثيرة، قد اشار الى بعضها ـ مرغماً ـ صاحب التصحيح.

وهكذا نخلص في نهاية المطاف الى تلك الحقيقة الثابتة والتي اراد صاحب التصحيح التشويش عليها من ان الخمس في الفاضل من أرباح المكاسب ليس ببدعة بالدليل والتوجيه اللذين رسمناهما لك أخي القارئ الكريم، بل هو خير مشروع يبارك الشارع المقدس به والحمد الله اولاً وآخراً.

* * *

ولاية الفقيه

التصحيح (ص٦٩): ولاية الفقيه هي الجناح أو البدعة الثانية . . . إلخ .

تصحيح التصحيح:

الحديث عن هذا الأمر الحساس والدقيق في العقيدة الإسلامية المباركة يتطلب الكثير من الاسهاب والتوسع الذي لاتستوعبه صفحات كتابنا هذا، والذي توخينا في اعداده الاختصار والاشارة المتعجلة قدر الامكان، مع حرصنا الأكيد علىٰ وضوح الفكرة المناقَشة والمطروحة بشكل سقيم وممجوج من قبل صاحب التصحيح، في محاولة منه لاستغفال سطحيي التفكير ومحدودي الثقافة.

بلىٰ، فلعله من بديهيات الأُمور إدراك ما اخذته هذهِ القضية الخطيرة والمهمة في العقيدة الإسلامية ـ عموماً ـ بفرقها ومذاهبها المختلفة، وتبلورها بشكل أوضح وأجلىٰ في دراسات ومباحث الشيعة الإمامية، منذ عصر الغيبة، وحتىٰ يومنا هذا.

حقاً لم يكن الشيعة، وابان عصر حضور الأئمة عليهم السلام، بحاجة ملحة وواقعية لدراسة ومناقشة هذه الفكرة، أو هذهِ العقيدة، لانتفاء العامل

الأساسي في طرحها وتبيّنها طالما أن اولئك الأئمة عليهم السلام كانوا منصَّبين من قبل الله تعالىٰ، ومن قبل رسوله الكريم صلّى الله عليه وآله، وليس لأحد ـ مهما كان ـ أن يعترض ويرد حكم الله تعالىٰ أو حكم رسوله، وبالتالي ما يصدر أيضاً عن هؤلاء الأئمة عليهم السلام، وذلك أمر واضح لا غبار عليه، وليس بحاجة إلىٰ أدنىٰ توضيح وتبيين.

إذن فان الأمر قد توضحت أبعاده الأساسية بعد عصر الغيبة الكبرىٰ للإمام المهدي عليه السلام[١]، وحيث لم يقم الإمام عليه السلام بتعيين نواب مخصصين مسمين ينوبون عنه في غيبته، بل ترك الأمر لعموم الفقهاء العدول حيث يبادر إلى تصدي هذهِ الولاية من تتوفر فيه اللياقة والقدرة علىٰ إدارة شؤون هذهِ الأُمّة وفق المعايير الإلهٰية العادلة والحكيمة.

وهذا الأمر يعني صدور الإذن من الأئمة عليهم السلام لهذا الفقيه أو هؤلاء الفقهاء للمبادرة إلى تطبيق الأحكام الشرعية، والتي كان الأئمة عليهم السلام ابان حضورهم المقدس يتولون تطبيقها، واقامة شروطها وحدودها.

وأقول ـ وليتأمل منصف فيما أقول ـ: ماذا تعني محاولة دفع الفقهاء ـ الجامعين للشرائط ـ عن التصدي لإقامة الدولة الإسلامية التي ما بعث الله تعالىٰ الرسل والأنبياء علىٰ طول الدهور إلّا لإقامة العدل الإلهي وتطبيق الشرائع السماوية، طالما ان اولئك الفقهاء هم الذين يتولون تنفيذ وإقامة هذهِ النظم الصريحة والعادلة؟ هل المراد بهذا القول وهذهِ المحاولة إلّا نبذ الشريعة الإسلامية، ودفعها قسراً إلى الزوايا والتكايا، وترك الساحة خالية أمام الأهواء والرغبات الفاسدة لكثير من النفوس البشرية الطامعة بإشباع نزواتها ورغباتها التي لاتحد بحد، وهو ما نراه الآن واضحاً في بقاع كثيرة من الأرض

---

(١) بلىٰ فإنه عليه السلام كان قد عيّن أبان غيبته الصغرىٰ أربعة من الفقهاء تولوا مسألة النيابة عنه فيها.

الإسلامية التي كانت وما زالت تأن تحت وطأة هذا الظلم وهذا الفساد الرهيب؟

حقاً إن هذا الأمر بحاجة إلى قليل من التأمل والتدبر بعيداً عن الضجيج الذي يثيره أعداء الإسلام والمنحرفون اللاهثون وراء سراب الوهم والجشع، وهم لم يدخروا جهداً في ايصال هذه الأُمّة إلى ما هي عليه الآن من تسلّط الحكام الذين وضعوا في أول أهدافهم ضرب الإسلام وأهله، وتلك والله هي أمُّ المصائب.

ثم وقبل ان استغرض بشكل موجز ومتعجّل الأدلة الشرعية لولاية الفقيه ـ محيلاً بذلك القارئ الكريم إلى كتبنا المختصة والتي اشبعت هذا المقام بحثاً ومناقشة واستدلالاً ـ أود ان أُبيّن أمراً تعمد صاحب التصحيح الاعراض عنه أو الإشارة إليه، وهو أنَّ مسألة تصدي الفقيه العادل والجامع للشرائط للولاية مسألة خلافية بين فقهاء الشيعة، فمنهم من يرىٰ بأنّ التصدي للولاية والحكم هي حقاً خاصاً للمعصوم عليه السلام، وأنّ هذا المعصوم مادام غائباً وغير حاضراً فإن هذا يعني عدم وجود التكليف الشرعي باقامة هذهِ الدولة وهذا الحكم، حيث ليس لأحد أن يتصدىٰ لها في غيبتهم، لأنه لا تخويل منهم في ذلك لأحد غيرهم.

وأما الرأي الآخر الذي تنادي به وتعمل له طائفة أُخرىٰ من الفقهاء، فإنه يرىٰ أن الحكم وإن كان أساساً من حق المعصوم عليه السلام، إلّا أنّه خول الفقهاء ـ الذين تتوفر بهم جملة معينة من الشروط الموضوعية المؤهِلة للتصدي لهذهِ المسؤولية الحساسة والدقيقة ـ هذا الأمر، وجعلهم نواباً عنه، ووكلاء شرعيين في هذهِ المهمة عنهم عليهم السلام.

والجماعة الثانية تعتمد في تبنيها لهذا الأمر علىٰ جملة من الأدلة المبيّنة في المراجع والمباحث المختصة في هذا الموضوع، أو المدرجة ضمن

الأبواب الفقهية المختلفة، ولعل من أهم الأدلة في ذلك:

١ ـ **الدليل العقلي**: ويستند أساساً علىٰ كون اعتبار الحكومة شرطاً أساسياً في إدارة وتنظيم شؤون الأُمم المختلفة، وبدونها لا مناص من القطع والجزم بتبعثر الأُمّة الواحدة، وتمزق أشلائها، وترتب جملة واسعة من النتائج السلبية التي تنطلق أساساً من الصراع الموضوعي بين أفراد هذهِ المجتمعات بحثاً عن اشباع الذات البشرية التي يندر ان تتوقف عند حد.

نعم أن هذا الصراع والتداخل الخطير لا تتحكم في اندفاعاته وفوراته الكبيرة إلّا جملة القوانين المرتكزة علىٰ الادارة الحكيمة، أو القوية علىٰ أوضح المحتملات، ولا اعتقد أن لا يوافقنا في ذلك أحد عاقل، واستثني من ذلك الحمقىٰ والمغالطين.

بلىٰ، فإذا كان الأمر كذلك، فالاولىٰ تسلّم هذهِ الولاية الخاصة بإدارة شؤون هذهِ الأُمم من قبل الفقهاء العدول الذين يمثلون الإرادة الإلهٰية العادلة في الأرض، والخاضعين للموازين السماوية التي تلاحقت تترىٰ علىٰ أيدي الأنبياء والمرسلين عليهم السلام لإقامة العدل وتثبيت أركانه في الأرض التي جعل الله تعالىٰ اسمه فيها ابن آدم خليفة له، فأيهما أجدىٰ بالتصدي لهذهِ المسؤولية الخطيرة والحساسة في حياة البشرية عموماً والمسلمين خصوصاً، هل هو الفقيه العادل المحنّك والخبير بشؤون السياسة الدينية والدنيوية، أم الجاهل العامي؟!

لا أعتقد أن يقول بالثاني إلّا من يجافي الحقيقة، أو من هو بعيد كل البعد عن ناصيتها.

فهل يريد صاحب التصحيح للمسلمين ـ بجميع مذاهبهم لا أستثني أحداً ـ أن يخلوا الساحة السياسية وادارة شؤون الأُمّة للمتاجرين بالشعارات

البرّاقة، وينزوون في مساجدهم، وزوايا تكاياهم، والأُمّة أُلعوبة بيد المارقين والباحثين عن الثروة والجاه بأي وسيلة كانت، وأي صورة تكون . . . أنها والله لمما تضحك منه الثكالىٰ.

٢ ـ **الدليل النقلي**: ان استقراء الموسوعات الحديثية والفقهية يبيّن بوضوح جملة واسعة من الأدلة النقلية الواضحة علىٰ شرعية هذهِ الولاية، والتي تعرضت إلى الكثير من البحث والمناقشة، والتي ينبغي لمن يريد التثبت من تعلقها وترابطها بولاية الفقيه أن يتأمل وبتأنٍ وتبصر الأبعاد الدقيقة لها.

فمنها ما رواه الكليني بسنده عن عمر بن حنظلة من أنّه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة، أيحل ذلك؟

فقال عليه السلام: من تحاكم إليهم ـ في حق أو باطل ـ فإنّما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنّما يأخذ سحتاً وإنْ كان حقاً ثابتاً له، لأنّه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمر الله تعالىٰ أن يكفر به، قال الله تعالىٰ: ﴿**يُرِيدُونَ اَن يَتَحاكَمُوا اِلَى الطّاغُوتِ وَقَد اُمِروُا اَن يَكفُروُا بِهِ**﴾[١].

قلت: فكيف يصنعان؟

قال: ينظران من كان منكم ممّن قد روىٰ حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما استخف بحكم الله وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله تعالىٰ، وهو علىٰ حد الشرك بالله[٢].

---

(١) النساء ٤: ٦٠.

(٢) أصول الكافي ١: ١٠/٥٤، وفروعه ٧: ٥/٤١٢.

وروىٰ الشيخ الطوسي بسنده عن أبي خديجة قال: بعثني أبو عبدالله عليه السلام إلى أصحابنا فقال: قل لهم: إيّاكم إذا وقعت بينكم خصومة أو تدارى بينكم في شيء من الأخذ والعطاء أنْ تتحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفسّاق، اجعلوا بينكم رجلاً ممّن قد عرف حلالنا وحرامنا، فإنّي قد جعلته قاضياً، وإيّاكم أنْ يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر[1].

وكذا ما رواه الفريقان من حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله: اللهم ارحم خلفائي.

قيل: يا رسول الله، ومَن خلفاؤك؟

قال صلّى الله عليه وآله: الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنَّتي.

وفي لفظ آخر: الذين يحيون سنّتي ويعلمونها عباد الله[2].

فلما كان من المعلوم والواضح أن أُولىٰ مهمات رسول الله صلّى الله عليه وآله كانت تبليغ رسالة الله تعالىٰ وهداية الناس، وفصل الخصومات والقضاء بينهم، وكذا الولاية عليهم وتدبير أُمورهم المختلفة، فإن تعبيره صلّى الله عليه وآله عنهم بالخلافة يقتضي تصديهم لهذهِ الأُمور المعروفة بلا شك، ولا تتأتىٰ هذهِ القدرة إلّا للفقهاء كما هو معلوم، فتأمّل.

وأخيرا أقول: إنّ من ابتغىٰ المزيد فعليه بمراجعة الكتب المختصة بذلك، حيث اشبعت الموضوع بحثاً وتفصيلاً لا يتسع له مبحثنا هذا، مع قصورنا البيّن عن التصدي له بالتفصيل الجلي، مقارنة بما كتبه عنه علماؤنا

---

(١) تهذيب الأحكام ٦: ٣٠٣/٨٤٦.

(٢) أنظر: من لا يحضره الفقيه ٤: ٤٢٠/٥٩١٩، معاني الأخبار ٢: ٣٧٤، أمالي الصدوق: ١٠٩/٤، عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ٢: ٣٧، مجمع الزوائد ١: ١٢٦، الترغيب والترهيب ١: ١١٠.

الأفذاذ وتوسعوا به، فراجع.

قراءة الزيارة عند قبور الأئمة (ع)

التصحيح (ص٩٠): وحتىٰ الآن لم أسمع جواباً شافياً من فقهائنا سامحهم الله في تفضيل كلام المخلوق علىٰ الخالق.

وقال في (ص٩٤): أليس من الأفضل حقاً أن نأخذ بسنّة النبيّ (ص) ونتلو آيات من الذكر الحكيم أمام قبو أئمتنا ؟ (أي بدلاً من عبارات الزيارة).

تصحيح التصحيح:

لست أدري ماذا يريد هذا الرجل بقوله، وما الذي يهدف إليه، وهل بلغت به المغالطة والتلاعب بالألفاظ هذا الحد من الخلط والتزييف لحقائق الأُمور حتىٰ لا يتردد من التفوّه بما لا يتقبّله الصغير والعامّي، ناهيك بالمثقف والمتعلّم!!

حقاً ان الشيعة تجعل من سننها المؤكدة، والتي تواظب عليها في كل مكان وزمان، وفي أي قرية أو مدينة، هي زيارة قبور المؤمنين، لا سيّما قبور أحبائهم وأقربائهم، وقراءة جملة من السور القرآنية المباركة، أمثال سورتي الفـاتحة والتوحيد، وكذا القدر وغيرها، والدليل علىٰ ذلك أنّك تجد ذلك بوضوح عند مراجعتك لكل كتب الزيارات التي هي بمتناول الجميع دون استثناء حتىٰ لصاحب التصحيح.

ينضاف إلى ذلك أنّ أي زائر لأي مقبرة يجد جملة من القرّاء، كسبهم قراءة القرآن علىٰ قبور الموتىٰ المؤمنين مقابل أجر يدفعه أولياءالموتىٰ لهم، وخصوصاً في أيام الجمع والأعياد، فمن شاء التثبّت فعليه بواحدة من مقابر الشيعة وليعاين ذلك بأُمِّ عينيه.

نعم، يستحب عند دخول المقبرة أن يقف الزائر ويزور بالمأثور المنقول، مثل:

«السلام علىٰ أهل لا إله إلّا الله، من أهل لا إله إلّا الله، يا أهل لا إله إلّا الله، كيف وجدتم قول لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله».

ثم يدعو بأمثال هذا الدعاء: «اللهم ارحم هذهِ الأبدان البالية، والعظام النخرة، والأرواح المؤمنة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة، اللهم أدخل عليهم روحاً منك ورضواناً».

ثم يقرأ سورتي الفاتحة والتوحيد، وماشاء من القرآن الكريم، ويترحّم عليهم ويتصدّق على الفقراء والمساكين.

فهل في ذلك خلاف مع الشريعة الإسلامية أو مع السّنة النبوية المطهّرة؟! أليس هو موافقاً مع ما رواه مسلم وغيره عن بريدة بن الحصيب من قوله: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار، من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وإنّا إن شاء الله تعالىٰ بكم للاحقون، أسأل الله تعالىٰ لنا ولكم العافية»[1].

وكذا مع ما رواه مسلم بسنده عن عائشة من قولها: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يخرج إلى البقيع من آخر الليل ويقف علىٰ قبور الموتىٰ

---

(١) صحيح مسلم ٢: ٩٧٥/٦٧١.

ويقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»[١].

وإلى ما رواه ابن الجوزي في زاد المعاد: أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم، والترحّم عليهم، والاستغفار لهم[٢].

وأمّا قراءة الزيارات المأثورة أمام قبور أولياء الله المقرّبين ـ لاسيما أمام قبر النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وقبور الأئمة الأطهار من عترة الرسول المختار الذين أوجب الله تعالىٰ مودتهم علىٰ كل مسلم اداءً لحق الرسالة في حياتهم وبعد الممات ـ فهي لا تتنافىٰ قطعاً مع قراءة القرآن الكريم، ولا تعني أبداً إعراضاً عن قراءته ـ كما يصور ذلك صاحب التصحيح ـ لأنّ عندنا من شرط قبول الزيارة قراءة القرآن الكريم، والصلاة ركعتين أو أكثر، والدعاء بالمأثور، وقراءة عبارات الزيارة التي ينبغي الاطلاع عليها ودراستها قبل الحكم عليها دون تأمل وتبصّر، حيث أنها تشكّل في أبعادها معارف جمة، وحِكَماً مهمة، مأخوذة من مربع الوحي الإلهي وأُمنائه، عن أهل بيت العصمة عليهم السلام الذين جعلهم الله ورسوله عدولاً للقرآن وتراجمة له . . . فأي تفضيل لكلام المخلوق علىٰ كلام الخالق بالله عليك، وما هذا التصور السقيم الذي تمجه العقول، وتزدريه النفوس.

ثمّ هل يقبل العقلاء أن يقترح أحد عليهم عدم مطالعة أي كتاب وإن احتوىٰ علىٰ علوم جمة، بل يكتفي بقراءة القرآن، دون دراسته ودراسة تفسيره وتأويله مثلاً، لأنّ ذلك من باب تفضيل كلام المخلوق علىٰ كلام الخالق!! إنّ هذا لمما تضحك منه الثكالىٰ . . . أعاذنا الله من وساوس الشياطين،

---

(١) صحيح مسلم ٢: ٩٧٤/٦٦٩.

(٢) زاد المعاد ١: ١٤٦.

واقتراحات القشريين.

التصحيح : (ص٩٥) : لو كنت في زمن الإمام علي بن محمد ، وكنت داخلاً معـه إلى مشهـد الإمام الحسين ، وسمعته يقرأ زيارة الوارث والجامعة ، وهو أمام القبر لأجريت معه الحوار التالي : يابن رسول الله ، هل هذهِ الزيارة هي كلام الله أم كلام المخلوق؟

الإمام : كلام المخلوق .

وسـألت مرة أُخـرىٰ : فلماذا فضّلت كلام المخلوق علىٰ كلام الله ولـم تقرأ القرآن؟

ولست أدري ماذا كان يجيب الإمام عند الوصول إلى هذهِ النقطة .

تصحيح التصحيح:

أمّا جوابه لك فهو: سلاماً .

وأمّا جوابي لك فقد تقدم في الصفحات السابقة ، ولا يستوجب الأمر زيادة بحث وتفصيل .

ضرب القامات في يوم عاشـوراء

التصحيح (ص٩٧): قال تحت عنوان (ضرب القامات في يوم عاشوراء): لم تشوَّه ثورة مقدسة في التأريخ كما شوَّهت الشيعة ثورة الحسين بذريعة حب الحسين. . . الخ.

تصـحيح التصـحيح :

لا ادري كيف يتقول هذا الرجل على الشيعة بهذه الجرأة والصلافة مع علمـه اليقيني بالجـواب الشافي لمدعياته حول الشبهات التي اخذ يثيرها مطبلاً ومزمراً لها!!

نعم ان هذا الرجل كغيره يدرك بوضوح ويقين ان للشيعة نظريتان حول هذا الموضوع، سنناقشهما قبل ان نورد الرد الشافي لهذا الرجل وغيره من المتصيدين في المياه العكرة:

النظـريـة الاولى :

لمـا كان عظم المصيبـة التي حلت بأهـل البيت عليهم السـلام، وضخامة الظلم الواقع عليهم من قبل السلطات الجائرة، ولا سيما الاموية الفاسدة، والتي هي محل حديثنا الآن، وحيث اوردنا نتفاً من ذلك الواقع المـر من خلال حديثنا السابق حول التقية، فكان لا بد لهذه المظلوميات

المجحفة المنصبة على اهل بيت العصمة والطهارة ان تبقى شواهد حية على طول التأريخ ، فيها الشكوى المتظلمة والمعلنة للواقع المؤلم الذي عاشوه اهل البيت عليهم السلام ، رغم التوصيات المتكررة في الكتاب الكـريم ومن قبـل رسول الله صلّى الله عليـه وآله بمودتهم وحفظهم ورعايتهم .

كمـا ان فيها البيعة المستمرة، والموالاة المؤكدة لهذا البيت الطاهر الذي أذهب الله عنه الرجس وطهّره تطهيراً .

بلىٰ ولقـد كانت واقعـة كربـلاء بكـل عمقها الدمـوي والمأسـاوي شاهـد صارخ على ضخـامـة الانحـراف الفكري والعقائدي الذي اصاب المسلمين التابعين للدولة الاموية وازلامها من المتسربلين برداء الاسلام زوراً وبهتاناً، فكان ان اعملوا سيوفهم وحرابهم اللعينة في جسد الامام الحسين عليه السلام واهل بيته وأصحابه دون رحمة أو دون أي وازع ضمير.

نعم لقد دارت على بيداء كـربلاء في العاشـر من محرم عام ٦١ هـ ابشع جريمة واقسى فعلة، انطلق فيها الرعاع والسفلة من شذّاذ الآفاق في تنفيذ الارادة الاموية الفاسدة من خلال تقتيل اهل بيت العصمة واحفاد رسول الله صلّى الله عليـه وآله، وسلبهم، وحمل نسائهم واطفالهم ـ على ظهور الابل ـ سبايا، عطاشا، قد أثقلتهم القيود، وأضناهم المسير الشاق، تلهب ظهـورهم السياط، وتتشفىٰ بمنظرهم العيون الحاقدة التي ابغضتهم ببغضها بالاسلام، وبسيف علي الذي قادها الى الاقـرار بالتوحيد كرهاً .

فمن ذلك يرى اصحاب هذه النظرية انه لا بد للشيعة من ان تعظّم هذه الواقعة المأساوية بالامكانات المتاحة لديها، وان تكررها في كل عام، وبمناسبات شتى للعالم، لكي لا تُنسى أو يتناساها الناس كما تناسوا غدير خم مع عظمته وأهميته وكبر شأنه، حتى انهم انكروه مع تواتره وذياع صيته .

فلذا نجد أنهم يعظمون يوم عاشوراء، ومصائب كربلاء، ورزايا العترة

الطاهرة عليهم السلام، ويكبّرونها بكل وسيلة تمكنهم، من إقامة المآتم، والتعازي، وضرب الصدور، والسلاسل والقامات[1] وان كانت بشكل ينكره العرف والعقل، حيث ان اصحاب هذه النظرية يصرحون بان الامر يجب ان يكون هكذا والا فمع الايام لن يبقى ذكر للحسين عليه السلام ولمصيبته، بل واندثرت كحال غيرها من الوقائع المأساوية الاخرى، امثال وقعة فخ الشهيرة، رغم كبرها وعظم رزيتها.

وهكذا فقد اصبحت هذه النظرية عادة سارية، بل واخذت مسحة عاطفية ومذهبية، بحيث يصعب معارضتها والتصدي لها، لان لها انصار لا بأس باعدادهم من عوام الناس متفانون في الدفاع عنها واقامتها، وهي حالة لها مشابهات كثيرة لدى الطوائف والمذاهب الاخرى، سنتعرض لها في حينها.

النظرية الثانية:

ان أصحاب هذه النظرية، وهم يمثلون الثقل الاكبر، والشريحة الاعظم من رجال الشيعة، والذين يذهبون الى إنه يجب ان نعظّم واقعة كربلاء ورزايا عاشوراء الدامية، وان نكرر هذا الامر في كل عام تأسياً بسيرة الائمة من اهل البيت عليهم السلام لا اكثر، حيث كانوا اذا اقبل شهر محرم الحرام اكتست وجوههم بالحزن والالم، وجلسوا للعزاء وتذاكروا هذه الواقعة المؤلمة، وذكّروا المسلمين بالدوافع التي كانت هي المحرك الاساسي للثورة الحسينية الخالدة، وماذا كان يريد الامام الحسين عليه السلام من ثورته، وما هو المطلوب من الشيعي المؤمن المحب لهذا

---

(١) جمع قامة، وهي حربة كالسيف بل اعرض من السيف، لها شفرتان حادتان، يضربون بها رؤوسهم حتى تجري دمائهم على ابدانهم والبستهم.

الامام فعله والعمل على اقامته.

بل وكان الشعراء يتوافدون عليهم لالقاء القصائد النادبة والمعزّية بين ايديهم، فيبكون بحرقة حتى تسيل الدموع على وجوههم الكريمة المباركة وعلى وجوه شيعتهم، كذا حدثنا التأريخ عنهم عليهم السلام لا اكثر، ونحن نتأسىٰ بما فعلوا، وليحاسبنا العقلاء على هذا لا على غيره.

نعم لعل الائمة عليهم السلام رغّبوا شيعتهم والذين يحضرون مجالس عزائهم بالبكاء أو التباكي والتأسي بهم في الحزن الى آخر ما جاء في حالاتهم وتأريخ حياتهم صلوات الله عليهم اجمعين، مضافاً الى ما في اظهار العزاء والبكاء على الحسين عليه السلام واهل بيته، وما جرى عليهم من القتل والسبي والاسر والهتك والمصائب الجمة التي اصيبوا بها، وتذكّرها، والندبة لها هي مواساة للنبي صلّى الله عليه وآله وللائمة الاطهار عليهم السلام.

بلى ان ضرب القامات والسلاسل ونحوهما من الافعال الاخرى كالتي تسمى بالتشابيه والتي قد لا يتقبلها العقلاء ولا يوافق عليها الكثيرون، ليس من المنطقي ان ينبزوا بها الشيعة، ولا ان تكون مدخلاً للطعن في عقائدهم، فهي لا تتعدى كونها عادة تحرص على إقامتها بعض الشرائح المحدودة من الناس ولا دخل لها في عقائد الشيعة وما تتديّن به، ولبعض العلماء الفطاحل رحمهم الله مواقف حادة منها، ودعوة صريحة لتركها ونبذها، الا ان هذه الدعوات كانت ولا زالت تتلقى بعض المعارضة من هذه الشرائح المذكورة.

ففي أيام حياة الإمام البروجردي رحمه الله أوعز الى الخطباء ان يعلنوا حرمة هذه الافعال في عزاء الامام الحسين عليه السلام، فقال بعض الجهلاء من الشيعة: إنّا نقلّد الامام البروجردي عشرة اشهر في السنة، ولا نقلده في شهري محرم وصفر!!

حيث ان المتعارف في ايران انهم يعلنون عزاء الامام الحسين عليه السلام خلال شهرين هما محرم وصفر، وهذه الافعال والتشابيه كانت تجري في هذين الشهرين، ولكن اليوم ببركة بيان العلماء الاعلام اخذت وطأة هذه الافعال تخف شيئاً فشيئاً.

وكما لا يناسب أن ننسب الافراط في هذه الأفعال الى الشيعة، فانه لا يناسب أن ننسب تشكيل الحلقات التي تُضرب فيها الدُفوف، ويقام فيها الرقص، وتُشق فيها البطون بالحربة ونحوها باسم حلقات الذكر، الى إخواننا اهل السنّة والجماعة.

واذكر اني قد حضرت مجالس ذِكرِهم هذه، فرأيتهم يُدخِلون الحربة في بطونهم ثم يعطيك احدهم مقبض الحربة ويقول لك (جرّ) اي أخرجها، ثم يحركون رؤوسهم يميناً وشمالاً، وتأخذهم الجذبة ويترنّمون قائلين: «شيخ عبدالقادر جيلاني شال الله جلّ الله شال الله جل الله»!! ويضربون رؤوسهم بكل قوّة بالجدران.

قال بعض مَن أثِق به: دخَلْت بعض الأرياف مُستطْرِقاً، وكان اهلها كلهم من اهل السنّة والجماعة، ودخلت المضيف ـ وكان قبل غروب الشمس ـ فأصرّ عليّ صاحب المضيف أن ابقى عندهم هذه الليلة، بحجّة أنّ في الطريق شيئاً من الخطر اثناء الليل، وقال: انَّ عندنا هذه الليلة حلقات الذكر.

فنزلْت عند رغبته، وقبل أن تغرب الشمس دخل الى المضيف شيوخ الدراوشة المدعووّن، وجلسوا في المضيف، فلما غربت الشمس قُمْت الى الصلاة، ولم يقُم احد منهم الى الصلاة حتى ذهب ثلث من الليل واكثر.

وبعد العشاء اخذ الشيوخ يضربون الدفوف التي كانت في ايديهم ويحركون رؤوسهم يميناً وشمالاً ويقولون: «لا اله الاّ الله، شيخ عبدالقادر

جيلاني شال الله جلّ الله»!! ويكرّرون هذه العبارات حتى اخذتهم الجذبة، وعلى اصطلاحهم (صاروا مجذوبين) فقاموا يرقصون ويضربون انفسهم بالحربة ويدقّون رؤوسهم بالجداران ويقولون اشياء في عظمة الشيخ عبدالقادر الجيلاني والسيد احمد الرفاعي، كلمات غلوّ بل كفر حتى منتصف الليل، واخذهم النوم ولم يصلّوا المغرب والعشاء، فقلت لهم: الم تصلّوا فرائضكم، لماذا لا تصلّون فرْضَي المغرب والعشاء؟

فأجابوني بحدّة: لا صلاة بعد الذكر!!

قلت: والله ما جاء محمد لهذا، بل انما جاء صلّى الله عليه وآله بالصلاة والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بهذه الخزعبلات.

فإذا قد احمرّت عيونهم، وانتفخت اوداجهم، وجرّدوا عليّ سيوفهم وحِرَبِهم ليقتلوني لولا أن مَنَعهم صاحب المضيف.

قال لي: فما نمت تلك الليلة الى الصباح، وما رقدت عيناي.

فيا ترى هل لنا أن نقول: انّ ابناء السنّة والجماعة بعملهم هذا قد شوّهوا الإسلام والسنّة بذريعة الذكر؟ كلاّ إنّه عمل جَهَلة هذه الطائفة لأننا لا نعتقد انّ رجال الدين منهم يرضون بها.

❊ ❊ ❊

التصحيح (ص٩٩): مَن بكى أو تباكى على الحسين وجبَت له الجنّة كما جاء في بعض الروايات التي تُنسَب الى الأئمّة، ومعاذ الله أن يصدر من الإمام كلام كهذا

تصحيح التصحيح:

انّي لا اُريد في هذه العجالة مناقشة صحّة هذا الحديث من حيث السند، ولكن لا مانع له من حيث المتن ومن حيث المضمون واقتضاء العقل، وقد ورد في الأخبار عن النبي صلّى الله عليه وآله وعن الأئمّة الأطهار عليهم السلام انّه يُستَحَب في تسلية المُصاب أن يُظهِروا عند صاحب المصيبة الحزن والكآبة، حيث انّ ذلك من السنّة المؤكَدة.

فكيف اذا اردنا أن نسلّي صاحب الرسالة صلّى الله عليه وآله وهو شاهد علينا بنصّ القرُآن، ونعزّيه في مُصاب قرّة عينه وفلذة كبده في مُصابه الجَلَل التي ما اتت مصيبة كمثلها من اوّل الدنيا ولا تأتي الى آخر الدهر، وهي مصيبة ما اعظمها واعظم رزيّتها في الاسلام وفي السماوات والأرض.

❊ ❊ ❊

التصحيح (ص١٠١): وهنا تنفّس الشيخ الصعداء وقال بلهجة كلها حزن وألم ويلهم من جهلة اغبياء لماذا يفعلون بأنفسهم هذه الأفاعيل لأجل إمام هو الآن في جنّة ونعيم، ويطوف عليه ولدان مخلّدون بأكواب وأباريق وكأس من معين؟.

تصحيح التصحيح:

البكاء على الحسين عليه السلام وخروج المواكب العزائيّة الى الشوارع والأسواق في ايّام عاشوراء وإظهار العزاء بأنواع مظاهرها له دواعي كثيرة وعميقة، منها:

١ ـ انّه أمر طبيعي، إذ عندما يتذكّرون ما جرى على العترة الطاهرة في مثل هذه الأيّام من اعدائهم الذين كانوا يدّعون الإسلام ويتظاهرون بالإيمان، بل وكانوا يكبّرون الله عند قتْلِهم الحسين وعترته كما قال شاعر أهل البيت.

ويُكبّرون بأن قُتِلْتَ وإنّما قتلوا بك التكبير والتهليلا

ويذكرون عطشه وعطش اهل بيته واطفاله، وحرْق الخِيَم بعد قتْلِه، وسبْي نسائه وذراريه، فينبعث من اعماق قلوبهم ما لا يتمالكون انفسهم، فيُظهرون العزاء بمظاهره، وإن كانت البعض منها ممّا قد لا يتقبله البعض ولا يستسيغه.

٢ ـ وهم إذ يتظاهرون بالعزاء بأنواع مظاهره فإنّهم في نفس الوقت ينددون بقَتَلَة الحسين عليه السلام، ويستنكرون ما صدر منهم من الظلم والقساوة، والاعمال البشعة التي يندى لها جبين الانسانية خجلاً وحياءً، وهم

يدّعون التديّن بالاسلام، بل إنّهم كانوا يدعون التقرّب الى الله بقتلهم عترة الرسول المختار واهل بيته الأطهار.

٣ ـ وهم إذ يتظاهرون بالعزاء بأنواع مظاهره، فإنّهم في نفس الوقت يتعلمون من خلاله دروساً جمّة، يتعلّمون المنعة وإباء الظيم، والإعراض عن دناءة الخلق، والنفرة من الظلم، ويتعلّمون الشهامة والشجاعة، وحريّة الفِكر والرأي، والتنفّر من الأخلاق المتفسّخة.. الى غير ذلك.

وهذا ايضاً حَسَن لو لم تشوه ببعض الاعمال البشعة الاخرى والتي اشرنا اليها سابقاً، ولكن نحمد الله تعالى انّهم ببركة علمائنا الأعلام قد مُنِعوا عن هذه المظاهر البشعة، وهم الآن يخرجون في ايّام عاشوراء في الشوارع بمواكب مُنَظّمة وعلى صورة جميلة، يعلوهم الحزن والحداد ويعزّون رسول الله صلّى الله عليه وآله بأناشيدهم الحزينة:

كربلا لا زِلْتِ كرباً وبلا	ما لقى عندك آل المصطفىٰ
كم على تربك لما صرّعوا	من دمٍ سال ومن دمع جرىٰ
يا رسول الله لو عاينتهم	وهم ما بين قتيل وسبىٰ

وهم يخاطبون الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم بأناشيدهم بأنّهم شيعته والمُتَفانون في سبيله وسبيل عترته، ويتبرّءون من اعدائهم الذين كانوا يدّعون الإسلام ويدّعون كَذِباً انّهم يعملون بأحكام القرآن، بل بقَتْلِهم الحسين عليه السلام قد اضاعوا القرآن وكفروا به، فهم كَفَرة الكتاب الذين بدّلوا احكامه، وغيّروا سنّة رسول الله، وابادوا عترته واهل بيته، كل ذلك ترى ان الشيعة يأتونه في اشعارهم واناشيدهم، وكل من يسمعهم بطبيعة الحال تجري دموعه، وهذا كله عندي حَسَنٌ جميل مُثابون عليه ان شاء الله تعالى والأعمال بالنيّات، ولكل امرءٍ مانوى، وهم يحبّون لله ويبغضون لله، والله

ولي المؤمنين.

٤ ـ وبالتالي فان الشيعة تواسي رسول الله صلّى الله عليه وآله ببكائها وعزائها للحسين السبط مهما مضى عنه الزمان وانصرم منه الأوان، لأنّ مصائب الحسين جللٌ لا يُنسها مُضِيّ الزمان ولا تتابع الحَدَثان، وقد تواتر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه بعد مُنصرَفَه عن غزوة أحُد سمع البكاء في بني الأشهل على قتلاهم فقال صلّى الله عليه وآله: «لكنّ عمّي حمزة لا بواكي له» فسمع ذلك سعد بن معاذ فرجع الى نساء بني الأشهل فساقهُنّ الى النبي صلّى الله عليه وآله فبكين على حمزة، فسمع ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله فدعا لهنّ وردّهنّ.

يقول محمد بن سعد في طبقاته (١) وغيره من اصحاب السير: فلم تبك امرأة من الأنصار بعد ذلك الى اليوم على ميّت الّا بدأت بالبكاء على حمزة ثم تبكي على ميّتها.

اللهم اجعلنا ممّن يواسي حبيبك ونبيّك في كل الأحوال، بل ونفاديه ونسلّيه لا سيّما في مصائب حبيبه الحسين وعترته المظلومين بالبكاء والتباكي، ولا تجعلنا ممّن يُظهِر الفرح يوم عاشوراء، ولا تجعلنا من المعاندين.

* * *

(١) طبقات ابن سعد ج٣ ص١١، ومحمد بن سعد هذا من أعلام القرن الثاني للهجرة.

الشهادة الثالثة

التصحيح : (ص١٠٣) : اجمَع فقهاء الشيعة على أنّ مَن قال الشهادة الثالثة بقصد الورود فقد عمل عملاً محرماً .

تصحيح التصحيح :

نعم، مَن قالها بقصد الورود في الأذان وانّها جزء منه فقد ابدع واتى بمحرّم. ولكن لم يأتها احدٌ من الشيعة بهذا القصد ابداً، واليك الرسائل العمليّة المتكفّلة بعمل العوام تصرّح بوضوح انّ الشهادة هذه ليس جزءاً من الأذان ولا شطراً منه، ولكن الإعتقاد بها شرط الإيمان.

وهناك ادلّة متظافرة تبيّن انّ مَن شهد الشهادتين يُسْتَحَب له أن يشهد بولاية علي عليه السلام، فبعموم هذه الأدلّة استحبّوا أن يشهدوا بالولاية بعد الشهادتين حتى ولو كان في الأذان.

وفي الأثر: أنّ معاوية لما سنّ عام الجماعة سبّ علي على المنابر والمآذن واصدر منشوراً لجميع الامصار: ان مَن عمل بسنّتي هذه (اي سبّ علي) فقد عمل بالسنّة ودخل في الجماعة. فكان من ردّ فعل شيعة علي أن شهدت بالشهادة الثالثة في قبال السبّ الذي سنّه معاوية.

وفي الأثر ايضاً «قابلوا الكفّار في اقوالهم باقوالكم وفي اعمالهم باعمالكم».

وفي الأثر ايضاً: انّ يوم بدر نادى المشركون بأعلى صوتهم «أعْلُ هُبَـل أعْـلُ هُبَـل» فقـال النبي صلّى الله عليـه وآلـه للمسلمين: قابلوهم باعلى صوتكم وقولوا «الله اعلى واجلّ الله اعلى واجلّ».

ثم نادى المشركون باعلى صوتهم «انّ لنا عزّى ولا عزّى لكم» فامرهم النبي صلّى الله عليـه وآله أن يقابلوهم باعلى اصواتهم «انّ لنا مولى ولا مولى لكم».

بل قد نجد بعض الاخبار تذهب الى ابعد من ذلك.

روى الشيخ عبـدالله المـراغي المصري في كتابه (السلافة في أمر الخلافة) حديثاً اسنَدَه الى سلمان والى ابي ذر: انّهم سمعوا سلمان وابي ذر يشهدان الشهادة الثالثة بالولاية لعلي في الأذان فشكوهما الى النبي صلّى الله عليـه وآله، فقال صلّى الله عليـه وآله: أتشكّون بعدما سمعتم في الجحفة وفي الغدير!!

فإن قلتم: إن كان هذا صحيحاً حقّاً فلماذا لم يأمر الرسول صلّى الله عليـه وآله أن يُؤتى بها في الأْذان في بقايا ايّامه وإن كانت قلائل؟

قلت: كانت ايّامه صلّى الله عليـه وآله بعد حجّة الوداع قلائل اولاً

وثانياً: لعلّه كانت الشهادة الثالثة امراً مُباحاً أو مندوباً ليس بواجب ليأمر به الرسول توّاً.

وثالثاً: لعلّ الحكم كان ثابتاً بنحو الإنشاء وكان اجراؤه في زمانه خلافاً للمصلحة العامّه مع وجود حسّاد ومناوئين لعلي عليه السلام.

فإن قلتم: فلماذا لم يأمر بها علي في ايّام إمرته؟

قلت: لعلّه لم يكن امراً واجباً ليأمر به علي في إمرته وفيهم المحب والمناوئ، فمَن تتبّع التاريخ يعلم جيداً انّ في اصحاب علي مَن تابعه لا حبّاً له بل بُغضاً لمعاوية، وقد جاء في الأْثر: انّه عليه السلام اراد أْن يمنع بدعة

التراويح جماعةً فقامت الطامّة الكبرى، ثم اراد أن يُدخِل في الأْذان حيّ على خير العمل ولكنهم عارضوه ايضاً، فلذلك لم يتجرّأ أن يسترجع فدكاً للحسنين ولاولاده من فاطمة وقال: وما اصنع بفدَك.

وامّا قولكم تقرير المعصوم؟ نعم تقرير المعصوم حجّة اذا كان تقريره مُشعِراً برضاه ودون اثباته خرط القتاد، والقرائن هنا دالّة على عدم رضاه.

وفي عهدنا اذكر انّ الإمام الخالصي سعى وجدّ واجتهد في أن يساوم العامّة بأن تحذف الشيعة الشهادة الثالثة من الأذان بشرط أن تُدخِل السنّة حيّ على خير العمل فياذانهم، فحذف هو بالفعل الشهادة الثالثة من أذان المآذن في الكاظميّة ولكن ومع الأسف الشديد انّ اهل السنّة والجماعة لم يستجيبوا له في إدخال حيّ على خير العمل في أذانهم كما كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وعهد ابي بكر وشطراًمن عهد عمر فمنعه.

قال ابوبكر احمدبن عبدالله في المصنّف[1]: واول مَن أذن حيّ على خير العمل في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله اهل قباء، وانّما منع عنه عمر فقال: انّ معنا جيشاً من العجم ونحن في وجه العدو، فإذا سمعوا بحيّ على خير العمل ظنّوا إنّها خير من الجهاد.

وفي الصحيح: روى الصدوق في العلل بإسناده عن محمد بن ابي عمير انّه سأل ابا الحسن موسى عليه السلام عن حيّ على خير العمل، لِمَ تُرِكَت من الأذان؟

قال: تريد العلّة الظاهرة أو الباطنة؟

قلت: اريدهما جميعاً.

---

(١) ابو بكر احمد بن عبدالله بن موسى الكندي من أعلام اهل السنّة والجماعة في القرن الخامس الهجري، وكتابه المصنّف (بالفتح) موسوعة فقهيّة كبيرة تحتوي على اثنين واربعين مجلداً ضخماً مطبوع في سلطنة عمان. والحديث هذا في المجلد الخامس ص٧٠.

فقال: امّا العلّة الظاهرة: فلئلا يدع الناس الجهاد اتّكالاً على الصلاة.

وامّا الباطنة: فانّ خير العمل الولاية، فأراد من أمره بترك حيّ على خير العمل من الأذان أن لا يقع حثٌّ عليها ودعاءٌ اليها[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) علل الشرائع: ٤/٣٦٨.

الـزواج المـؤقت

التصحيح :(ص١٠٧) : كيف تستطيع أُمة تحرم شرف الأُمهات اللواتي جعل الله الجنة تحت اقدامهن وهي تبيح المتعة أو تعمل بها؟

تصحيح التصحيح :

النكاح في الاسلام على أقسام أربعة، يشترط في جميعها كون المرأة خلية غير ذات بعل ولا في عدة نكاح الغير، وان لا تكون من المحارم.

ويشترط ايضاً في جميعها إذنها اذا كانت حرة بالغة عاقلة رشيدة غير باكر، واما الباكر من النساء فيشترط بالاضافة الى إذنها إذن وليها، واما في المملوكة فانه يشترط اذن مالكها في النكاح.

والاقسام الاربعة للنكاح في الاسلام هي :

١ ـ النكاح الـدائم.

٢ ـ النكاح المؤقـت.

٣ ـ النكاح بملك اليمين.

٤ ـ النكاح بالتحليل.

اما الاول فلا نقاش فيه ولا اختلاف، وصورته وشروطه واضحة، واما الثالث فهو كما نعرف لا يشترط في حلّيته رضـا المرأة، حيث كان يجري

سواء رضيت بذلك ام لا ، طابت نفسها به ام كرهت، لان أمرهـا بيد مالكها .

واما النكاح الرابع فهـو ان يحللـها مولاها لمن شاء، رضيت بذلك ام لـم ترض، طابت بذلك نفسها أم لـم تطـب، دائماً أم مؤقتاً، جميـع بدنها أم بعضاً منه، مع الاجرة أو بدونها .

نعم هذه الانكحـة الثـلاث أجمــع المسـلمـون على مشـروعيتها واباحتها، الا انهم اختلفوا في نكـاح المتعة (النكاح المـؤقـت)، فذهب الشيعة الى حلّيتها وعدم تحريمها، مستدليـن في ذلـك بالكـثير من الشواهد القوية، كتاباً وسنّة وآثاراً، مبينين في ذلك أدلتهم الشرعية التي يقـوم جواز التحليل لها عليها دون مواربة وتستر، حتى لقد أخذ هذا الامر الشطر الكبـير من المنـاقشات الحادة والمنفرة بين البعض وبين مفكري الشيعة، لتعنت الطـرف الاول دون ارتكاز اطروحاته النافية لحلّية المتعة على دليل شرعي بيّن يُـركـن اليه، ويعتمد عليه .

بلى اننا نمتلك الكثير من الادلة الشرعية الثابتة على هذه الحلّية، دون أن يسـاورنا أي ريب ولو في شيء منها، إلاّ إننا نـريـد ان نوضح للقارئ الكريم ـ لا لصاحب التصحيح وأمثاله ـ أنّ قولنا بجواز المتعة لا يعني افراط الشيعة في تعاطيها بالشكل الذي يريد أن يصوّره صاحب التصحيح وغيره ـ ممن يرددون كالببغـاوات أصـداء الـدهـور الغابرة التي أكل الدهـر عليها وشرب، وانتهى الحديث عنها ونسيناه ـ بل ان هذا الزواج ـ ورغم حلّيته ـ لا تراه إلاّ في حدود نادرة وضيقة وخاصة، ووفق الشروط التي سنتعرض لها في خـلال مبحثنا هذا .

نكاح المتعة هو: أن تزوّج المرأة نفسها أو يزوّجها وكيلها أو وليها ـ ان كانت صغيرة ـ لرجل تحل له، بشرط عدم وجـود أي مانع شرعي دون ذلك، من نسب، أو رضاع ، أو عدة، أو إحصان .

وان يكون هذا النكاح بمهر معلوم وأجل مسمى.

وتبين المرأة عن الرجل بانقضاء الاجل أو ان يهب الرجل ما بقي من المدة.

وتعتد المرأة بعد المباينة مع الدخول وعدم بلوغها سن اليأس بقرءين اذا كانت ممن تحيض، وإلّا فبخمسة واربعين يوماً.

وأما اذا لم يمسسها الرجل فهي كالمطلقة قبل الدخول بها، حيث لا عدة عليها.

ويجري على المولود من هذا الزواج ما يجري على المولود من الزواج الدائم، وتنطبق عليه جميع أحكامه، حيث يلحق بالأب، ويرثه، كما يرث من الأم أيضاً، والى غير ذلك.

بلى ان المتعة ـ بمعنى العقد الى اجل مسمى ـ قد جاء بها الكتاب العزيز، وبيّن حدودها رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأباحها، رحمة بالأمة، وعمل بها جمع من الصحابة اثناء حياته المباركة وبعدها، وسنحاول ان نبيّن الأسس الشرعية التي يرتكز عليها تحليل هذا النوع من النكاح.

قال الله تبارك وتعالى: **﴿وَأُحِلَّ لَكُم ما وَراءَ ذَلِكُم أنْ تَبتَغُوا بامواِلكُم مُحصِنينَ غيرَ مُسافِحينَ فَما استَمتَعتُم بِهِ مِنهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورهنَّ فَريضَةً وَلا جُناحَ عَليكُم فيما تَراضَيتُم بِهِ مِنْ بَعدِ الفَريضةِ إنَّ الله كانَ عَليماً حَكيماً﴾**(١).

ان هذه الآية الكريمة ناظرة إلى إباحة نكاح المتعة كما تذهب الى ذلك كتب التفسير المختلفة، بل ان مفسري هذه الكتب يتفقون على ان جملة من كبار صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله، امثال: حبر الأمة

---

(١) النساء ٤: ٢٤.

عبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله الانـصاري، وأُبي بن كعب، وعمران ابن الحصين، وابن مسعود، وغيرهم كانـوا يفتـون باباحتها، بل ويقرأون الآية المذكورة هكذا: (فما استمتعتم به منهنَّ الى اجل مسمى)[(١)].

١ - روى الطبري في تفسيره لهذه الآية عن عمير وابي اسحاق: ان ابن عباس قرأ: (فما استمتعتم به منهنَّ الى اجل مسمى)[(٢)].

٢ - وروى ايضاً عن ابي نضرة انه سأل ابن عباس عن متعة النساء، قال: أما تقـرأ سورة النساء؟ قال: قلت: بلى، قال: فما تقرأ فيها(فما استمتعتم به منهنَّ الى اجل مسمى)...[(٣)].

٣ - وروى ايضاً عن عمـرو بن مرة: انه سمع سعيد بن جبير يقرأ(فما استمتعتم به منهنَّ الى اجل مسمى)...[(٤)].

٤ - وفي شرح النـووي :وفي قراءة ابن مسعود: (فما استمتعتم بـه منهنَّ الى اجل مسمى)[(٥)].

٥ - وقال ابن كثير في تفسيره: وكـان ابن عباس، وابي بن كعب، وسعيد بن جبير، والسدي يقرأون (فمـا استمتعتـم بـه منـهنَّ الى اجـل مسمى)[(٦)].

٦ - وروى الـزمخشري في تفسيره: عن ابن عباس: ان آية المتعة محكمة، اي لم تنسخ، وكان يقرأ (فما استمتعتم به منهنَّ الى اجل

---

(١) ان هذه القراءة بهذا الشكل لاتعني التحريف عن نص القرآن كما قد يتصوره البعض، بل ان المراد بها بيان معنى الآية على النحو الذي فهموه عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كما هو واضح.

(٢ و٣ و٤) تفسير الطبري ٥ : ٩.

(٥) شرح النووي ٩: ١٧٩.

(٦) تفسير ابن كثير ١ : ٤٧٤.

مسمى)[(١)].

٧ ـ وقال القرطبي: قرأ ابن عباس وأُبي وابن جبير (فمااستمتعتم به منهنَّ الى اجل مسمى)[(٢)].

ثم اني اريد ان اسأل صاحب التصحيح: هل يعني بقوله هذا تحريم المتعة وانها من مخترعات الشيعة وحدهم ولا اصل لها في الشريعة، اما ماذا يريد بقوله آنفاً (وهي تبيح المتعة أو تعمل بها)!!

أو لم يراجع كتب الحديث المختلفة وتأمل بها ولو لهنيهة من الزمن ليدرك بطلان ما ادعاه، وزيف ما افتراه... ولكن...

روت المصادر الحديثية المختلفة عن ابن مسعود قوله: كنّا نغزو مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا صلّى الله عليه وآله عن ذلك ثم رخّص لنا ان ننكح المرأة بالثوب الى أجل.

ثم قرأ عبدالله بن مسعود: ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُم وَلا تَعتَدوا إنَّ اللهَ لا يُحبُّ المعتدينَ**﴾[(٣)(٤)].

وروي عن سبرة أنّه قال: أذن لنا رسول الله صلّى الله عليه وآله بالمتعة، فانطلقت أنا ورجل الى امرأة من بني عامر، فعرضنا عليها أنفسنا، فقالت: ما تُعطي؟ قلت: ردائي، وقالت لصاحبي ايضاً: ما تُعطي انت؟ فقال: ردائي.

---

(١) تفسير الزمخشري ١ : ٥١٩.

(٢) الجامع لاحكام القرآن ٢ : ١٤٧.

(٣) المائدة ٥ : ٨٧.

(٤) انظر: صحيح مسلم كتاب النكاح حديث ١٤٠٤، صحيح البخاري ٣: ٨٥، مصنف عبدالرزاق ٧: ٥٠٦، مصنف ابن ابي شيبة ٤ : ٢٩٤، مسند احمد ١ : ٤٢٠، سنن البيهقي ٧: ٢٠٠، التفسير العظيم لابن كثير ٢ : ٨٧.

وكان رداء صاحبي أجود من ردائي ، وكنت أشب منه ، فاذا نظرت الى رداء صاحبي أعجبها ، وإذا نظرت اليَّ أعجبتها ، فقالت لي : أنت ورداؤك يكفيني ، فمكثت معها ثلاثاً .[(١)]

وروي عن ابي سعيد الخدري أنَّه قال : كنا نتمتع على عهد رسول الله صلّى الله عليـه وآله بالثوب[(٢)] .

وروى الطيالسي في مسنده عن مسلم القرشي أنَّه قال : دخلنا على أسماء بنت أبي بكر فسألناها عن متعة النساء ، فقالت : فعلناها على عهد النبي صلّى الله عليـه وآله[(٣)] .

وغير ذلك من الروايات الكثيرة والمتعددة .

اذن لقـد كانت حلّية المتعـة شائعة ومعروفة ، حتى من عوام الناس وبسطائهم ، وذلك متفق عليه ولا رد لصحته ، الا ان ما حدث بعد ذلك ان نهى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عن هذا النوع من النكاح لامر رآه ، وامر اعتقده ، وهو ما سنتعرض لـه في حديثنا اللاحق عند ردنا عن التقوّل الآخر لصاحب التصحيح .

فنقول : ان الذين ذهبوا الى تحريم المتعة لم يتبصّروا فعـلاً بالسبب الحقيقي الـذي ادى الى المنـع عن استمـرار واجـراء المتعـة ، بل حاولوا جاهـدين ايجـاد المبـرر الشـرعي باي صورة كانت لادراكهم بوضـوح ان الاجتهاد قبال النص عمل لا يقرّه الشرع ولايتقبله العقلاء ، فتضاربت لذلك الاقوال ، وتعارضت التاويلات والتعليلات .

---

(١) صحيح مسلم كتاب النكاح حديث ١٤٠٦ ، سنن البيهقي ٧ : ٢٠٢ ، مسند احمد ٣ : ٤٠٥ .

(٢) مسند احمد ٣ : ٢٢ .

(٣) مسند الطيالسي الحديث ١٦٣٧ .

فتـارة يزعمـون انهـا حرّمت ونسخت آية تحليلها بآية ثانية، وأُخرى يقولون أنّها حرّمت بالسنّة النبوية، وكلها مزاعم لا تثبت أمام النقاش وصرح الحقيقة الثابتة.

فامّـا اصحاب الرأي الاول فانّ رأيهم مردود بوضوح، حيث استدلوا على قولهم بكون آية المتعة المذكورة قد نُسخت بقوله جلّ اسمه:

﴿وَالَّذينَ هُمْ لِفُرُوجِهِم حافِظُون * إلّا على أزواجِهِم أو ما مَلَكَتْ أيمانُهُم فإنَّهُم غيرُ مَلُومينَ * فَمَنِ ابتَغى وَراءَ ذلِكَ فَاؤلئِكَ هُمُ العادُون﴾[1].

متذرّعين بان حـصر النكاح في الآية الكريمة هذه متحدد بامرين:

الأمر الأول: الزوجية:

الأمر الثاني: ملك اليمين.

زاعمين انتفاء صفة الزوجية عن المتمتع بها لعدم ترتب ما يترتب على الزواج الدائم من لوازم الزواج المعروفة من الميراث، والعدة، والطلاق، والنفقة عليها!!

متناسين أنَّ الشارع المقدس قد بيّن لنا أنَّ هناك موارد كثيرة لا ترث فيهـا الزوجة زوجها، كالزوجة الكافرة، والقاتلة، والميت عنها زوجها قبل الدخول به...، فهل يمكن لنا ان نسمي هذا الزواج بانه سفاح وغير شـرعي...!!

وأمّا العدة فلست ادري من اين لهم هذا التقوّل على الشيعة دون دليل ولا برهان مبين، فاليك كتب الشيعة من اولها الى آخرها، قديماً وجديداً، هل تجد من يذهب الى عدم وجوب العدة على المتمتع بها!!

انّ العدة ثابتة لها باجماع الشيعة الامامية قولاً واحداً، وحكماً ثابتاً،

---

(١) المؤمنون ٢٣: ٥ـ٧.

وحيث تعتد المرأة بعد المباينة مع دخول الرجل بها وعدم بلوغها سن اليأس بقرءين اذا كانت ممن تحيض، او بخمسة واربعين يوماً، واذا لم يدخل بها الرجل فحالها حال المطلقة في الزواج الدائم قبل الدخول بها، حيث لا عدة عليها.

وأمّا الطلاق فهبة المدة تغني عنه، فلا حاجة اليه.

وأمّا النفقة فهي كما يعلم الجميع ليست من لوازم الزوجية، حيث أنَّ الناشز رغم كونها زوجة دائمية إلاّ إنّا نرى ان الشارع المقدس لم يوجب نفقتها، وعليه الاجماع، فراجع.

هذا يمثل الطرف الاول من الرد على هذه الادعاءات السقيمة التي تحاول اثبات ـ وذلك دونه المحال ـ نسخ آية المتعة المتقدمة، واما الطرف الآخر فيتمثل بالخلط الواضح الذي أوقع فيه المحرّمون أنفسهم دون انتباه اليه، حيث ان آية المتعة مدنية، وآية الازواج، أو ما يسموه بالآية الناسخة لآية المتعة، مكية، فكيف بالله عليكم يتقدم نزول الناسخ على المنسوخ!!

وأمّاقول القائلين بأنّ الآية المذكورة قد نُسخت بالسنَّة، فهو أضعف، واكثر اضطراباً من الاول.

فالقوم تراهم في ذلك على اقوال شتى، ومذاهب متخالفة، فتارة تراهم يزعمون انها أُبيحت ثم نهي عنها في يوم خيبر[1]، وأُخرى انها كانت مباحة وحرّمت في عام الفتح[2]، وثالثة انها أُبيحت ونهى عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجة الوداع[3]، ورابعة انها أُبيحت عام

(١) زاد المعاد ٢ : ١٥٨.

(٢) صحيح مسلم ٢ : ٢٢/١٠٢٥، مجمع الزوائد ٤ : ٢٦٤، سنن البيهقي ٧ : ٢٠٢، سنن الدارمي ٢ : ١٤٠، سنن ابن ماجة حديث ١٩٦٢، مصنف ابن ابي شيبة ٤ : ٢٩٢، وغيرها.

(٣) سنن ابي داود ٢ : ٢٢٧، سنن البيهقي ٤ : ٣٤٨، طبقات ابن سعد ٤ : ٣٤٨.

اوطاس ثم نهي عنها[١]، وخامسة . . . وهكذا.

فها انت ترى أخي القارئ الكريم اضطراب الاقـوال وتشتتها، وفي ذلك قطع يقيني بانتفاء الثقة بها، وعدم الركـون اليها.

ثم ان التأمل في مجمل الروايات التي اشرنا الى مصادرها في الهامش يظهر بوضوح سقم وعدم جدوى تشبث المخدوعين بوقوع التحريم، فتراهم تارة ينسبـون روايات التحـريم هذه الى سعيد بن جبير رغم إنّهم يقـرّون ويذهبون الى تجويز سعيد لنكاح المتعة، بل ويروون عنه واقعة تزوج فيها زواجاً موقتاً، او ما نسميه بالمتعة[٢].

وتارة اخرى ينسبونها الى ابن عباس[٣]، وموقفه رحمه الله معلوم في هذا الامـر، واما اذا ارادوا ان يقولوا بانه تراجع عن فتواه اخيراً، فما بالهم يروون ان اصحاب ابن عباس من اهل مكـة واليمن كلهم كانوا يرون المتعة حلالاً على مذهب ابن عباس[٤]؟!

بل وماذا يفسرون ما يروونه عن جداله (اي ابن عباس رحمه الله) مع عبدالله بن الزبير في شأن المتعة، وكان ذلك في أُخريات حياته، والواقعة شهيرة ومعروفة.

كما ان التأمل ايضاً في هذه الاحاديث والروايات المروية واسانيدها يكشف بوضوح ضعف وسقوط الكثير من رجالات هذه الاسانيد كما تذكره كتب الرجال والجرح المختلفة، ومن هؤلاء أُستقت تلك الاحاديث، امثال

---

(١) صحيح مسلم الحديث ١٤٠٥، مصنف ابن ابي شيبة ٤ : ٢٩٢، مسند احمد ٤ : ٥٥، سنن البيهقي ٧ : ٢٠٤، فتح الباري ١١ : ٧٣.

(٢) انظر المصنف لعبد الرزاق ٧ : ٤٩٦.

(٣) سنن الترمذي ٥ : ٥٠، سنن البيهقي ٧ : ٢٠٥ و٢٠٦، المغني لابن قدامة ٧ : ٥٧٣.

(٤) راجع كتاب الجامع لاحكام القرآن ٥ : ١٣٣.

الحجاج بن ارطاة[١] الواقع في سند الخبر الراوي عن تراجع ابن عباس عن رأيه في حلّية المتعة[٢]، وكذا موسى بن عبيدة[٣] الراوي للخبر الآخر[٤].

وكذا هي حال الاخبار الأُخرى كخبر تحريمها في يوم فتح مكة الذي يقع في سنده موسى بن عبيدة المتقدم أو اسحاق بن عبدالله بن ابي فروة، وهو مطعون فيه، متروك في الحديث[٥].

وغير ذلك فراجع لان المحل هنا لا يناسب هذا المبحث الرجالي.

وما ما روي من تحريم المتعة في غزوة خيبر فما هو باحسن حالاً من سابقيه، ويكفي لرده ان اورد ما ذكره ابن القيّم في زاد المعاد حول هذا الامر، قال: وقصة خيبر لم يكن فيها الصحابة يتمتعون باليهوديات، ، ولا استأذنوا في ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولا نقله أحد قط في هذه الغزوة، ولا كان للمتعة فيها ذكر البتة، لا فعلاً ولا تحريماً[٦].

وقال في موضع آخر من كتابه: فانّ خيبر لم يكن فيها مسلمات،

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤ : ٢٦٥): الحجاج بن ارطاة مدلّس.

وفي تهذيب التهذيب (٢ : ١٩٦) : كان يرسل عن يحيى بن ابي كثير ومكحول ولم يسمع منهما، وانما يعيب الناس منه التدليس، ليس يكاد له حديث الا فيه زيادة. وقال ابن المبارك: كان الحجاج يدلس . . . متروك.

وقال يعقوب بن ابي شيبة: واهي الحديث، في حديثه اضطراب كثير.

(٢) انظر الرواية في سنن البيهقي ٧: ٢٠٥ وغيره.

(٣) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٥٦): قال أحمد: منكر الحديث، لا تحل الرواية عندي عنه، حدّث باحاديث منكرة.

(٤) سنن الترمذي ٥: ٥٠، سنن البيهقي ٧: ٢٠٦.

(٥) الحديث في مجمع الزوائد ٤ : ٢٦٦، وفيه اعتراضه عليه. وقال ابن حجر في تهذيبه (١ : ٢٤٠): يروي احاديث منكرة.

لا يحتج بحديثه، لا تحل الرواية عنه، لا يكتب حديثه.

(٦) زاد المعاد ٢ : ١٥٨.

وانَّما كن يهوديات، وإباحة نساء اهل الكتاب لم يكن ثبت بعد، إنّما أُبحن بعد. . .[١].

ووافقه في ذلك ابن حجر في فتح الباري، فراجع[٢].

واخيراً اقول: كيف تتقبل العقول ان تجيز تحليل المرأة المملوكة مدة معينة ولو من غير رضاها، ومن دون جعل مهر لها، ولا تجاز برضاها مع المهر كما في المتعة، فكيف يقال بجواز التحليل ولا يقال بجواز المتعة؟ كيف يجوز للمسلم ان يجمع بالتحليل الف امرأة من غير رضاها ولا طيب نفسها في ليلة واحدة وتحت سقف واحد، ولا يجوز له ذلك بالمتعة مع رضاها وطيب نفسها وجعل مهر لها؟ فكيف بالله عليكم يكون ذلك حلالاً وهذا حرام!!

ثم أقول لصاحب التصحيح: ان احكام الله تعالى لا تُعلّل، ولا هي بمذاقي ولا بمذاقك، أليست كلهنّ أُمهات قد جُعِلت الجنّة تحت اقدامهن؟!

قال الله تعالى: **﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُم وَلا تَعتَدُوا إنَّ اللهَ لا يُحبُّ المعتَدينَ﴾**[٣].

وقال جلّ اسمه: **﴿قَدْ خَسِرَ الّذينَ قَتَلُوا أولادَهُم سَفَهاً بِغَير عِلمٍ وَحَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ الله افتِراءً على اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كانُوا مُهتَدينَ﴾**[٤].

---

(١) زاد المعاد ٢: ٢٠٤.
(٢) فتح الباري ٩: ٢٢ و١١: ٧٤.
(٣) المائدة ٥: ٨٧.
(٤) الانعام ٦: ١٤٠.

التصحيح (ص١٠٨): يقول فقهاء الشيعة سامحهم الله: ان المتعة كانت مباحة في عهد الرسول الكريم (ص) وفي عهد الخليفة ابي بكر، وفي شطر الخليفة عمر بن الخطاب حتى ان حرّمها وأمر المسلمين بالكف عنها، وهم مستندون على ذلك بروايات عديدة رويت في كتب الشيعة وبعض كتب السنّة. امّا الفرق الاسلامية الأخرى فنقول: انها كانت عادة جاهلية عمل الناس بها في السنوات الاولى من عصر الرسالة حتى أمر النبي بتحريمها في يوم خيبر أو في حجة الوداع... الخ.

تصحيح التصحيح:

لا أحيد عن الحق وكلمته قيد أنملة اذا قلت ان هذا الرجل لا يدرك ولو للحظة واحدة عواقب الاحكام والآراء التي يلقيها على عواهنها ودون تبصّر وتدبر، وروية وامعان، فالمتفحص في عباراته المنمقة هذه وغيرها لا بدّ ان يضعه في واحد من موضعين: امّا هو كحاطب ليل لا يدري ما حوله والى ماذا تمتد يداه، أو مكابر متعمد التزييف والتحريف، وانا أترك تقدير هذا الامر للقارئ الكريم.

فمن اين له ان يقول ويحكم بأنّ النكاح المؤقت عادة جاهلية، اين شاهد الصدق في تقوّله هذا، انا لم اسمع بذلك، بل ولم اعثر عليه في كتاب، فماذا يريد بقوله هذا؟

ثم إنّا نعلم بوضوح ان الانكحة في الجاهلية معلومة ومعروفة، كنكاح

الشفار، ونكاح المعاوضة ونحوهما، ولم يكن نكاح المتعة من اقسامها قطعاً، فمن اين له بهذا الادعاء السقيم!!

نعم لم يقل احد من المسلمين بذلك على اختلاف مذاهبهم، بل الحق الثابت عند المحققين: ان المتعة شرّعها الاسلام، وحرّمها الخليفة عمر بن الخطاب، وكان علي بن ابي طالب، وعبدالله بن عباس، وابن مسعود، واصحابهم من اهل مكة، واهل اليمن على القول بها.

ثم ما قول صاحب التصحيح بقوله تعالى: ﴿**فَما استَمتَعتُم بِهِ مِنهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورهُنَّ فَريضَةً**﴾[1] وحيث اتفق جميع المفسرين والمسلمين على انها نزلت في شأن نكاح المتعة... فهل الجميع مخطئون في رأيهم الاّ هو القادم في آخر الزمان، دون دليل ولا حجة!! عجيب هذا الامر، ولا تصدقه العقول...

ثم من قال لك أنَّ الشيعة فقط هم القائلون بانّ المتعة كانت مباحة في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وفي عهد ابي بكر وشطر من عهد عمر ابن الخطاب حتى ان حرّمها الاخير وأمر المسلمين بالكف عنها؟ ارجع الى كتب القوم وتأمل بها تجد عظم ما افتريتَه وتقوّلتَه على طائفة كبيرة من المسلمين، واخذ غيرك يطبّل له ويزمّر.

ففي صحيح مسلم وغيره روي عن عطاء انه قال: قدم جابر بن عبدالله معتمراً، فجئناه في منزله، فسأله القوم عن اشياء، ثم ذكروا المتعة.

فقال: نعم استمتعنا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وأبي بكر وعمر[2] .

---

(١) النساء ٤ : ٢٤.

(٢) صحيح مسلم كتاب النكاح حديث ١٤٠٥، عمدة القارئ للعيني ٨: ٣١٠.

وروى احمد بن حنبل في مسنده عين الرواية الاّ انه قال: حتى اذا كان في آخر خلافة عمر[١].

ورواها ابن رشد وذكر: ونصفاً من خلافة عمر ثم نهى عمر الناس[٢] وروى عن جابر ايضاً قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق، الايّام، على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وابي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث[٣].

وفي لفظ آخر: استمتعنا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وابي بكر وعمر، حتى اذا كان في آخر خلافة عمر استمتع عمرو بن حريث بامرأة ـ سمّاها جابر فنسيتها ـ فحملت المرأة، فبلغ ذلك عمر فدعاها فسألها، فقالت نعم. قال: من أشهد؟ قال عطاء: لا ادري قالت: اميّ، ام وليّها، قال: فهلاّ غيرهما، قال: خشي ان يكون دغلاً...[٤].

وروى مالك في موطئه والبيهقي في سننه وغيرهما: أنَّ خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب فقالت: ان ربيعة بن اُمية استمتع بامرأة فحملت منه، فخرج عمر يجر رداءه، فقال: هذه المتعة، ولو كنت تقدّمت فيها لرجمت[٥].

وفي الاصابة لابن حجر: أنَّ سلمة بن امية استمتع من سلمى مولاة حكيم بن اُمية بن الاوقص الاسلمي فولدت له فجحد ولدها، فبلغ ذلك عمر

---

(١) مسند احمد ٣: ٣٨٠.

(٢) بداية المجتهد ٢: ٦٣.

(٣) صحيح مسلم باب نكاح المتعة حديث ١٤٠٥، المصنف لعبد الرزاق ٧: ٥٠٠، سنن البيهقي ٧: ٢٣٧، مسند احمد ٣: ٣٠٤، زاد المعاد ١: ٢٠٥.

(٤) مصنف عبد الرزاق ٧: ٤٩٦.

(٥) موطأ مالك: ٤٢/٥٤٢ باب نكاح المتعة، سنن البيهقي ٧: ٢٠٦، كتاب الام للشافعي ٧: ٢١٩، تفسير السيوطي ٢: ١٤١.

فنهى عن المتعة[١].

وفي مصنف عبدالرزاق وغيره: عن عروة: ان ربيعة بن أُمية بن خلف تزوج مولّدة من مولّدات المدينة بشهادة امرأتين احداهما خولة بنت حكيم، وكانت امرأة صالحة، فلم يفجأهم الاّ الوليدة قد حملت، فذكرت ذلك خولة لعمر بن الخطاب، فقام يجر صنفة ردائه من الغضب حتى صعد المنبر، فقال: انّه بلغني ان ربيعة بن امية تزوج مولّدة من مولّدات المدينة بشهادة امرأتين، واني لو كنت تقدّمت بهذا لرجمت[٢].

وروى الطبري في تأريخه عن عمران بن سوادة ودخوله على عمر بن الخطاب ناصحاً له في حديث منه قوله لعمر: عابت أُمّتك منك اربعاً... الى ان قال: ذكروا أنَّك حرّمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله، نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث...[٣].

ثم ما قول صاحب التصحيح بما نقل من أقوال الصحابة المحددين أمر النهي عن المتعة بعمر بن الخطاب دون آخر، بوضوح ودون لبس.

فقد روى عبدالرزاق في مصنفه: ان علياً [عليه السلام] قال بالكوفة: لولا ما سبق من رأي عمر بن الخطاب لأمرت بالمتعة، ثم ما زنى إلاّ شقي[٤].

وروى غيره عنه عليه السلام ايضاً قوله: لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقي[٥].

---

(١) الاصابة ٢: ٦١.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٧: ٥٠٣، مسند الشافعي: ١٣٢، الاصابة في ترجمة ربيع بن أُمية ١: ٥١٤.

(٣) تأريخ الطبري حوادث سنة ٢٣.

(٤) مصنف عبدالرزاق ٧: ٥٠٠.

(٥) التفسير الكبير ٣: ٢٠٠، تفسير الطبري ٥: ١٧، تفسير ابي حيّان ٣: ٢١٨، الدر المنثور ٢: ٤٠.

وروي عن ابن عباس انه قال: ما كانت المتعة إلّا رحمة من الله تعالى رحم بها عباده، ولولا نهي عمر ما زنى إلّا شقي [١].

وفي لفظ آخر: . . . ولولا نهيه لما احتاج الى الزنا إلّا شقا.

وفي لفظ آخر: . . . ولولا نهي عمر عنها ما اضطر الى الزنا إلّا شقي [٢].

❊ ❊ ❊

(١) الجامع الحكام القرآن ٥: ١٣٠.

(٢) النهاية لابن الأثير ٢: ٢٢٩، تاج العروس ١٠: ٢٠٠، بداية المجتهد ٢: ٦٣، احكام القرآن للجصاص ٢: ١٤٧.

التصحيح : (ص١١١): الـزواج المؤقت المتفق عليه عند الشيعة الامامية فقط يتم بتلفّظ صيغة العقد بدون شاهد. . . ـ الى قوله ـ وموافقة الأب ليس شرطاً في كل الأحوال.

تـصحيح التصـحيح :

أمّا الشاهد في عقد النكاح فليس شرطاً في الصحة، لا في النكاح الـدائم ولا في المؤقت، وإنّما يجب لدفـع الضـرر المحتمـل عقلاً، فاذا احتملت الزوجة أنَّ الزوج قد ينكر حقّها أو ينكر ولدها فيجب عليها حينئذ ان تجعل لزواجها شاهدين عدلين، نعم هذا اذا توقّف دفع الضرر المتوقع على الشهادة، وكذلك يجب أيضاً على الزوج إذا احتمل ذلك، وليس في هذا فرق بين النكاح الدائم والنكاح المؤقت. . فراجع.

وأمّا في نكاح الباكر فانّه يشترط مطلقاً ـ سواء كانت كبيرة بالغة رشيدة أم صغيرة ـ إذن الأب، أو الولي عند عدم وجود الأب؛ سواء ذلك في النكاح الـدائم أو المؤقت، حيث لا يجـوز اجـراء العقد وثبات صحته بدون إذن الأب. . . فمن اين لصاحب التصحيح دعواه الباطلة هذه. . . !!

ثم اقول: بعد ان بيّنا حلّية نكاح المتعة وجوازها، فإنّ المنصف اذا تبصّـر في ما ذكرناه من شواهد وادلة واضحة ـ جهدنا ان تكون من مصادر اخواننا من ابناء السنّة والجماعة، مع اهمالنا المتقصد لما ورد في مصادرنا الخاصة لوضوح الامر وثبوته لدينا ـ فانه لا بد ان يقف الى جانب كلمة الحق وموقف الصدق، ولا نريد ان ندفعه الى ذلك قصراً، قدر ما اردنا ان نوضح للقارئ الكريم عظم الافتراء الذي ما زال البعض يمارسه بغضاً بالشيعة وكرهاً لوحدة المسلمين التي هي الهدف الذي نسعى اليه جميعاً، ولكنه لا يروق

لصاحب التصحيح ولا للبعض ممّن استهوته اهوائهم فطفقوا يتبعونها اينما تعدو وتثب.

واخيراً فاني اريد ان ابيّن ادناه جملة من الموارد التي تكون فيها المتعة حالاً شافياً، ووسيلة ناجحة وأمينة لكثير من الموارد المختلفة التي يبتلي بها المسلمون:

١ ـ لعلّ الجميع يعلمون انه لا يجوز عند الشيعة الامامية نكاح الكتابية على الدوام، بل يجوز ذلك مؤقتاً (بالمتعة)، وفي ذلك حلاً لمشاكل كبيرة قد يبتلي بها شبابنا الذين يسافرون الى الدول الاوربية وغيرها من بلاد الكفر المختلفة، لاكمال دراساتهم مثلاً أو غيرها من الاعمال المهمة الأُخرى، وفي ذلك كثير من العنت والشدة التي قد يبتلي بها هذا الشاب الاعزب في هذه الدول الفاسدة، كما يعلم ذلك الجميع، فعندها يضطر هذا الشاب وتلافياً للوقوع فيُ السفاح والزنا الى نكاح المتعة، فإنْ هي أسلمت وحسن اسلامها وارادها زوجها عقد عليها بالدوام، وإلّا سرّحها سراحاً جميلاً.

٢ ـ هناك نساء لا يرغبن في النكاح الدائم، لاسباب خاصة بهن، أو قد لا يرغب في نكاحهن احد بالنكاح الدائم لاسباب كثيرة في حين نجد ان كُلّاً من الرجل والمرأة يرغبان في النكاح المؤقت لانتفاء تلك الاسباب الحرجة، فيقدمان على هذا النكاح خشية العنت وهرباً من الوقوع في السفاح والفحشاء.

٣ ـ كما قد تضطر بعض النساء اللواتي يسافرن لوحدهنَّ لظروف خاصة الى اماكن بعيدة الى الزواج المؤقت خوفاً وحماية لنفسها طالما هي في ذلك الركب المسافر، ودفعاً لتعرض السفهاء لها، حيث تعقد نفسها لاحد الرجال المؤمنين أيام السفر هذه فتصبح تحت حمايته ورعايته حتى ترجع الى

موطنها آمنة مصانة.

بل وهناك فوائد جمّة تترتب على النكاح المؤقت لا يسعنا هنا عدّها واستقصاؤها، والله هو العليم الحكيم.

قال الله تعالى: ﴿**ما كانَ لمؤمنٍ وَلا مُؤمِنَة إذا قَضىٰ اللهُ وَرَسولُهُ أَمراً أنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمرِهِم وَمَنْ يَعصِ اللهَ وَرَسولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً**﴾[١].

* * *

---

(١) الاحزاب ٣٣: ٣٦.

التصحيح : (ص١١٣) : وأعود مرّة أُخرى الى الزواج المؤقت وأسأل الفقهاء الذين يفتون بجواز المتعة واستحباب العمل بها هل انهم يرضـون شيئاً كهذا بالنسبة لبناتهم واخواتهم وقـريبـاتهم، ام انهم اذا سمعوا اسودت وجوههم وانتفخت اوداجهم ولم يكظموا لذلك غيضاً.

تـصحيـح التصحيـح :

غريب أمـر هذا الـرجـل ومـا اشد تلاعبه باحكام الله تعالى بصلف عجيب، مفسراً ما شاء بما يوافق هواه رغم مخالفته الصريحة مع الشريعة الاسلامية الخالدة وادلتها الثابتة.

فهذا الرجل يعلم كما نعلم نحن ويعلم غيرنا ان هناك أُموراً كثيرة قد تكـرههـا النفس والعرف رغم حلّيتها ومشروعيتها واباحتها في الشرع، بل وهناك امور أُخرى كثيرة تشتاق اليها الكثير من النفوس، ويرغب فيها العرف رغم كونها حراماً باطلاً مسحتاً في الشرع، إذ الحلّية والحرمة لا يرتبطان في الشرع بالرغبات والميول وعدمهما، وأحكام الله تعالى لا تُعلّل ولا تقاس.

وكذا هي المتعة او ما يمسى بالزواج المؤقت، فإنّ عدم رضانا شيئاً من هذا ـ مثـلاً ـ بالنسبـة لبناتنا وأخواتنا وقريباتنا لا يعني عدم جواز وحلّية المتعة شرعاً، فإنّها لما كانت مباحة فإنّ ذلك يلغي مبدأ الالزام منها، وكم من مباح يترك تنزّهاً وترفّعاً.

بلى فانا اعلم انك لا ترضى لنفسك ـ مثلاً ـ ان تكون نزّاحاً للكنائف أو خادمـاً أو طاهـياً في بيت من الـبيوت، أو ان تعمـل اختـك خادمـة تستـأجـر نفسها للخدمة وانت سيّد قومك، نعم انك سترد بكلاّ ثم كلاّ،

فلماذا، انك لم تاتِ محرماً ولا أُختك بل هو أمر مباح ويتعاطاه الكثيرون، فهل يعني ذلك ان نلغي هذا الأمر ونحرّمه لانه لا يتفق مع شأنك ومكانتك في المجتمع، ولانها في نظرك ـ يا صاحب التصحيح ـ أعمال ومهن حقيرة، رغم كونها مكسباً شريفاً وعملاً انسانياً، بل ولعلها اعمالاً مستحبة من باب خدمة العباد... بل فمن هذا لتدرك انّا نقول بالحرص على عدم تعاطي الزواج المؤقت ـ مثلاً ـ لانّا لا يصعب علينا الزواج الدائم وتكوين الأُسرة.

ثم اني اسألك ـ يا صاحب التصحيح ـ قبل ان أطوي عن هذا الموضوع برمته: أيهما أبشع تطليقك حليلتك وأُم أولادك ـ التي جعل الله تعالى الجنة تحت أقدامها ـ لا لشيء بل لانّك حلفت عليها بالطلاق ثلاثاً بائناً في مجلس واحد، وفي مرة واحدة لا رجعة فيها، إلاّ ان ينكحها غيرك، فتذوق عسيلته ويذوق عسيلتها، ثم إن شاء طلقها بعد ذلك فتنكحها بعد إنقضاء عدتها من هذا أم تحليلك المرأة الخليّة بالزواج المؤقت وانت في سفر ـ مثلاً ـ وهي وانت ترغبان بالزواج المؤقت لا الدائم، تخدمك في سفرك، وتؤنس وحدتك، وتزيل وحشتك، وتسكن اليها ما دمت في السفر وحيداً موحشاً، فتهوّن عليك وحشتك، وتمتنع بواسطتها عن اغراء الوقوع في الحرام؟ انه تساؤل لا اكثر...

* * *

السجود على التربة الحسينية

التصحيح : (ص١١٤) : السجود على التربة الحسينية ظهرت في العصر الثاني من الصراع بين الشيعة والتشيع ! ! ثم امتدت نحو آفاق اوسع عمت الشيعة جميعاً .

تصحيح التصحيح :

ان هذا الحديث يندرج ضمن شقين لا يدرك مغزى الثاني دون معرفة علة الاول، وهما :

١ ـ السجود على الارض .

٢ ـ السجود على التربة الحسينية .

بلى فإنَّ من لم يدرك حقيقة العلة الأُولى لن يستطيع قطعاً تفهّم الثاني ، والفصل بينهما خلط واضح يراد به التمويه والتشويه ، والمراد مفهوم لذوي الالباب .

لقد جاءت الشريعة الاسلامية المباركة بالصلاة، وبيّن رسول الله صلّى الله عليه وآله اركانها واجزاءها وشروطها واحكامها، فكانت جماعة المسلمين تأخذ هذه الاحكام من رسول الله صلّى الله عليه وآله مباشرة ، فيتعلموها ويتساءلوا عما غمض عليهم ، وتبدو لنا حقيقة تعبّداتهم من خلال الارث الضخم الذي خلّفوه لنا في كتب الحديث والسير وغيرهما ، ومن ذلك

قضية السجود في الصلاة.

ان رسول الله صلّى الله عليـه وآله قد رسم الركن الاساسي في هذا الجـانب من الصـلاة عنـدمـا أعلى بوضوح: «جُعلت لي الارض مسجداً وطهوراً»[1] حيث يظهر ويوضوح للمتأمل في هذا الحديث الشريف ان الله تعالى جعل الارض موضعاً لسجود المسلم في صلاته وعبادته لله تعالى.

بلى ومن هذا المبنىٰ الاساسي والمهم نرى ان الصحابة برفقة رسول الله صلّى الله عليـه وآلـه كانوا ـ وفي اثناء صلاتهم ـ لا يسجدون إلّا على الارض رغم ما كانـوا يتحملونـه من مشقـة تحمل حرارة الرمضاء الملتهبة وحصاها الساخنة، وإلّا فما معنى ما يروى من هذه الشكوى وهذه المعاناة من قبل المسلمين إذا كان الامر لا يتحدد بالسجود على الارض فقط!

روى خباب بن الارت قال: شكونا الى رسول الله صلّى الله عليـه وآله شدة الرمضاء في جباهنا وأكفنا، فلم يشكنا[2].

وأما أنس بن مالك فيوضح هذا الامر بجلاء حيث يقول: كنا مع رسول الله صلّى الله عليـه وآله في شدة الحر فيأخذ أحدنا الحصاء في يده فاذا بردت وضعها وسجد عليها[3].

واما جابر بن عبدالله الانصاري فيقول: كنت أُصلي مع النبي صلّى الله عليـه وآله، فآخذ قبضة من الحصى، فأجعلها في كفي ثم أُحوّلها الى الكف الأُخرى حتى تبرد، ثم أضعها لجبيني حتى أسجد عليها من شدة الحر[4].

---

(١) صحيح البخاري ١: ٩١، سنن البيهقي ٢: ٤٣٣.
(٢) سنن البيهقي ٢: ١٠٥.
(٣) سنن البيهقي ٢: ١٠٦.
(٤) مسند أحمد ٣: ٣٢٧، سنن البيهقي ١: ٤٣٩.

وغير ذلك من الروايات والاخبار الكثيرة، وربّ سائل يتساءل: اذا كان آنذاك وفي عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله السجود مباحاً على الثياب وغيرها افما كان ذلك ايسر من هذا العمل المضني والشاق! وانا أُؤيده في ذلك، واكرر نفس هذا التساؤل.

بلى ان هذه الاخبار تدل دلالة واضحة على ان السنّة في سجود الصلاة كانت في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله جارية بهذا الشكل وليس غيره، بل وتعضدها اخبار وروايات أُخرى تصب ضمن هذا المنحى.

فمن ذلك ما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ومواظبته على رفع العمامة عن جبهته عند السجود ليلامس جبينه الطاهر الارض[١]، فلو كان صلّى الله عليه وآله يجوّز السجود على الثياب وفي هذا الموضع لما حسر عن عمامته، بل ولما أمر المسلمين بذلك[٢].

كما ان هناك الكثير من الاخبار المنقولة التي كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يدعو المسلمين فيها الى تتريب وجوههم كما نقلتها المصادر المختلفة.

اذن لقد كان الواجب على المسلمين آنذاك هو السجود على الارض فقط دون غيرها، وعلى ذلك عمل جميع المسلمين وواظبوا عليه، حتى جاءت الرخصة بالسجود على ما أنبتت الارض رحمة بالمسلمين وتخفيفاً عن المشقة التي كانوا يعانون منها عند السجود على الارض الملتهبة في ارض الجزيرة.

فقد تواترت الروايات المحدثة عن ذلك، وعن السجود على الخمرة[٣]،

---

(١) مسند احمد ٦ : ٣٠١.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ١ : ١٥١، سنن البيهقي ٢ : ١٠٥ وغيرهما.

(٣) الخمرة: قطعة صغيرة من الحصير تُعمل من سعف النخل. الصحاح.

فقد روت عائشة ان رسول الله صلّى الله عليـه وآله كان يصلي على الخمرة، وكذا حدثت أُم سلمة وميمونة وأم سليم، ومثلهنّ روى ابن عباس وعبدالله بن عمر ذلك، فراجع[1].

واما ما روي من الاخبار حول السجود على الثياب في كتب العامة فلم تكن مجوّزة ذلك إلاّ لعذر وحرج لا غير، ولا وجه لحملها على غير ذلك[2].

فقد تبيّن مما مضى أنّ أساس السجود كان ولا زال على التربة، وان السجود عليه أفضل من السجود على الخمرة إن امكن، وليس هذا الامر كما ذكرنا متعلّق بالشيعة فقط دون غيرهم، بل قد ثبت ان القدماء من علماء السنّة والجماعة: كابي شيبة، وابي بكر بن احمد بن عبدالله بن موسى الكندي من اعلام القرن الرابع والخامس الهجري وغيرهما من أصحاب الرأي والاجتهاد كانوا يسجدون على لبنة من طين يابس في صلواتهم.

بل وروي ان ابن ابي شيبة كان يأخذ معه في السفينة لبنة للسجود عليها في صلاته.

نعم إنَّ هؤلاء العلماء كالشيعة الامامية يحرصون على السجود على الارض التي اوصى رسول الله صلّى الله عليـه وآله أُمّته بالسجود عليها، ولما كانت الاوضـاع لا تستقيم على وتيرة واحدة ومنهاج واحد، كعدم الامكان للوصول الى ارضٍ طاهرة أو امر آخر فقد دعت هذه الظروف الى اتخاذ لبنة

وقال ابو بكر الكندي في المصنف (٥ : ٥٦) هو صغير على قدر ما يسجد عليه المصلي، فان عظم فهو حصير وليس بخمرة.

(١) مسند أحمد ١ : ٢٦٩ و٢ : ٩٢، و٦ : ١٧٩، ٣٠٢، ٣٣١، ٣٣٥، اخبار اصبهان ٢ : ١٤١.

(٢) انظر: صحيح البخاري ١ : ١٠١ و٢ : ٦٤، صحيح مسلم ٢ : ١٠٩، مسند احمد ١ : ١٠٠، المصنف لبعد الرزاق ١ : ٤٠٠.

من أرض طاهرة تلافياً للمشقة والحرج، وهذا ما تحدثنا به الاخبار وتؤمن به العقول.

وامّا حرص الشيعة على اتخاذ التربة الحسينية اكثر من غيرها ـ دون الاشتراط بتخصيصها وحدها ـ فلأن الشييعة كجميع المسلمين يقدّرون لهذا الامام الشهيد ثورته العظيمة، وتضحيته الكبيرة، كما يدركون ايضاً عظم منزلة هذا الامام عند الله تعالى ورسوله، أليس هو أحد الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أليس هو أحد الذين جعل الله تعالى أجر هداية الأُمة مودتهم، اليس هو ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله بنص قوله تعالى ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُلْ تعالَوا نَدعُ أبناءَنا وَابناءَكُم وَنِساءَنا ونِساءَكُم وَانفُسَنا وأنفُسَكُم. . .**﴾[١].

بل أو ليس هو الامام السبط الشهيد الذي ضحى بالغالي والنفيس نصرة للدين واعلاءً لشأنه، وذُبح غريباً عطشاناً، حزيناً مكموداً، بعد ان رأى بأُم عينيه اهل بيته واصحابه صرعى مجزرين، فلم يتردد لحظة واحدة في موقفه الحق، وثورته الخالدة؟

اذن فما الضير من ان تواظب الشيعة على الأخذ من الارض التي لامست هذا الجسد الطاهر تربة للسجود عليها لله تعالى وحده لا شريك له.

إنّا نسجد على هذه التربة الطاهرة التي زادها طهارة وبركة حلول جسد سيدنا وإمامنا الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، لا نسجد لها كما يدعي ذلك الحمقىٰ والمغفلين، فهي لا تعدو كونها لبنة أُخذت من تراب الارض كما تؤخذ غيرها، إلاّ انها أُخذت من موضع طاهر حل فيه إمام هدى، وداعي حق.

---

(١) آل عمران ٣: ٦١.

قال الله تعالى :

﴿أَلَم يَأنِ لِلَّذينَ آمَنُوا أنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكرِ اللهِ وَما نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبلُ فَطالَ عَلَيهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُم وَكَثِيرٌ مِنهُم فاسِقُونَ﴾[1] .

وقال جلَّ اسمه :

﴿وَجَحَدُوا بِها وَاستَيقَنَتها أَنفُسُهُم ظُلماً وَعُلُوّاً فَانظُر كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المفسِدينَ﴾[2] .

* * *

(١) الحديد ٥٧ : ١٦ .

(٢) النمل ٢٧ : ١٤ .

صلاة الجمعة

التصحيح (ص١٢٩): فإنّ على القاعدة الشيعيّة أن تفرض على أئمّة مساجدها صلاة الجمعة، وأن تطلب منهم الإتيان بهذه الفريضة . . . إلخ.

تصحيح التصحيح:

الجميع يعلم بأنّ صلاة الجمعة هي من المسائل الخلافية بين فقهاء المسلمين، حيث اختلفوا في هل أنّها مشروطة بإذن الإمام (ولي أمر المسلمين) كالجهاد وسائر الامور الحسبية، أم أنّها غير مشروطة، ومن الذين افتوا صراحة بأنّ صلاة الجمعة مشروطة هو الإمام أبو حنيفة، حيث قال في شروط صحّة الجمعة: «الثاني: أن يكون الإمام هو ولي الأمر أو نائبه[1]».

وفي ذلك الشرط يوافق ما ذهب إليه الكثير من فقهاء الإمامية، إضافةً إلى إشتراط العدالة في ولي الأمر حسب اصولهم وقواعدهم.

وهناك نجد في فقهاء الإمامية عدداً كبيراً ممّن ذهبوا إلى وجوب صلاة الجمعة في زمان الغيبة، من غير اشتراط السلطان العادل، وأنّها من الواجبات الكفائية، تجب كفاية على المؤمنين أن يُعيّنوا لإقامتها خطيباً قارئاً عادلاً يخطبهم ويؤمّهم، وتجب على المؤمنين وجوباً عينيّاً تعيينيّاً الحضور

(١) راجع للتثبت في ذلك كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ما ذكر حول صلاة الجمعة.

إلى جمعته.

والذين ذهبوا إلى هذا الرأي فقهاء فطاحل، صنّفوا العديد من الرسائل والمؤلفات المهمة حول هذا الأمر، ضاع الكثير منها للظروف المرّة التي عاناها رجال الشيعة طوال الحقب الماضية، وقد تعرّض لكثير من أسمائهم صاحب الحدائق في كتابه، وصاحب عنوان الطاعة أضاف إليها أسماء اخرى في كتابه[1].

واعتقد أنّ سبب مسامحة الشيعة في هذا الفرض العظيم ـ الذي هو رمز العزّة والعظمة لجامعتهم ـ هو أنّهم لمّا كانوا يمنعون من إقامة الجمعة الخاصة بهم، لا يسعهم الائتمام بالأئمة الفسقة الذين تنصّبهم الدولة الأموية، والذين لا همَّ لهم إلّا الوقوع بعلي عليه السلام وأهل بيته وشيعته، فكيف يستطيع مسلم بالله عليك أن يأتم بهكذا إمام!!

وأمّا إذا أردتم أن تُفرَض على أئمّة المساجد أن يأتوا الجُمَع في مساجدهم ـ يعني كلُّ إمام يأتي الجمعة في مسجده ويخطب ـ فهذا لا يجوز إجماعاً، لأنّ من شرط الجمعة إجماعاً أن تكون المسافة بين جمعة وأُخرىٰ لا أقلّ من فرسخ، وليست هذه المسافة بين المساجد موجودة الآن كما هو معروف، لكثرة المساجد وإنتشارها.

ولكنّ اليوم والحمد لله ما نجد بلدة أو قرية من قرى الشيعة، سواءاً في إيران، أو لبنان، أو الباكستان، أو الهند، وحتى في أوروبا وفي أكثر الأوساط الشيعية، الّا وتُقام عندهم الجمعة بشكلها الشرعي السليم، إلّا إذا تمنعهم الحكومة المحليّة الظالمة كما هو الحال في بعض مدن الهند، والذي تطالعنا به الأخبار بين الآونة والأُخرىٰ، وأمّا في إيران فأنت تقرأ وتسمع وترىٰ

---

(١) الفقه المحقق إسماعيل بن أحمد الحسيني المرعشي من الأعلام المعاصرين في كتابه (عنوان الطاعة في إقامة الجمعة والجماعة) ص٣٤ من الطبعة الجديدة.

ما هي أهمية هذهِ الصلاة، وكم تولىٰ من الأهمية البالغة من قبل الدولة والمسلمين. أللهم أعنّا على ديننا ولا تسلّط علينا مَن لا يرحمنا، آمين.

تحريف القرآن

التصحيح (ص١٣١): لست أدري كيف يستطيع المرء أن يقول بتحريف القرآن وهو أمام نص صريح يدحض كل الأقوال حول التحريف . . . إلخ.

تصحيح التصحيح:

العجيب أن تجد من يردد بعناد وإصرار هذا الاتهام الباطل والسقيم رغم تصدي الكثير من علماء الطائفة ومفكريها ـ ومنذ دهور بعيدة ـ الى مناقشة وتفنيد وإبطال محتواه ومضمونه، واثبات حقيقة ما تقول به الشيعة من أنّ التحريف الذي يقول به القوم، ويتبادلون فيه الاتهامات لم يقع حتماً، وان الكتاب الذي بأيدينا هو القرآن الذي نزل علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله دون زيادة أو نقصان تعضده جملة ثابتة من الادلة التي سبق ان تعرضت للكثير من البحث والمناقشة:

منها: قوله تعالىٰ في سورة الحجر: ﴿**إِنَّا نَحنُ نَزَّلنا الذِّكرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظُونَ**﴾[1] وفي الاية المباركة دليل قطعي على تدخل الارادة الالهٰية المقدسة في حفظ القرآن وصيانته من التلاعب والتحريف، ولا يلتفت الى ما تأوّله البعض في صرف هذا الامر عن هذا التوجيه لفساده، ووضوح سقمه.

---

(١) الحجر ١٥ : ٩.

ومنها: قوله جلَّ اسمه في سورة فصِّلت: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ * لا يَأتِيهِ الباطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلا مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[١]. وقوله جلّ اسمه في هاتين الآيتين المباركتين يبين بوضوح استحالة تسرُّب الباطل ـ الذي يكون التحريف من أفراده قطعاً ـ الى هذا الكتاب العزيز، وهي ارادة الهية لا مرد لها، ولا مجال للتشكيك بثباتها.

ومنها: ما تواتر من قوله صلّى الله عليه وآله: «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٢].

وقوله صلّى الله عليه وآله هذا دليل ثابت علىٰ سلامة القرآن الكريم من التحريف، والعلم القطعي بعدم تسرب هذا الخلل والتحريف اليه حتىٰ يرث الله تعالى الارض ومن عليها، والعلة في ذلك بينة واضحة، إذ لا ينبغي للرسول صلّى الله عليه وآله ان يأمر أُمّته باتباع الكتاب المحرّف الذي لن يقودها الى الهداية، ولانَّ فيه تناقضاً واضحاً بين ما يُتمسَّك به وبين الغاية التي يُتوصل اليها من خلاله.

ولا عمدة في ما يذهب اليه البعض من أنّ هذا التمسّك يتعلّق فقط بآيات الاحكام دون غيرها من الآيات الأُخرىٰ، لتعارضه الواضح مع المفروض الحتمي من أنّ القرآن الكريم ككل متكامل ـ سواء كانت آيات الاحكام أو غيرها ـ جاء لهداية وارشاد الأُمّة نحو كمالها وصلاحها من جميع الجهات، فلا يمكن بأي حال من الاحوال تجزئة الامر لانّه لا يقبل الانقسام.

---

(١) فصلت ٤١: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) انظر: سنن الترمذي ٥: ٦٦٢ و٦٦٣، مسند أحمد ٣: ١٧ و٥: ١٨١، مستدرك الحاكم ٣: ١٠٩، أُسد الغابة ٢: ١٢.

وغير ذلك من الادلة الواضحة والثابتة التي ليست هي بمحل بحثنا قدر ما اردنا التعرّض اليه من نفي هذهِ التهمة الباطلة عن الشيعة ومعتقداتها.

حقاً لقد تعرّض علماء الطائفة ومفكروها وعلىٰ امتداد قرون طويلة ـ لعلها تتصل بالقرن الثالث الهجري ـ الى مناقشة هذه التهمة وتفنيدها من خلال مباحثهم العقائدية والاصولية والفقهية، وأكّدوا في جميع هذهِ المباحث علىٰ بطلان ما ينسب الى الشيعة من القول بالتحريف بالشكل الذي يقول به أعداؤهم، وان عقيدة الشيعة ثابتة في ان الكتاب الموجود بين ايدي المسلمين هو عين ما انزل الله تعالىٰ اسمه علىٰ رسوله الكريم صلّى الله عليه وآله، لا زيادة فيه ولا نقصان، واما الاحاديث الموهمة بوقوع هذا التحريف فانها تخضع للمناقشة في أسانيدها ومضامينها، ولا عبرة بما يتأوّله البعض من سطحيي التفكير أو محدودي الثقافة من القطع بحدوث التحريف استناداً الى عروض تلك الروايات محل المناقشة.

نقول: علىٰ الرغم من سيل البحوث والمناقشات المترادفة والمتكررة، والتصريحات التي ما انكف يرددها علماء هذهِ الطائفة المظلومة من أنَّ اعتقاد الشيعة ثابت بعدم تحريف القرآن الكريم، إلّا إنّا مازلنا ـ وذلك مما يؤسف له ـ نسمع بين الآونة والاُخرىٰ أصواتاً تنبعثُ من خلال جملة من الاوراق الصفراء السقيمة فتدفعنا قهراً للرد عليها وتكرار ما تقدم قوله مراراً وتكراراً بدلاً من أن تنشغل أقلام المسلمين وأفكارهم في العمل الجاد والرصين من أجل رفد وبناء الاطروحات العلمية والفكرية الموجهة لركب الشعوب الاسلامية المظلومة التي ما انفكت تتعرض لشتىٰ المصائب والويلات من قبل الدوائر اليهودية والصليبية، والاركان الدائرة في فلكها، وتلك والله اُمّ الفواقر.

أقول: ان التحدث عن موقف علماء الشيعة ومفكريها من مسألة تحريف القرآن يتحدد من خلال الآراء والمبتنيات الفكرية والفقهية

الواضحة، والتي يمكن تلمسها من خلال المراجعة الفاحصة والمتأنية لجملة أُمّهات مراجع الشيعة ومصادرها، والتي سنحاول استعراض البعض منها بصورة متعجلة، تاركي مسألة الدراسة الواسعة والشاملة للقارئ الكريم، محيلينه الى جملة ما سنذكره من هذهِ المصادر.

إلّا إنا وقبل ان نشرع في التعرض لهذا المبحث المهم ينبغي لنا ان نوضّح مطلباً مهماً قد يكون الاغفال عن ادراكه مبعثاً إلى ترتب البعض من التصورات المتداخلة والمتضاربة في فهم المنحىٰ الاساسي الذي يرتكز عليه البحث، واقصد به التوضيح للمراد بمفهوم التحريف، لان هذا اللفظ تشترك فيه العديد من المعاني التي تشكل في بعضها نقطة الخلاف الاساسية، والتي تصور البعض انها تنسحب على باقي المعاني الأُخرىٰ، فحصل هنا الخلط الواضح، حيث وقع ذاك البعض في الاشتباه عندما قسر أحد تلك المعاني المطروحة لتطغى علىٰ الباقي، أو تعمد البعض الآخر علىٰ هذهِ المغالطة والتلاعب بالمعاني المختلفة فأوقع الآخرين ضمن هذهِ الدائرة المفرغة.

فلفظ التحريف ـ كما ذكرنا ـ يقع علىٰ عدة معانٍ مختلفة، بعضها واقع في القرآن، وعلىٰ ذلك اتفاق عموم المسلمين، ولا خلاف بينهم في ذلك، ويراد به: نقل الشيء عن موضعه وتحويله الى غيره، ويدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هادوُا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَواضِعِهِ﴾[1]. حيث تدل الآية الكريمة علىٰ أنّ من فسَّر القرآن علىٰ غير حقيقته، وصرفه عن المراد الحقيقي لمضمون آياته المباركة، كان محرّفاً للقرآن، والى ذلك تشير بوضوح الآية الكريمة.

وأمّا القول بوقوع التحريف من خلال الزيادة والنقيصة في الآية

---

(١) النساء ٤ : ٤٦.

والسورة مع التحفّظ علىٰ القرآن المنزَّل، والتسالم علىٰ قراءة النبي صلّى الله عليـه وآله اياها، فهذا الامر يتوضح من خلال ملاحظة جملة من الموارد المعينة.

فالبسملة ـ مثلاً ـ ممّا تسالم المسلمون علىٰ ان النبي صلّى الله عليـه وآله قرأها قبل كل سورة غير سورة التوبة، وقد وقع الخلاف في كونها من القرآن بين علماء السنّة، فاختار جمع منهم أنّها ليست من القرآن، بل ذهبت المالكية الى كراهة الاتيان بها قبل قراءة الفاتحة في الصلاة المفروضة، إلّا إذا نوىٰ بها المصلّي الخروج من الخلاف، وذهب جماعة أُخرىٰ الى أنّ البسملة من القرآن.

وأمّا الشيعة فهم متسالمون علىٰ جزئية البسملة من كل سورة غير سورة التوبة، واختار هذا القول جماعة من علماء السنّة. . . ، فالتحريف من خلال هذا الفهم والبعد واقع فعلاً.

وأمّا القول الآخر بالتحريف من خلال الذهاب الى وقوع الزيادة في القرآن، وتسرُّب كلام البشر اليه، فهذا ممّا اتفق جميع المسلمين علىٰ بطلانه ونفيه.

وأمّا التحريف بالنقيصة ـ بمعنىٰ أنّ المصحف الذي بأيدينا لا يشتمل علىٰ جميع القرآن الذي نزل من السماء، فقد ضاع بعضه على الناس ـ فانّ هذا القول ممّا اختلف القوم فيه، فأثبته البعض، ونفاه البعض الآخر[1].

والحق الثابت عند علماء الشيعة ومحققيهم هو القول بعدم تحريف القرآن قطعاً، ولا يلتفت الى الآراء الشاذة والضعيفة، وأمّا ما نجده من بعض الروايات المروية والدالة بظاهرها علىٰ وقوع التحريف، فإنها ظاهرة الدلالة على أن المراد بهذا التحريف هو المعنىٰ الآخر له من حمل الآيات علىٰ غير

---

(١) انظر: البيان في تفسير القرآن: ٢٠٠.

معانيها، والذي تعرضنا بالاشارة إليه سابقاً، والذي يدل عليه بوضوح قول الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام في رسالته الى سعد الخير:

«وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهّال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية»[1].

أو أنّ هذهِ الروايات تشير الى التحريف الواقع باختلافات القرّاء وإعمال اجتهاداتهم في القراءات، رغم اتفاقها علىٰ أنّ جوهر القرآن واصله لم يصله التحريف والتغيير.

أو أنها تشير الى التفسير المرافق للقرآن، والمنزّل من قبل الله تعالىٰ، لا بعنوان أنّه من أصل القرآن، لانّ من الواضح عدم لزوم كون جميع ما ينزل من قبل الله تعالىٰ أن يكون قرآناً، لأن منها ما يكون توضيحاً وتفسيراً للنبي الاكرم صلّى الله عليه وآله لبعض المبهمات، والمسائل الحساسة والدقيقة، كما روي من إخبار الله تعالىٰ رسوله الكريم صلّى الله عليه وآله بأسماء المنافقين الذي أشار إليهم القرآن إشارة اجمالية في أكثر من سورة، أو غير ذلك، فلعل تلك الروايات المشيرة الى الزيادة تحكي عما هو في مصحف علي عليه السلام، الذي ضمّنه صلّى الله عليه وآله جملة من التفسيرات الداخلة ضمن ما يعرف بالتأويل، أو ما يمكن القول بأنه من التنزيل الذي يفسّر ويوضح لجملة من الامور الهامة المتعلقة بالقرآن الكريم.

أو لعل المراد بها يندرج ضمن تأويلات أُخرىٰ لا تعني قطعاً وقوع التحريف في القرآن الكريم.

إذن فان هذهِ الروايات التي يوحي ظاهرها بوقوع التحريف لعلها تدخل ضمن هذهِ المداخل أو تهمل لضعف سندها، والقطع بعدم صدورها عن

---

(١) الوافي ٣: ٢٧٤.

المعصوم .

ولعل المطالعة المتأنية للآراء الواضحة لعلماء الطائفة تؤكد بشكل قطعي نفي الشيعة لوقوع التحريف في القرآن، وإيمانهم القطعي بذلك :

* قال السيد المرتضىٰ رحمه الله : المحكي أنّ القرآن كان علىٰ عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله مجموعاً مؤلّفاً علىٰ ما هو عليه الآن، فإنّ القرآن كان يحفظ، ويدرَّس جميعه في ذلك الزمان، حتىٰ عيّن علىٰ جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنّه كان يعرض علىٰ النبي صلّى الله عليه وآله، ويتلىٰ عليه، وإن جماعة من الصحابة مثل : عبدالله بن مسعود، وأُبي ابن كعب، وغيرهما ختموا القرآن علىٰ النبي صلّى الله عليه وآله عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنىٰ تأمّل على أنّه كان مجموعاً، مرتباً، غير منثور ولا مبثوت . . .[١] .

* وقال الشيخ الطوسي رحمه الله : إعلم إنّ القرآن معجزة عظيمة علىٰ صدق النبي صلّى الله عليه وآله، بل هو أكبر المعجزات وأشهرها، غير أنّ الكلام في إعجازه، واختلاف الناس فيه، لا يليق بهذا الكتاب لأنّه يتعلّق بالكلام في الاصول [إلى أن قال] وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه، فممّا لا يليق به أيضاً، لانّ الزيادة مجمع علىٰ بطلانها . والنقصان منه، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الاليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضىٰ رحمه الله، وهو الظاهر في الروايات[٢] .

* وقال الشيخ الصدوق رحمه الله : اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالىٰ علىٰ نبيه محمد صلّى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة

(١) بحر الفوائد في شرح الفرائد : ٩٩ .

(٢) التبيان في تفسير القرآن ١ : ٣ .

سورة. . . ومن نسب إلينا أنّا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب[١].

* وقال الشيخ المفيد رحمه الله: وأمّا الوجه المجوّز فهو أن يزاد فيه الكلمة والكلمتان، والحرف والحرفان، وما اشبه ذلك، ممّا لا يبلغ حد الاعجاز، ويكون ملتبساً عند أكثر الفصحاء بكلم، غير أنّه لابدّ متىٰ وقع ذلك من أن يدل الله عليه، ويوضح لعباده عن الحق فيه، ولست اقطع علىٰ كون ذلك، بل أميل الى عدمه، وسلامة القرآن عنه[٢].

* وقال السيد محسن الاميني العاملي رحمه الله: لا يقول أحد من الامامية ـ لا قديماً ولا حديثاً ـ أنَّ القرآن مزيد فيه، قليل أو كثير، فضلاً عن كلهم، بل كلهم متفقون علىٰ عدم الزيادة، ومن يعتد بقوله من ومحققيهم متفقون على أنّه لم ينقص منه[٣].

* وقال السيد عبدالحسين شرف الدين رحمه الله: والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو ما في أيدي الناس، لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة، ولا لحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر في كلِّ جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي والنبوة، وكان مجموعاً علىٰ ذلك العهد الأقدس، مؤلّفاً علىٰ ما هو عليه الآن، وكان جبرئيل عليه السلام يعارض رسول الله صلّى الله عليه وآله بالقرآن في كل عام مرّة، وقد عارضه به عام وفاته مرتين[٤].

* وأمّا رده رحمه الله على ما ينسبه البعض الى الشيعة من القول بتحريف القرآن، فمنه: نعوذ بالله من هذا القول، ونبرأ إلى الله تعالىٰ من هذا الجهل، وكلّ من نسب هذا الرأي إلينا جاهل بمذهبنا، أو مفترٍ علينا، فإن

---

(١) الاعتقاد: ٦٣.

(٢) أوائل المقالات: ٩٥.

(٣) أعيان الشيعة ١: ٤٣.

(٤) الفصول المهمة في تأليف الأُمّة ١٦٣.

القرآن العظيم، والذكر الحكيم، متواتر من طرقنا بجميع آياته، وكلماته، وسائر حروفه، وحركاته، وسكناته، تواتراً قطعياً عن أئمة الهدىٰ من أهل البيت عليهم السلام، لا يرتاب في ذلك إلّا معتوه.

وأئمة البيت عليهم السلام كلهم أجمعون رفعوه إلى جدهم رسول الله صلّى الله عليه وآله عن الله تعالىٰ، وهذا أيضاً ممّا لا ريب فيه، وظواهر القرآن الحكيم ـ فضلاً عن نصوصه ـ أبلغ حجج الله تعالىٰ، وأقوىٰ أدلّة أهل الحق بحكم الضرورة الاوّلية من مذهب الإمامية، وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة، وبذلك تراهم يضربون بظواهر الصحاح المخالفة للقرآن عرض الجدار، ولا يأبهون بها عملاً بأوامر أئمتهم عليهم السلام [١].

* وأمّا الشيخ كاشف الغطاء رحمه الله فقد قال: لا زيادة فيه من سورة، ولا آية من بسملة وغيرها، لا كلمة ولا حرف، وجميع ما بين الدفتين ممّا يتلىٰ كلام الله تعالىٰ، بالضرورة من المذهب، بل الدين وإجماع المسلمين واخبار النبي صلّى الله عليه وآله والائمة الطاهرين عليهم السلام، وإن خالف بعض من لا يعتد به [٢].

* وقال العلاّمة الحلي رحمه الله في جوابه عن سؤال السيد المهنا: ما يقول سيدنا في الكتاب العزيز، هل يصح عند أصحابنا أنّه نقص منه شيء، أو زيد فيه، أو غُيِّر ترتيبه، أم لم يصح عندهم شيء من ذلك...؟

حيث قال رحمه الله تعالىٰ: الحق أنّه لا تبديل، ولا تأخير، ولا تقديم فيه، وأنّه لم يزد ولم ينقص، ونعوذ بالله تعالىٰ من أن يُعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنّه يوجب التطرّق الى معجزة الرسول عليه السلام المنقولة

---

(١) أجوبة مسائل جار الله: ٣٣.

(٢) كشف الغطاء: ٢٩٨.

بالتواتر[١].

* وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمه الله: وإنّ الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله تعالىٰ إليه صلّى الله عليه وآله للاعجاز والتحدي، ولتعلّم الاحكام، وتمييز الحلال من الحرام، وأنّه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلىٰ هذا إجماعهم، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ يرده نص الكتاب العظيم: **﴿إِنّا نَحنُ نَزَّلنا الذِّكرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾**[٢].

والاخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة، وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، فإمّا أن تأوّل بنحو من الاعتبار، أو يضرب بها الجدار[٣].

* وقال الفيض الكاشاني رحمه الله بعد إيراده ومناقشته لجملة من روايات التحريف: فما دل علىٰ وقوع التحريف مخالف لكتاب الله وتكذيب له، فيجب رده والحكم بفساده، أو تأويله[٤].

* وقال المحقق التبريزي رحمه الله: القول بالتحريف هو مذهب الاخباريين والحشوية، خلافاً لاصحاب الأُصول الذين رفضوا احتمال التحريف في القرآن رفضاً قاطعاً، للوجوه التالية:

أولاً: إجماع الطائفة...

ثانياً: صراحة القرآن بعدم إمكان التغيير فيه...

---

(١) أجوبة المسائل المهناوية: ١٢١ (المسألة ١٣).

(٢) الحجر ١٥: ٩.

(٣) أصل الشيعة وأصولها: ٦٣ ـ ٦٤.

(٤) تفسير الصافي ١: ٣٤.

ثالثاً: دليل العقل. . .[١].

* وقال السيّد الخوئي رحمه الله: المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، وأنّ الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزّل علىٰ النبي الاعظم صلّى الله عليه وآله، وقد صرح بذلك كثير من الاعلام، منهم رئيس المحدثين الصدوق، وقد عد القول بعدم التحريف من معتقدات الامامية. . . الى آخر ما ذكر في مبحثه المهم الخاص بمناقشة مسألة القول بتحريف القرآن الكريم، حيث استفاض ودلّل وأوضح بشكل جلي عقيدة الشيعة بعدم القول بالتحريف، فراجع[٢].

وغير ذلك ممّا لا يتسع المجال لاستعراضه لتوخينا الاختصار قدر الامكان، ولمن شاء الاستزادة في ذلك فليراجع المصادر التي أشرنا إليها في طيّات الصفحات اللاحقة وغيرها[٣].

ثم بعد استعراضنا هذا لعقيدة الشيعة بعدم تحريف القرآن الكريم، وتأويلهم أو دفعهم للروايات أو الاخبار الموحية بوقوع التحريف، هل يبقىٰ شك في بطلان ادعاء صاحب التصحيح بنسبة القول بالتحريف إلى الشيعة دون حجة أو برهان، أو تمسّكه ببعض الاخبار والآراء المردودة التي لا تعبّر بالضرورة عن رأي الشيعة قدر ما تعكس اجتهادات فردية خاصة تعرّضت للرد والتفنيد مثلاً، أو التأويل علىٰ وجوه اُخرىٰ محتملة.

وإذا كان الامر مجرد اجترار سقيم لاحاديث غابرة طفحت في أيام

---

(١) أوثق الوسائل بشرح الرسائل: ٩١.

(٢) المبحث يقع في كتابه الموسوم بالبيان في تفسير القرآن باسم صيانة القرآن من التحريف: ١٩٥ ـ ٢٣٥.

(٣) أمثال: صيانة القرآن من التحريف للشيخ محمد هادي معرفة، وكتاب البرهان على عدم تحريف القرآن للسيد مرتضىٰ الرضوي، وكتاب التحقيق في نفي التحريف للسيد علي الميلاني.

إذكاء الفتن والخلافات الطائفية، والتي أخذت من هذا الدين العظيم مأخذاً كبيراً، فإنّ الأجدر بالمسلمين المثقفين ان يتوعوا إلى خطورة المزلق الذي يريد صاحب التصحيح ومن يقف خلفه دفعهم إليه بألف صورة وألف عنوان جميعهـا مصداق حقيقي لواقع مشبوه لا يريد للمسلمين ان يتحدوا ولا أن يتوافقوا، معرضين عن قوله جلّ اسمه:

﴿وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفرَّقُوا وَاذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عَلَيكُم اِذ كُنتُم اَعداءً فَاَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَاَصبَحتُم بِنعمَتِهِ اِخواناً وكُنتُم عَلى شَفا حُفرَةٍ مِنَ النَّـارِ فَاَنقَذَكُم مِنها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم آياتِهِ لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ * وَلتَكُن مِنكُم اُمَّةٌ يَدعُونَ اِلى الخَيرِ وَيَأمُرُونَ بالمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَاُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختَلَفُوا مِن بَعدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّناتُ وَاُولئِكَ لَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

بلىٰ إنّ هذا الأمـر الـذي كنّا ومازلـنا ندعو إليه في أكثر من مناسبة ومكان، ولسنين ودهور طوال، متذرعين بالصبر، ومتسلحين بالتسامح، إلّا أنّ البعض يدفعنا قهراً لأن تكون أحياناً في موقف المدافع والراد عن نفسه كيل الاتهامات الباطلة والكاذبة، فإلىٰ الله المشتكىٰ.

نعم إنَّ صاحب التصحيح وأمثاله ـ من الذين تدفعهم إلى مواقفهم هذهِ نوايا واغراض لا تخفىٰ علىٰ أحد ـ كانوا ولا زالوا يتخبطون دون وعي ولا ادراك في مخاضات مهلكة وقاتلة، ويتركون من ورائهم آثاراً سيئة الذكر، عظيمـة الـوزر في الدنيا والآخرة، وحيث لا تنفعهم هناك معذرتهم شيئاً، والمعاد حيث تنصب الموازين القسط.

وأقول للمنصفين: لماذا هذا الاصرار علىٰ نبز الشيعة ـ دون غيرهم ـ بكل فرية أو كلّ شبهة، رغم أنّ الجميع يدركون بوضوح أنّ كتب القوم طافحة

---

(١) آل عمران ٣: ١٠٣ ـ ١٠٥.

بالكثير من الاقوال والاخبار المصرّحة بوقوع التحريف في القرآن، والمراجعة المتعجلة للكثير من المصادر و المراجع المختلفة تبيّن صدق ما قلناه:

* ذكر السيوطي: أنّ ابن عبدالبر أخرج في التمهيد من طريق عدي ابن عدي بن عمرة بن قزوة: أنّ عمر بن الخطاب قال لأُبي: أوَ ليس كنّا نقرأ فيما تقرأ من كتاب الله: أنّ انتفاءكم من آباءكم كفر بكم؟ قال: بلىٰ[1].

* ورووا عن ابن جريج قال: اخبرني ابن أبي حميد، عن حميدة بنت أبي يونس أنّها قالت: قرأ عليّ أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة:

إنّ الله وملائكته يصلّون علىٰ النبي يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً وعلى الذين يصلّون الصفوف الأول.

قالت: قبل ان يغيّر عثمان المصاحف[2].

* وعن نافع: أن ابن عمر قال: ليقولنّ أحدكم قد أخذت القرآن كلّه، وما يدريه ما كلّه؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر[3].

* وأخرج الطبراني عن عمر مرفوعاً: القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف[4].

أيّ أنّه أكثر بمرتين عمّا في القرآن الذي بأيدينا.

* وعن أبي ادريس الخولاني قوله: كان أُبي يقرأ: إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية، ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام، فأنزل الله سكينته علىٰ رسوله.

فبلغ ذلك عمر فاشتدّ عليه فبعث إليه، فدخل عليه، فدعا ناساً من

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١: ١٠٦.
(٢) الاتقان في علوم القرآن ٢: ٢٥، روح المعاني ١: ٢٥.
(٣) الاتقان في علوم القرآن ٣: ٢٥، روح المعاني ٢: ٢٩٨.
(٤) انظر: الاتقان في علوم القرآن ٢: ٧٠.

أصحابه فيهم زيد بن ثابت فقال: من يقرأ منكم سورة الفتح؟

فقرأ زيد علىٰ قراءتنا اليوم، فغلظ له عمر.

فقال أُبي: لأتكلم.

قال عمر: تكلم.

قال: لقد علمت أني كنت أدخل علىٰ النبي صلّى الله عليه وآله، وتقرّبني وأنت بالباب، فإن احببت ان أُقرئ الناس علىٰ ما أقرأني أقرأت، وإلّا لم أُقرئ حرفاً ما حييت[1].

* وعن المسوّر بن مخرمة قال: قال عمر لعبدالرحمن بن عوف: ألم تجد فيما أُنزل علينا: أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرّة؟ فإنّا لم نجدها. قال: أُسقط فيما أُسقط من القرآن[2].

* ورووا أنّ عمر بن الخطاب مر بغلام وهو يقرأ في المصحف: النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أُمهاتهم، وهو أب لهم.

فقال عمر: يا غلام حكّها.

قال: هذا مصحف أُبي.

فذهب عمر إلى أُبي فسأله عن ذلك فقال: إنّه كان يلهيني القرآن، ويلهيك الصفق بالاسواق[3].

* وأخرج ابن أبي شيبة: عن عبدالله بن رافع، عن أمّ سلمة: أنّها استكتبت مصحفاً فلما بلغت ﴿**حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ**﴾ قالت: اكتب العصر[4].

وغير ذلك كثير لانود التعرض لا يراده لانّا ننفي هذهِ التهمة الباطلة من

---

(١) كنز العمال ٢: ٥٦٨/٤٧٤٥.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١: ١٠٦ و٢: ٢٩٨، الاتقان في علوم القرآن ٢: ٢٥.

(٣) كنز العمال ٢: ٥٦٩/٤٧٤٦، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٢: ٤٣.

(٤) مصنّف ابن أبي شيبة ٢: ٥٠٤.

جميع المسلمين الغيارىٰ علىٰ دينهم الحنيف، قدر ما أردناه من التذكير بأنّ البحث في مطاوي الكتب الوفيرة ليس بعسر علىٰ أي باحث، وتصيّد الاخبار المتعارضة، والمشوشة الظاهر ليس بشاق، إلّا أن العبرة بالعقيدة التي تنادي بها كل طائفة من طوائف المسلمين، وعلىٰ ذلك تُسئل، فكف عن غلوائك ياصاحب التصحيح، واستغفر الله ممّا جنته يداك في كتابك السيء الذكر. . . غفر الله لمن خدعه بريق كلماتك وتزوّق عباراتك. . .

الجمع بين الصلاتين

التصحيح (ص١٣٨): تنفرد الشيعة الإمامية بالجمع بين صلاة الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء في الحضر . . . إلخ .

تصحيح التصحيح:

مسألة الجمع بين الصلاتين ـ الظهر والعصر، والمغرب والعشاء ـ لا يمكن الخوض في غمارها إلّا من خلال التعرف على مسألة وقضية هذا الجمع، وإلى أفراده أيضاً .

حقاً أنّ الشيعة الإمامية تنفرد تطبيقياً وعملياً في مسألة الجمع بين هذين الفرضين، والذهاب إلى جوازه مطلقاً، من دون اشتراطه بوجود المطر أو المرض أو الخوف أو السفر، إلّا أنّ لديها في ذلك الكثير من الادلة والشواهد الشرعية الثابتة التي ينبغي لمن أراد التشكيك بشرعيتها العودة إلى دراسة هذه الشواهد المذكورة في كتبنا وكتب القوم، بل وفي كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعند ذلك ينفسح المجال لمن أراد النقاش والمحاجة، أمّا إلقاء الكلام على عواهنه، ودون مراجعة أو بحث، فهذا ممّا لا يرتضيه العقلاء ولا المحققون .

نعم لقد اتفق المسلمون ـ بفرقهم المتعددة المعروفة ـ علىٰ جواز

الجمع بين الظهر والعصر في عرفة أيام الحج ، واسموه بالجمع التقديمي ، وكـذا هو الحـال في المزدلفة حيث يجمع بين المغرب والعشاء بما اسموه بالجمع التأخيري .

وأمّا في السفر فقد ذهبت أكثر الفرق الإسلامية إلى جواز الجمع بين الفريضتين، إلّا الحنفية فقد خالفوهم في ذلك ولم يجوّزوه .

وأمّا في العذر الطارئ كالخوف والمرض وغيرهما فهم في خلاف حول جواز الجمع عند حدوث ذلك، فراجع .

ثمّ فإنّ ذهاب الشيعة إلى جواز الجمع بين الفرضين ـ كما ذكرنا آنفاً ـ في هذهِ الاعذار أو غيرها تعضده الأدلة الواضحة والكثيرة، منها :

قوله تعالىٰ : ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمسِ إلىٰ غَسَقِ اللَّيلِ وَقُرآنَ الفَجرِ إنَّ قُرآنَ الفَجرِ كانَ مَشهُوداً**﴾[١] .

حيث توضح الآية الكريمة المبـاركة أنّ لكل فريضتين وقت مشترك بينهما، يبتدأ لفرضي الظهر والعصر من زوال الشمس إلى المغرب، ولفرضي المغرب والعشاء من غروب الشمس إلى منتصف الليل ، عدا صلاة الصبح فإنّها تنفرد بوقتها من طلوع الفجر الصادق إلى شروق الشمس .

أخرج أبوبكر أحمد بن عبدالله الكندي في موسوعته الفقهية عن النبي صلّى الله عليـه وآله قوله في تفسير الآية المباركة السابقة :

﴿**دلوك الشمس**﴾ : زوالها، يعني صلاة الظهر والعصر.

و﴿**غسق الليل**﴾ : يعني ظلمة الليل، أي صلاة المغرب والعشاء .

و﴿**قـرآن الفجـر**﴾ : يعني صلاة الغـداة، وهي صلاة الصبح .

وقال: الجمع في الحضر كالإفراد في السفر[٢] .

---

(١) الاسراء ١٧ : ٧٨ .

(٢) المصنّف ٥ : ٣٢٥ .

هذا، والسنّة النبوية خير شاهد علىٰ صحة ما ذهبنا إليه.

فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس قوله: صلّى النبي صلّى الله عليه وآله: سبعاً جميعاً، وثمانية جميعاً[١].

وكذا فقد أخرج أيضاً بسنده عن أبي أُمامة قوله: صلينا مع عمر بن العزيز الظهر، ثم خرجنا حتىٰ دخلنا علىٰ أنس بن مالك فوجدناه يصلّي العصر، فقلت: يا عم، ما هذهِ الصلاة التي صلّيت؟

قال: العصر، وهذهِ صلاة رسول الله صلّى الله عليه وآله التي كنّا نصلي معه[٢].

وأمّا مسلم فقد أخرج في صحيحه عن ابن عبّاس أنّه قال: صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، في غير خوف ولا سفر[٣].

وأخرج أيضاً[٤] بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله: جمع رسول الله صلّى الله عليه وآله بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر.

قال سعيد: قلت لابن عبّاس: لِمَ فعل ذلك؟.

قال: كي لا يحرج أُمَّته[٥].

---

(١) صحيح البخاري ١: ١٤٧ (باب وقت المغرب).

(٢) صحيح البخارى ١: ١٤٤ (باب وقت العصر).

(٣) صحيح مسلم ١: ٧٠٥/٤٨٩ (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر).

(٤) صحيح مسلم ١: ٥١/٤٩٠ (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر).

(٥) حقاً إنّ في الجمع بين الفريضتين من التخفيف والتسهيل والرحمة لهذهِ الأُمّة، ما لا يدركه إلّا من وفّق إليه، لرفع الحرج عنها في أداء فرض الله تعالىٰ، وعدم حدوث الاختلال في مسيرة عباداتهم وأعمالهم، حيث نرىٰ أنّ الكثير من الرجال والشباب كثيراً ما يعانون من قضية فوات وقت صلاة كل فريضة فيضطرون مثلاً إلى الجمع بينها في الليل حيث يكون قد

وأمّا أحمد بن حنبل فقد أخرج في مسنده عن ابن عبّاس أيضاً أنّه قال: صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله في المدينة مقيماً غير مسافر سبعاً وثمانياً[١].

وكذا مالك في موطئه حيث اخرج عن ابن عبّاس قوله: صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، في غير خوف ولا سفر[٢].

وغير ذلك من الأخبار والروايات الصحاح الموجودة في كتب القوم، ناهيك بتواتر ذلك عندنا عن أهل البيت عليهم السلام، وهم ورثة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وحملة علمه، وأُمناء الرسالة، وعدول القرآن الذين أمر صلّى الله عليه وآله أُمّته باتباعهم من بعده.

أللهم اهدنا بهدىٰ نبيك محمد صلّى الله عليه وآله، وأهل بيته الطيبين الأطهار.

← فاتهم فضل أدائها في وقتها، حين يكون الجمع بين الفريضتين هو العلاج السليم، والرحمة الالهية لرفع أعباء هذه المشقة عن كاهل الامّة، وإن كان هذا لا يعني وجوب الجمع، بل هو مباح يلجأ إليه من يشاء، ويفصل بين الفرضين من شاء.

(١) مسند أحمد ١: ٢٢١.

(٢) موطأ مالك ١: ١٤٤ / ٤ (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر).

الرجعة

التصحيح : (ص١٤١) : تعني الرجعة في المذهب الشيعي ان ائمة الشيعة مبتدءاً بالامام علي ومنتهياً بالحسن العسكري الذي هو الامام الحادي عشر عند الشيعة الامامية سيرجعون الى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي أرسى قواعده بالعدل والقسط الامام المهدي . . . ـ الى ان يقول ـ والذي كتبوا في الرجعة من أعلام الشيعة فسروا الآية الكريمة ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون**﴾ . . الخ .

تصحيح التصحيح :

الدقة في الحديث هي المحور العلمي الذي ينبغي ان تدور على رحاه المحاورات العلمية والجدال المنطقي ، لا سيما اذا كان ذلك الامر يدور حول عقائد وافكار طائفة اسلامية كبيرة لها الثقل الكبير في المجتمع الاسلامي والعالمي ، وليست افكارها وعقائدها بألغاز خافية على احد ، طالما ان مؤلفيها ومفكريها لم يألوا جهداً في ايضاح عقائدهم ومبانيها في اكثر من مناسبة ومكان ، بل ولا تشكل مسألة ادراك هذه الحقائق اي مشقة

وجهد، فهذه مكتبات الشيعة وكتب علمائها ومفكريها بمتناول الجميع وامام انظارهم، وليست هي في اقبية سرية تحت الأَرض، لياتي في آخر الزمان من يصور للناس ما يريد وبالشكل الذي يريد، ويتحدث عن معتقداتهم وكانه بذلك خبير متمرس في حين يحكم عليه ابسط الطلبة والدارسين الشيعة بانه يخبط خبط عشواء ويزيِّف الكثير من الحقائق والبديهيات.

بلى فماذا يعني الآن الحديث عن الرجعة، وطرحها بهذا الشكل، وتصويرها بهذه الصورة التي يراد منها خلط الحقائق أمام ناظري القارئ البسيط الذي قد لا يرجع لاستقصاء مدىٰ صحة ما يقوله من خلال العودة الى كتب الشيعة ومؤلفاتهم لادراك حقيقة ما يقولونه حول هذه المسألة وغيرها من المسائل الحساسة والحيوية الاخرى التي تلصق فقط بالشيعة وكأن لا وجود لها عند باقي المذاهب الاسلامية باشكال ومسارب مختلفة المسميات والعناوين.

نعم، وسنتعرض لذلك بعد، إلّا إنّا نريد ان نقول أولاً ان مسألة الرجعة وعدم الايمان بها عند الشيعة لا تشكل خروجاً من التشيع ولا عن الدين، فمن شاء فليؤمن من خلال دراسة للأدلة النقلية والعقلية لها، ومن شاء فلا يؤمن، فلا تناف ان تجد من الشيعة من لا يؤمن اصلاً بها ولا يسلّم بحقيقها، ومنهم من يؤمن بها ايماناً ثابتاً ولازماً.

كما ان الرجعة بالشكل الذي رسمه صاحب التصحيح غير متفق عليه عند الشيعة، بل أنّ هناك الكثير من فقهاء الشيعة وعلمائهم يقولون بانّ الرجعة إذا تمت أدلتها فهي رجعة دولة الحق بظهور الامام المهدي عليه السلام، فيقام بظهوره نظام العدل الالهي، وهو نظام رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة المعصومين عليهم السلام، ومن لاقوا في سبيل إقامته المصاعب والشدائد والمشاق العظيمة،

وقدموا ارواحهم قرابين في سبيل إقامته وتأسيسه، فالناس حينئذٍ جميعاً شرّع يعترفون بحقهم وأولويتهم، وان الحق كأنَّ لهم، فيوالونهم ويتبرءون من اعدائهم، والآية تفسر بهذا المعنى لا اكثر.

واما من يذهب الى وقوع الرجعة بالشكل الذي ذكره صاحب التصحيح فانّهم يستدلون بجملة واسعة من الادلة العقلية والنقلية، مع اشارتهم لجملة مشابهة لحالة ما يذهبون اليه هي موجودة في مؤلفات القوم وكتبهم، وان صبغت بالوان مختلفة أُخرى، إلّا انّها في جوهرها تؤكد امكانية وقوع ما يذهبون اليه حول شكل قضية الرجعة قبل يوم القيامة.

أليس القرآن الكريم هو الذي حدثنا بصريح العبارة والخبر عن رجوع اقوام معروفين ومشخصين باعيانهم رغم ما عرف وثبت من موتهم وخروجهم من الحياة الى عالم الموتى... لنقرأ ونتأمل:

قال جل اسمه في سورة البقرة: **﴿وَإذْ قُلتُم يا مُوسى لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حَتّى نَرى الله جَهرَةً فَأخَذَتكُمُ الصّاعِقَةُ وَأنتُم تَنظُرونَ * ثُمَّ بَعَثناكُم مِنْ بِعدِ مُوتِكُم لَعَلّكُم تَشكُرُونَ﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿وَإذْ قَتَلتُم نَفساً فادارأتُم فيها وَاللهُ مُخرِجٌ مَا كُنتُم تَكْتُمونُ * فَقُلنا اضرِبُوهُ بِبَعضِها كَذلِكَ يُحيي اللهُ الموتى وَيُريكُم آياتِهِ لَعَلّكُم تَعقِلونَ﴾**[2].

وقال تبارك وتعالى: **﴿أَلَم تَرَ الى الّذينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِم وَهُم اُلُوفٌ حَذَرَ الموتِ فَقالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحياهُم إنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلى النّاسِ وَلَكِنَّ أكثَرَ النّاسِ لا يَشكُرُونَ﴾**[3].

---

(١) البقرة ٢: ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) البقرة ٢: ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) البقرة ٢: ٢٤٣.

وقال تعالى في نفس السورة المباركة: ﴿أو كالّـذي مَـرَّ عَلى قَريةٍ وَهيَ خاويةٌ عَلى عُرُوشِها قَالَ أنّى يحيى هذِهِ اللهُ بَعدَ مَوبِها فَأماتَهُ اللهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبْثَ قَالَ لَبِثتُ يوماً أو بَعضَ يَومٍ قَالَ بَلْ لَبثتَ مِائةَ عامٍ فَانظـر الى طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَم يتَسَنَّه وَانظُر الى حِمارِكَ وَلِنجعَلَكَ آيَةً لِلّناسِ وَانظُر الى العِظامِ كَـيفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكسوها لَحماً فَلَمّا تَبينَ لَهُ قَالَ أعلَـمُ أَنَّ اللهَ على كُلِّ شَيء قَدِيرٌ﴾[1].

وغير ذلك من الآيات القرآنية المباركة التي اشارت بوضوح الى موت جماعة من الناس ثم عودتهم بعد ذلك الى الحياة، وممارستهم فيها الادوار المنوطة بهم ضمن المجتمعات التي يعيشون فيها.

اذن، فانّ هذه الآيات الكريمة تنفي استحالة عودة بعض الناس من عالم الموتى الى عالم الاحياء، وكل شيء بقدرة الله يكون وقوعه امراً مسلماً.

كما أنَّ اصحاب هذا الرأي يستدلون في امكانية الرجعة بالشكل الذي يذهبون اليه بقوله تعالى:

﴿وَإذا وَقَـعَ القَولُ عَلَيهم أخرَجْنا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الأَرضِ تُكَلِّمَهُمْ أَنَّ النّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنونَ * وَيَومَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوجَاً مِمَّنْ يُكَذِّب بِآيِاتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[2].

حيث ان الآية الأُولى تشير الى جملة وقائع تجري قبل يوم القيامة، والى ذلك ذهب المفسرون، وبها ترتبط الآية الثانية المشيرة الى حشر فوج من الناس المؤلفين للجماعات البشرية المختلفة، وهي تأكيد لحدوث قضية الـرجعة، حيث أنَّ المعلوم لدى الجميع ان الحشر يوم القيامة يكون عاماً

---

(١) البقرة ٢: ٢٥٩.

(٢) النحل ٢٧: ٨٢ ـ ٨٣.

وشاملاً، والى ذلك يشير بوضوح قوله تعالى:

﴿وَيومَ نُسَيِّرُ الجِبالَ وَترى الأَرضَ بارِزَةً وَحَشرناهُمْ فَلَمْ نغادِرْ مِنهُمْ أَحَداً﴾[١].

نعم إنَّ قوله تعالى صريح وواضح في أنَّ حشر يوم القيامة لا يختص بقوم دون آخرين، ولا بجماعة دون أُخرى، بل الجميع دون استثناء ﴿وَحَشَرناهُم فَلَم نُغادِرْ مِنهُم أَحداً﴾.

نعم طالما حصل الاستثناء فانّ ذلك لا يعني حتما يوم القيامة، وهو ما يعني عودة هذه الجماعات للحياة قبل يوم القيامة الذي سينهي الحياة برمتها على وجه الارض.

ويبدوا ان مسألة الرجعة تشكّل ظاهرة خفية في نفوس الجميع تتعلق بها للوصول الى تطبيق العدالة السماوية في الارض قبل يوم المحشر، وقيام الناس للحساب الاكبر، ولينال المجرمون جزاء ما اقترفته ايديهم من الظلم والفساد، ومحاربة اولياء الله وعبادة المخلصين، وتشكل ايضاً انتصار لأولياء الله الصالحين في الارض بعد ان ذاقوا الويل والعذاب لدهور طويلة من قبل اولئك المتسلطين والمتجبرين، وإلّا فما يعني قول عمر بن الخطاب ـ ان كان صادقاً ـ عندما أُخبر وادرك عياناً بوفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنَّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنَّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] توفي، إنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] والله ما مات، ولكنّه ذهب الى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات، والله ليرجعنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] كما رجع موسى، فليقطعن ايدي رجال وارجلهم زعموا أنَّ رسول الله مات[٢].

---

(١) الكهف ١٨ : ٤٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤ : ٣٠٥.

أنا حقاً لا اُوافق الذين ذهبوا الى ظاهر المراد من هذا الحديث، وهو ليس محل بحثنا الآن، إلاّ اني اُريد ان أسال الذاهبين الى ذلك: ماذا يعني هذا القول ـ الذي تذهبون الى صحة ظاهره ـ وما المراد فيه؟ هل يفهم منه إلاّ أنّ هناك موتاً لا رجعة فيه، وآخر فيه رجعة لأمر يريده الباري جلّ اسمه، وهو ما يسمى بالرجعة.

ولعله ـ واستناداً الى ذلك ـ انّ الجماعات الموعودة بالعودة مرة اُخرى الى عالم الحياة يتمتعون بمواصفات وشروط خاصة بهم، وادوار كبرى مناطة بهم، وذلك أمر طبيعي، لان في ذلك خروج عن الظاهر المعروف، وهذا الخرق لا يكون إلاّ لامر عظيم وكبير، والى ذلك يشير بوضوح رأي الذاهبين الى حصول هذا الامر.

نعم فإنّ المراجعة البسيطة للاقوال في هذا الصدد تشير الى ان اولئك الذين حكم عليهم بالعودة مرة اُخرى هم لفيف متميز من المؤمنين والظالمين، أو كما ذكر ذلك الشيخ المفيد رحمه الله: انّما يرجع الى الدنيا عند قيام القائم من محض الايمان محضاً أو محض الكفر محضاً، وأما ما سوى هذين فلا رجوع لهم الى يوم المآب[1].

* * *

(١) تصحيح الاعتقاد: ٤٠.

البـــداء

تصحيح التصـحيـح : (ص١٤٦): فكـره البداء تناقض مع قول الله ﴿**وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلاّ كنّا عليكم شهـوداً إذ تفيضـون فيه وما يعزب عن ربِّك مثقال ذرة في الارض ولا في السمـاء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر إلاّ في كتاب مبين**﴾ يونس ٦١ .

تـصحيـح التصـحيـح :

يبدو ان صاحب التصحيح في عباراته هذه اكثر خلطاً وتزييفاً لحقائق الأمور، وأبعد من الوصول الى لب الحقيقة الواضحة التي ما انفك علماء الشيعة ومفكريها تكرارها لمرات ومرات في أحاديثهم وكتبهم ومجالس درسهم .

وليت شعـري ألم يسمع ويقرأ هذا الرجل ـ الذين ينسب الى نفسه الاجتهاد والعلم ـ مـاذا يقول الشيعة عن البداء، وما هو المعنى الحقيقي له، وما هي الردود التي تكرر قولها في اكثر من مناسبة ومكان، أم انه كحاله يجتر ما سبق لاعداء التشيّع نبز الشيعة به دون أي وجه أو دليل يُركن اليه أو يُطمئن الى صحته؟

أنا أجزم قطعاً انّه يقع في الخانة الثانية عند التصنيف لأنّه يدرك بوضوح

بطلان ما ذهب اليه وسقامته .

بلى فانّا لو سألنا ابسط طالب من طلبة العلوم الدينية في الحوزات العلمية الشيعية المنتشرة في أنحاء العالم لبيّن بوضوح : أنّ البداء لله تعالى غير البداء للناس، كما أنّ علم الله تبارك وتعالى عين ذاته لا يقبل التغيير، كذلك البداء لله تعالى .

فالبداء لله تعالى ـ كما تقول به الشيعة ويوافقها في ذلك الجميع إذا فهموا ـ مرادها من ذلك هو: الإظهـار ـ من قبله تعالى لا له ـ بعد الإخفاء لمصالح يعلمها هو جلّ اسمه ولا يعلمها البشر، وليس هو كما يصوّره البعض من أنّه الظهور بعد الخفاء والعلم بعد الجهل، جلّ من ذلك وعلا علواً كبيراً، وحاشا للشيعة ان ينسب إليها ذلك البهتان العظيم .

ان الشيعة تقول ـ كما تقول بذلك جميع فرق المسلمين ـ انّه سبحانه وتعالى عالم بجميع الحوادث ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وانّه جلّ اسمه لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض مهما خفي او تضاءل ، وصغـر ودق، واليك كتبهم ومؤلفاتهم، واقوال أئمتهم وعلمائهم ظاهرة متيسرة فاقرأ بها تجد عين ما ذكرناه، وحقيقة ما اوضحناه، اذا طلبت الدقة في فهم الخبر لا الخلط في ظواهر بعض الاخبار التي لا تعد على اصابع اليد .

نعم إنّ كل أخبارنا ورواياتنا المروية من طرقنا الصحيحة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام تقرّ وتوضح ان علمه تعالى لا يشوبه أي جهل وانه يستحيل عليه أبداً الظهور بعد الخفاء، أو العلم بعد الجهل، واما ما تقوّله الآخرون من خلاف ذلك فلا يعدو كونه كذباً وافتراءً، وبهتاناً وزوراً نسب ظلماً الينا، جهلاً أو عمداً، غفلة أو اصراراً، ولكنه ظلم كبير وقع على طائفة كبيرة من طوائف وفرق المسلمين، لا يغتفر ولا يغضى الطرف عنه .

لنقرأ أولاً ما اثبته الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله تعـالى ما ذكـره عن رأي الشيعـة في البـداء، وهو من أكابر علماء الشيعة الإمـامية، لينـظر القـارئ الكـريم بأُم عينيه حقيقة الأمر الذي تذهب اليه الشيعة، لا ما يكذبه عليها الآخرون، ومنهم صاحب التصحيح.

قال رحمه الله في كتابه الشهير «أصل الشيعة وأُصولها»: وممّا يشنّع به الناس على الشيعة[1]. . . قولهم بالبداء تخيلاً من المشنعين أنّ البداء الذي تقول به الشيعة هو عبارة عن ان يظهر ويبدو لله عزّ شأنه أمراً لم يكن عالماً به، وهل هذا إلاّ الجهل الشنيع والكفر الفضيع، لاستلزامه الجهل على الله تعالى وأنّه محل للحوادث والتغيرات، فيخرج من حظيرة الوجوب الى مكانة الامكان، وحاشا الامامية، بل وسائر فرق الاسلام من هذه المقالة التي هي عين الجهالة، بل الضلالة. . .

أمّا البداء الذي تقول به الشيعة، والذي هو من أسرار آل محمّد صلّى الله عليـه وعليهم، وغامض علومهم. . فهو عبارة عن إظهار الله جلّ شأنه امراً يرسم في ألـواح المحـو والاثبـات، وربمـا يطلع عليه بعض المـلائكـة المقرّبين، أو أحد الانبياء والمرسلين، فيخبر الملك به النبي، والنبي يخبر به أُمتـه، ثمّ يقـع بعد ذلك خلافه، لانّه جلّ شأنه محاه وأوجد في الخارج غيره، وكـل ذلـك كان جلّت عظمتـه يعلمـه حق العلم، ولكن في علمـه المخزون المصون الذي لم يطلع عليه لا ملك مقرّب، ولا نبي مُرسَل، ولا ولي ممتحن.

---

(١) انظر أخي القارئ الكريم كيف ان هذا الامر الذي جاء به صاحب التصحيح لا يعدو إلاّ اجتـراراً لمـا سبق ان افتـراه السـابقون ممّن اعمتهم الاحقاد عن ادراك الحقائق فضاعوا وأضاعوا، واياك يا اخي ان تكون من الضائعين، حفظنا واياك من الزلل والخطل.

وهذا المقام من العلم هو المعبّر عنه في القرآن الكريم ﴿**بأُم الكتاب**﴾ المشار اليه والى المقام الاول بقوله تعالى ﴿**يَمحوا الله ما يَشاءُ ويُثبِت وَعندهُ أُمُّ الكتاب**﴾[١].

ولا يتوهم الضعيف أنّ هذا الإخفاء والإبداء يكون من قبيل الإغراء بالجهل، وبيان خلاف الواقع، فإنَّ فيه حكماً ومصالح تقصر عنها العقول، وتقف عندها الألباب.

وبالجملة: فالبداء في عالم التكوين كالنسخ في عالم التشريع، فكما أنَّ لنسخ الحكم وتبديله بحكم آخر مصالح وأسرار ـ بعضها غامض وبعضها ظاهر ـ فكذلك في الإخفاء والإبداء في عالم التكوين. . .[٢].

نعم إنّا هكذا نقول بالبداء لا كما يصوّره البعض أو يدعي انّه فهمه عن عقائد الشيعة ومعتقداتهم.

كما إنّا نعتقد ايضاً، وليس هذا الاعتقاد خاص بنا وحدنا، ان حياة البشر تتغير طردياً وعكسياً حسب أفعالهم وأعمالهم التي تصدر منهم، ولنا في ذلك أدلة شرعية وعقلية ثابتة متفق عليها.

ان صلة الارحام، والصدقات، والاحسان الى الآخرين، والمواظبة على جملة من العبادات التقرّبية، امثال الاستغفار، والتسبيح، والتهليل، وشكـر النعم التي أسبغها الباري جلّ اسمه على الناس، كل هذه أسباب مـؤثـرة في طول حياة الانسان، وزيادة الرزق، وطول العمر.

كما ان الكثير من الاعمال السيئة والمحرمة مدعاة لاضطراب وتدهور

---

(١) الرعد ١٣ : ٣٩.

(٢) اصل الشيعة واصولها: ١٤٨، نشر مؤسسة الاعلمي بيروت. الطبعة الرابعة/ ١٩٨٢.

حياة الانســان، وان كان البعض يغض النظر عن حقيقتها ووجودها، امثال عقـوق الوالدين، وقطيعة الرحم، والظلم، والفساد، وغيرها، حيث تظهر بوضــوح في نقصــان العمــر، وقلة الارزاق، وازدياد وتــلاحق الهمــوم والاضطرابات النفسية والبدنية.

لنقرأ آيات الكتاب الكريم ونتأمل بوضوح كيف ان الباري عز وجل قد قرن بجملة من النتائج اموراً محددة، يحصل عليها الانسان من خلال اتيانه بهـذه الامور المحددة، وما هذا الامر الا هو البداء الذي تقول به الشيعة وتتوسع من خلاله..

قال تبـارك وتعالى: ﴿**ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**﴾[1].

إذن: أهل القرى + الايمان والتقوى = بركات من السماء والارض.

أهل القرى + الكذب بآيات الله = العذاب الاليم.

وقـال جلّ اسمه: ﴿**استغفروا ربكم انه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً**﴾[2].

ومنهـا: النـاس + الإستغفار = هطول الامطار + التكاثر في المال والبنين والانعام.

وقال تعالى: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾[3].

وفيه: المؤمن + التقوى = الفرج + الرزق من حيث لا احتساب.

---

(١) الاعراف ٧: ٩٦.

(٢) نوح ٧١: ١٠ ـ ١٢.

(٣) الطلاق ٦٥: ٣.

وقال سبحانه : ﴿**ان الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم**﴾[١].

وفيها: نعمة الله على الانسان + الكفر والعصيان من الانسان = زوال النعمة.

نعمـة الله على الانسـان + الايمان والشكر من قبل الانسان = بقاء النعمة وزيادتها.

وقال تبارك وتعالى: ﴿**فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين**﴾[٢].

إذن: الغم والشدة + الدعاء والاستغفار = النجاة العاجلة من الغموم.

الغم والشدة + الإعراض عن الدعاء والاستغفار = البقاء في الغموم اكثر.

وقال تعالى: ﴿**وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد**﴾[٣].

وفيها: النعيم + الشكر = زيادة في النعيم.

النعيم + الكفر = زوال النعيم + العذاب الشديد.

والتأمل في هذه الآيات المباركة وغيرها يبيّن بوضوح ان الله تعالى قرن خرم الانسان لقدره بجملة من الاعمال التي يؤديها، سلباً أو ايجاباً، وبهذا نرى ان الله تعالى من خلال هذا المنظور الواضح قد فتح الباب ـ برحمته ـ على مصـراعيه أمام الانسان للتزود من الخيرات والمسابقة في أعمال البر ليقينه بوعد الله تعالى بالمجازاة في الدنيا والآخرة.

---

(١) الانفال ٨ : ٥٣.

(٢) الانبياء ٢١ : ٨٨.

(٣) ابراهيم ١٤ : ٧.

كما ان هناك الكثير من الاحاديث والروايات الصحيحة المروية من طرق الفريقين المؤكدة على ان الاستغفار يزيد في الرزق، وان الصدقة تدفع البلاء، وان الدعاء سبباً للشفاء، وان صلة الرحم تطيل في العمر وغير ذلك.

كما ان هناك جملة أُخرى تقابلها من تلك الاخبار المصرحة بأن قطيعة الرحم مقصرة للاعمار، وان العمل بالمنكرات مزيل للنعم، وغيرها فليراجع من ابتغى ذلك جميع المصادر الحديثية والتربوية.

بل ان هذا المذهب يتفق بوضوح مع قوله تعالى:

﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أُم الكتاب﴾[1] حيث ذهب المفسرون الى ما ذهبنا اليه من القول عند التأمل في ذلك:

١ ـ قال الفخر الرازي: ان في هذه الآية قولين:

القول الاول: إنّها عامة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ، قالوا: إنَّ الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول في الأجل، والسعادة والشقاوة، والايمان والكفر، وهو مذهب: عمر، وابن مسعود، والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرّعون الى الله تعالى في أن يجعلهم سعداء لا أشقياء، وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

القول الثاني: إنَّ هذه الآية خاصة في بعض الاشقياء دون البعض[2].

٢ ـ وأمّا ابن كثير فقد قال: ... ومعنى هذه الروايات [اي جملة من الروايات ذكرها سابقاً] ان الاقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الامام احمد عن ثوبان قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنَّ الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يُرد القدر

---

(١) الرعد ١٣ : ٣٩.

(٢) التفسير الكبير ١٠ : ٦٤.

إلاّ بالدعاء، ولا يزيد في العمر إلاّ البر»[١].

٣ ـ وقال الزمخشري: ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ ينسخ ما يستصوب نسخه، ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته، أو ينزله غير منسوخ

٤ ـ واما الطبري فقد كان موافقاً للآخرين في ذلك واورد قول عمر بن الخطاب وهو يطوف بالكعبة: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني على الذنب فامحني وأثبتني في أهل السعادة، فانّك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أُم الكتاب[٣].

اذن فانت ترى أخي القارئ الكريم ان القول بالبداء ليس مختصاً بالشيعة الامامية فحسب، بل هو من الاعتقادات العامة عند جميع المسلمين وإن تفاوتت المسميات والتفسيرات لها.

بلى نحن نقول بوضوح أنَّ هناك جانبين محددين ينبغي الالتفات اليهما لانهما محور الحديث:

الجانب الاول: ويمثل ما يسمى باللوح المحفوظ الذي اثبت فيه الله تبارك وتعالى جميع ما يطرأ على الانسان من سعادة وشقاء، وصحة ومرض، وغنى وفقر، وغير ذلك من طوارئ الحياة وأحداثها، وهي ثابتة لا تغيير فيه قيد انملة.

الجانب الثاني: وهو المعروف بلوح المحو والاثبات والذي أشار اليه قوله سبحانه وتعالى ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أُم الكتاب﴾ وحيث علّق سبحانه الوقائع المثبتة فيه على جملة شرائط زيادة ونقصاً بوقوعها أو وقوع ما ينافيها، ولعل من ذلك جملة الاخبار التي يخبر بها الانبياء، ويشيرون الى

---

(١) التفسير العظيم ٢: ٥٢٠.

(٢) الكشاف ٢: ١٦٩.

(٣) تفسير الطبري ١٣: ١١٢.

وقوعها ثم لا تقع، حيث أنّ الظاهر في ذلك كون ذلك النبي قد يطلع على الواقعة دون الاطلاع على شرطها أو على مانعها، فيحدث عند ذلك عدم التحقق، وفي المصادر المختلفة جملة واسعة من هذه الوقائع المعروفة فراجع.

واخيراً أقـول: إنَّ هذا المبحث المهم لا يمكننـا استيعابه في هذه الصفحـات المحددة والامكانيات القاصرة، وما اردنا من هذا الحديث إلّا الاشـارة العـابـرة، فإنَّ لعلمـائنـا الافـذاذ العـديد من المؤلفـات المسهبة والمستفيضة في شرح هذا الموضوع المهم، فليراجع من ابتغى الاستزادة، والله الموفق للصواب.

❊ ❊ ❊

الغلو

التصحيح: ولعل من أهم مواضيع الغلو:

١ ـ العصمة.

٢ ـ العلم اللدني.

٣ ـ الالهام.

٤ ـ المعاجز.

٥ ـ الإخبار بالغيب.

٦ ـ الكرامات.

٧ ـ تقبيل الأضرحة وطلب الحاجات.

تصحيح التصحيح:

لعل أي قارئ مثقف ـ يمتلك ولو قدراً محدوداً من الاطلاع علىٰ جملة معدودة من المباحث الفكرية والعقائدية لعموم المذاهب والفرق الإسلامية ـ سوف يستخف باسلوب هذا الرجل من الخلط الواضح للحقائق، ومحاولته المقصودة في التلاعب بالمفردات من خلال زوايا قد لا تعكس إلّا قدراً ضئيلاً مموّهاً عن حقيقة ما يتحدث عنه.

نعم، فهذا الرجل يريد أن يحمّل الشيعة ـ ظلماً وجوراً ـ بالكثير من

المدعيات والافتراءات، المشوهة عن صور لو عرضت بشكل سليم لما خالفها في ذلك مخالف، ومن ذلك ما يسمىٰ أو يعرف بالعصمة. فنحن نقول: ان الله تبارك وتعالىٰ هو صاحب الرسالات السماوية المتلاحقة، والتي اكتملت بالاسلام، وتحمّل الدعوة لهذهِ الرسالات المتكاملة، والصادرة عن الكمال المطلق، لابد أن تناط بمن هو أهل لها، وممثّل واضح لمضمونها، بل ولابد من توفّر جملة خاصة ومتميّزة من المؤهلات التي ينفرد بها اولئك الدعاة إلى الله تعالىٰ، والتي يتطلّبها أيضاً عظم الدور الذي سيترتب بالتالي عليه من خلال تصديه لهذا الأمر، والتي لا تستقيم قطعاً إلّا مع وجود العصمة في ذلك الرسول، لأنّه وكما أشرنا حلقة مترابطة مع المرسل الكامل، والرسالة الكاملة أيضاً.

فالرسالة التي جاء بها الرسول من قبل المرسِل تبارك وتعالىٰ هي رسالة متكاملة لا يمكن تخيّل وجود أي خلل فيها ـ وإن دقَّ وصغر ـ يمكن بالتالي أن يتخذ مولجاً للطعن تبعاً بجميع الرسالة لاحتمال وجود الخطأ فيها أيضاً، وهذا الأمر لا خلاف فيه قطعاً، طالما قطعنا بصدور هذهِ الرسالة من قِبَل الله تعالىٰ، وهو الكمال المطلق، تقابله بالتبع المنزلة العظيمة لحامل هذهِ الرسالة، وحيث يشكل وجود أي خلل في سيرته وعقيدته وأفعاله مدخلاً للتشكيك بجميع سيرته، بل وفي العقيدة التي تشكل سنّة هذا الرسول وأقواله امتداد حقيقي، وصنو ملازم للكتاب السماوي، وعلىٰ ذلك اتفاق عقلي ونقلي.

بلىٰ إنَّ المعصومين من البشر قد خلقهم الله تبارك وتعالىٰ، وأكملهم علماً وحلماً وورعاً وتقوىٰ، وفطنة وذكاءً، حيث أنّه ـ أي هذا الانسان المعصوم ـ يعلم علم اليقين أنّ المعصية موبقة تسقطه عما هو فيه من الكمال ومقام القرب إلى الله تعالىٰ والرفعة، فيمتنع بطبيعة الحال عن ارتكابها، مع

قدرته على الاتيان بها.

هذا فيما يختص بالجانب المتعلّق بالعصمة عن ارتكاب الذنوب والوقوع في المعصية، وأما الجانبين الآخرين؛ وهما العصمة في تبليغ الرسالة المكلّف بها، وكذا العصمة عن الوقوع في الخطأ عند قيامه بأداء الأفعال الفردية والاجتماعية، وكذا الشرعية أيضاً، فإن التأمل قليلاً في العديد من آيات الكتاب الكريم تظهر بوضوح عصمة النبي صلّى الله عليه وآله عن الوقوع فيها، بتسديد من قِبَل الله تعالىٰ حفظاً للارباكات التي قد تتخلل مسيرة الشريعة الاسلامية المباركة، ولقدحها في شخص الرسول الكريم الذي أراد الباري عزوجل منه أن يكون قدوة للعالمين، وأمرهم باتباعه:

﴿**لَقَد كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللهِ اُسوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[1].

قال جلَّ اسمه في سورة النساء: ﴿**اِنّا اَنزَلنَا اِلَيكَ الكِتابَ بِالحَقّ لِتحكُمَ بَينَ النّاسِ بِما اَراكَ اللهُ وَلا تَكُن لِلّخائِنِينَ خَصِيماً**﴾[2].

وقال بعدها في نفس السورة: ﴿**وَلَولا فَضلُ اللهِ عَلَيكَ وَرَحمَتُهُ لَهمّت طائِفةٌ مِنهُم اَن يُضِلُّوكَ وَما يُضِلُّونَ اِلاّ اَنفُسَهُم وَما يَضُرُّونَكَ مِن شَيءٍ وَاَنزَلَ اللهُ عَلَيكَ الكِتابَ وَالحِكمَةَ وَعَلَّمَكَ ما لَم تَكُن تَعلَمُ وكانَ فَضلُ اللهِ عَلَيكَ عَظيماً**﴾[3].

والمراجعة إلى كتب التفسير المختلفة تبين بوضوح عصمة النبي صلّى الله عليه وآله من الوقوع في الخطأ، والتسديد المباشر من قِبَل الله تعالىٰ له، وإلّا فلو أنّه صلّى الله عليه وآله حكم في هذهِ القضية خطأ ـ انخداعاً بمكر الطرف الآخرـ لترتب علىٰ ذلك جملة واسعة من الترديدات التي ينبغي أنْ

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٢١.

(٢) النساء ٤: ١٠٥.

(٣) النساء ٤: ١١٣.

لا تصيب الرسالة والرسول، وكذا هي الحال في غيرها من المواقف الأُخرىٰ المتصلة بالسيرة الذاتية للنبي صلّى الله عليه وآله لأنها ستكون بالتالي مبعث للاستهجان والاستخفاف، وهذا ما لا يليق بصاحب رسالة سماوية متكاملة؛ لأن الوقوع في الخطأ ـ حتىٰ وان قلّ ودق ـ منفذاً ـ لابد ان يتسع مع الأيام ـ للتشكيك في الكثير من الامور الأُخرىٰ، لأنَّ من يعهد منه الخطأ والزلل في مرة ـ مثلاً ـ لا منافاة من توقعها لمرات أُخر، ولا يخالفنا في ذلك صاحب عقل.

نعم، إنَّ العصمة ككل متكامل؛ لطف يفيضه الله تبارك وتعالىٰ علىٰ الانسان بحيث لا يجد معه داع إلى فعل المعصية ـ مع قدرته علىٰ ذلك ـ ولا إلى ترك الطاعة.

وتعـرف أيضـاً ـ اصـطلاحـاً ـ: بأنهـا قوة تمنع الانسان عن اقتراف المعصية، والوقوع في الخطأ.

ولتوضيح ذلك نضرب مثالاً مبسطاً علىٰ ذلك: فإنك عندمـا ترىٰ طفلاً ما، لا يدرك شيئاً، قد ارتقىٰ سطحاً عالياً، فإنّك لابد أن تخاف عليه من السقوط، وتستاء من الذي كان سبباً في وصوله إلى هذا المكان الخطير، والعكس من ذلك، فإنّك عنـدما ترىٰ مهندساً مثلاً، صاحب خبرة وعلم، قد ارتقىٰ هذا السطح ـ لأمر ما ـ فإنك لا تشعر بأي خوف عليه من جراء ذلك.

فالأول غير مكتمل الحواس، وقليل الفطنة والادراك والمعرفة، حين أنَّ الثاني له من الخبرة والمراس والمعرفة ما يعصمه عن الوقوع بنفس الخطأ الذي تتصاعد نسبة وقوع الأول فيه.

وهكذا تتجسد بوضوح النظرة العقلائية للعصمة، فإن الانسان إذا بلغ بنفسه حداً كبيراً من التقوىٰ والطهارة والتربية النفسية والاخلاقية، فإنه لا يجد في خبايا نفسه وجوانبها أي أثر لارتكاب المعصية، والوقوع في آثامها.

هذا إذا كان ذلك بشراً عادياً من عموم الناس، فكيف ترىٰ الحال مع النبي والله تعالىٰ معه ومسدده . . . ؟

بلىٰ ، إنّ هذا حقيقة نقـولـه ، وهو ينسحب علىٰ الأئمة عليهم السلام الذين شكلوا الامتداد الحقيقي للنبوة ، وهو ما سبق لنا أن تعرضنا إليه سابقاً ، فلا نعيد .

أماً لمـاذا هذا الاصرار علىٰ القول بالعصمة والتأكيد عليها من الشيعة ، فإنّ تنزيه الشيعة لساحة الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، دفـاعاً مخلصاً عن الشريعة المقدسة ، لا لشيء آخر.

وإلّا فمـاذا نفسـر قولـه تعـالىٰ : ﴿قُـل إن كُنتُم تُحِبُّـونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحبِبكُمُ اللهُ﴾[1] إذا كان هذا النبي معـرّض للخطأ وارتكاب المعصية؟! إلّا يعني ذلـك تنـاقضاً صريحاً مع الأمر باتباع الحقّ وحده دون غيره واجتناب الوقوع في الباطل والاشتباهات المؤدية إلى إرتكاب الذنوب .

ثم كيف يمكن الاعتماد علىٰ هذا النبي مع توقع إرتكابه للخطأ ، طالما إن هذا النبي يخوض بأصحابه مخاضات عسرة وشاقة ! !

فأسألك بالله أي غلو تقول به الشيعة ، هل تنزيه الأنبياء والرسالة غلو، أم ان الدفاع عن قدسيتهم غلو؟

إني أتـرك لك الحكم في هذا الأمـر، وادعـوك إلى مراجعة الكتب الشيعية المختصة التي اشبعت هذا الموضوع بحثاً ونقاشاً، وما أشرنا هنا إليه إلّا إشارة وتلميحاً .

وأمّـا العلم اللدني : فهـو العلم بالكثير من الاحـداث المـاضية

---

(١) آل عمران ٣ : ٣١ .

والمستقبلية، وهو لا يعني كما يتصوره البعض العلم الغيبي المتعلّق بالله تعالىٰ وحده، فذلك ما لا نقول به، ولن نقول به أبداً، بل أن ما نقول به: إنّ الله تبارك وتعالىٰ اطلع رسوله الكريم محمد صلّى الله عليه وآله علىٰ جملة واسعة من الاحداث المستقبلية ـ مثلاً ـ بواسطة جبرئيل عليه السلام، والرسول صلّى الله عليه وآله بدوره استودعها عند أوصيائه الذين تناقلوها واحد بعد واحد حتىٰ وصلت إلى الامام المهدي عليه السلام، ولا غرابة في ذلك، فقد قرأنا عن الكثير من ذلك في نهج البلاغة وغيره من الكتب الأُخرىٰ، ولعل مصحف علي وفاطمة عليهما السلام هو المخزن الأساسي لهذا العلم المكنون.

وأمّا الإلهام: فهو من الحواس الباطنية التي أودعها الله تبارك وتعالىٰ في الكثير من عباده الذين ارتضىٰ، ولنا علىٰ ذلك شواهد كثيرة، ألم يوحىٰ مثلاً إلى أُمّ موسىٰ عليه السلام بنص القرآن الكريم[1] وكذا إلى الحواريين[2] من أصحاب عيسىٰ عليه السلام، بل وإلى النحل[3] أيضاً، ثم ألم يذكر لنا القرآن مثلاً أنَّ هذا الأمر لا يتعلّق بالصالحين فقط بل يتجاوزهم إلى المفسدين واتباع الشياطين، حيث يوحون إليهم ما يشاؤون قال الله تبارك وتعالىٰ: **﴿إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى اَولِيائِهِم لِيُجادِلُوكُم﴾**[4].

إذن فماذا يمنع من القول بذلك والقرآن أول المصرّحين به، وهل هو من الغلو في شيء يا صاحب التصحيح!!

(١) قوله تعالىٰ في سورة القصص (٢٨ : ٧): **﴿وأوحينا إلى أُمّ موسىٰ ان ارضعيه﴾**.

(٢) قوله تعالىٰ في سورة المائدة (٥ : ١١١): **﴿وإذ أوحيتُ إلى الحواريين أن امنوا بي﴾**.

(٣) قوله تعالىٰ في سورة النحل (١٦ : ٦٨): **﴿وأوحىٰ ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً﴾**.

(٤) الأنعام ٦ : ١٢١.

وأمّا المعاجز: فإذا أراد الله تبارك وتعالىٰ ذلك فلا كلام، لأنّه لا يكون إلّا بإذنه لأنبيائه وأوصيائه، وكان موسىٰ عليه السلام وكذا عيسىٰ عليه السلام يأتيان بذلك، وكذا بعض أوصياء عيسىٰ عليه السلام وحوارييه، حيث كانوا يأتون بما يعجز عنه البشر، وما كلّ ذلك إلّا بإذن الله تعالىٰ، والقرآن يحكي ذلك بوضوح، فلا مناقشة.

وأمّا الأخبار بالغيب: فإنّ الأمر برمّته متعلّق بإذن الله تبارك وتعالىٰ، إذا أراد أن يطلع احداً من عباده علىٰ أُمور غيبية فلا مَرَدَّ لأمره ولا نقاش. قال جلّ اسمه: **﴿عَالِمُ الغَيبِ فَلا يُظهِرُ عَلى غَيبِهِ اَحَداً اِلّا مَنِ ارتَضىٰ مِن رَسُولٍ﴾**[1].

وأمّا الكرامات: فإنها إذا لم تخالف الكتاب والسنّة فشأنها شأن المعجزات، بل إنَّ الكرامات أخف وأسهل مؤنة من المعاجز كما هو معروف، وهي تصدر من أصحاب النفوس الزكية، المعرضين عن الدنيا وزخارفها، الداعين إلى الآخرة، والمنيبين إلى الله جلّ وعلا، المحبين لأوليائه والمبغضين لأعدائه . . . فأين أنت من كل هذا يا صاحب التصحيح!

وأما تقبيل الأضرحة وطلب الحاجات: فلا أظن إنّ الأمر بحاجة إلى زيادة توضيح لمن رفع الغشاوة عن عينيه، والغفوة عن عقله، فنحن لا نقبّل الأضرحة عبادة لها، واشراكاً له مع عبادة الواحد الأحد ـ معاذ الله تعالىٰ ـ

(١) الجن ٧٢: ٢٦ ـ ٢٧.

ولكنـا نقبّلها حباً ومودة لمن سكن فيها، ولا مانع هناك شرعي ولا عقلي، طالما أنّ هذهِ المودة لولي صالح من عباد الله المكرمين، ولأنّها بالتالي مودة واحتراماً لله ولرسوله، وكذا ما كان يروىٰ عن فعل الكثير من الصحابة لمنبر رسول الله صلّى الله عليه وآله وآثاره. فهل في ذلك غلو واشراك.

ثم إنّ المسلمين كثيراً ما يقبّلون القرآن عند قراءته، فهل يعني ذلك شيئاً مما تقوله، أو أنّهم يقبّلون جلد القرآن وغلافه ... لا والف لا، بل هم يجلّون القرآن ويكرمونه، مودة واجلالاً لك تبارك وتعالىٰ.

ثمّ إلّا يقبّل الأبناء أيدي آبائهم ـ مثلاً ـ والآباء أيدي أبنائهم الصغار، فهل يحمل ذلك على غير المودة والاحترام!!

ثم من قال لك ـ يا صاحب التصحيح ـ إنّـا نطلب الحـاجـات من صاحب القبـر، أو من الأحجـار والأخشـاب الموضوعة، من أين لك هذا الافتراء العظيم، والتجني الكبير ... وهل تجد عاقلاً يطلب الحاجة من ضريح أو حجر أو مدرا! إنَّ أفعال المشركين ـ التي تحاول قسراً ربط ما يقوم به الزائرون بها ـ قد انقضىٰ زمانها، وأكل الدهر عليها وشرب، ولا يمكن أن تنطلي علىٰ أحد، لأنّه منكر عند جميع المسلمين، وعند جميع العقلاء، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تنسحب أفعال بعض الجهلاء علىٰ أُمّة بأكملها.

إنّا عندما نتوجه لزيارة أحد أولياء الله الصالحين ـ كما فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله عندما توجه لزيارة شهداء اُحد، وفعل من بعده المسلمون من الصحابة والتابعين عند زيارتهم لقبره صلّى الله عليه وآله أو لقبر أحد أولياء الله الصالحين ـ فإنّا نعلم ما لهذا الانسان من الفضل والكرامة والجاه الكبير عند الله تعالىٰ، فما الضرر من أن يقدّمه الزائر بين يدي حاجته، ويجعله وسيلة إلى الله تعالىٰ في قضاء حاجته.

روىٰ الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن عثمان بن حنيف: أنّ

رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له، وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له ابن حنيف: أيت الميضاة فتوضأ، ثمّ ايت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: أللهم إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلّى الله عليه وآله، نبي الرحمة، يا محمد إنّي أتوجه بك إلى ربك فيقضي حاجتي. وتذكر حاجتك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثمّ أتىٰ باب عثمان بن عفان، فجاء البواب حتىٰ أخذه بيده فأدخله علىٰ عثمان، فأجلسه معه علىٰ الطنفسة وقال له: ما حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها عثمان . . .

ورویٰ ابن عساكر وغيره بسندهم عن محمد بن حرب الهلالي أنّه قال: أتيت قبر النبي صلّى الله عليه وآله فزرته وجلست بحذائه، فجاء أعرابي فزاره، ثمّ قال: يا خير الرسل، إنّ الله تعالىٰ أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿وَلَو اَنَّهُم اِذ ظَلَمُوا اَنفُسَهُم جاءُوكَ فَاستَغفَرُوا اللهَ وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَحِيماً﴾.

وقد جئتك مستغفرا من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي. وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالبقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف.

قال محمد بن حرب: فرقدت فرأيت النبي صلّى الله عليه وآله في نومي وهو يقول: إلحق الرجل وبشّره بأنّ الله قد غفر له بشفاعتي.

فاستيقظت فخرجت اطلبه فلم أجده.

نعم إننا ـ يا صاحب التصحيح ـ لم ولن نطلب حاجاتنا إلّا من الله تعالىٰ، ولكنّا نسأله عند زيارتنا لقبر أحد أوليائه المقرَّبين بالمنزلة التي لهذا الولي قضاء حوائجنا، ونعلم أنّ هذا الولي لا يضر ولا ينفع إلّا بإذن الله تبارك

وتعـالىٰ ، وأنّـه عبد من عبيد الله تعالىٰ ، وليس إله كما تحاول أنت وغيرك تصوير ذلك للغير، وتلك كتب علمائنا وفقهائنا تجدها صريحة واضحة في هذا الجـانب، وأنت قبـل غيرك تدرك هذا، فلا جدوىٰ من المغـالطة والمكابرة، والحقيقة أوضح من البيان.

ثمّ أين هي الأبواب الكريمة التي يقصدها المرء من أبواب أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهم باب كباب حطة في بني إسرائيل من دخل منها كان آمناً، وهم سفينة النجاة، وعدول القرآن، والنجوم التي يهتدىٰ بها . . .

نعم أن الشيعة لأهل بيت نبيّهم صلّى الله عليه وآله عاشقون، وبحبهم متيمون، بل متفانون، ولشفاعتهم يوم القيامة راجون، رغم ما قال أعداؤهم ويقولون . . .

❊ ❊ ❊

التصحيح بين الرفض والقبول

التصحيح (ص١٥٢): تصحيح الأفكـار الـدخيلة والآراء المهلكـة وغير السليمـة يفـرضهـا القرآن الكريم، وسنّة رسول الله (ص)، والعقـل، والفـطرة السلِيمـة، ولا شك أن المواعظ البالغة التي تُستمد من هذهِ الينابيع تستقطب القلوب الصافية، والنفوس المستعدة، وتُرشد أهلها إلى الحق أفواجاً.

تصـحيـح التصـحيـح:

نحن لا يمكننا أن نخالف هذا المنطق، ولا يخالفه أي مسلم عاقل صاحب وجدان وضمير حر، بل هو ديدن المصلحين والمحققين علىٰ طول التأريخ، وسيبقىٰ الأمل كذلك حتـىٰ يرث الله تعالىٰ الأرض ومن عليها، وهي مسؤولية شرعية، وأمانة يفترضها الفهم الصحيح للدور الرسالي للانسان المؤمن، وليست هي بلا شك مجـرد شعـارات ومزايـدات يرددها البعض جزافاً، أو مدخلاً للطعن بالآخـرين والتقوّل عليهم.

كما أنّ هذا الأمر لا يختص بجماعة دون أُخرىٰ، وبطائفة دون غيرها، وإذا كان صاحب التصحيح قد أجهد نفسه في تضمين كتابه هذا بالعديد من الاطروحات السقيمة، والتي مضىٰ علىٰ ردها وتفنيدها، وإثبات صواب ما ذهب إليه الشيعـة من التـعبّـد به، دهور طويلة، وحقب متلاحقة، وكان

إذكاء النيران فيها ممّا يثير الاستخفاف والأسىٰ في قلوب المخلصين من أبناء هذا الدين الواحد الذين جعلهم الله تعالىٰ اخواناً، وأمرهم تعالىٰ بالاعتصام بحبل الوحدة وعدم التفرّق، وهو ما كنّا ولازلنا نحرص عليه رغم كل ما قيل وما سيقال، لا نبتغي في ذلك سوىٰ وجه الله تعالىٰ لا غير ذلك، ونحمل في قلوبنا وداً ومحبة لاخواننا وأحبائنا، داعيهم إلى إعادة النظر في الكثير من المواقف والتصورات المبتنية علىٰ جملة الاطروحات الغريبة والمشبوهة التي ماانفكت تطالعنا بها ـ بين آونة وأُخرىٰ ـ جملة من الرموز الواضحة النوايا والارتباطات، والتي تشكل مع كل الأسىٰ انعكاس واقعي لجهل الكثير من مفكري طوائف المسلمين لحقيقة عقائد وأفكار الشيعة، بحيث يرتكز فهمهم لها علىٰ ما يصوره لهم الآخرين، من دون التأمل بالمراد الحقيقي لاولئك الكتّاب والمؤلفين، والدوافع التي دعتهم لتسطير وكتابة هذهِ الصفحات الباهتة، والسقيمة.

والغريب أنّ الكثير من أبناء الفرق الإسلامية الأُخرىٰ يرتّبون تصوراتهم واعتقاداتهم اعتماداً علىٰ ما يرسمه لهم اولئك الكتّاب عن الشيعة، دون الرجوع إلى مؤلفات ومصادر الشيعة للتأكد من صدق وصواب ما كتبه عنهم الآخرين، علىٰ الرغم من أنّ مؤلّفات الشيعة، وكتب عقائدهم بمتناول الجميع، وليست هي في بقاع نائية، أو بين أسلاك شائكة، بل وهم يحرصون دائماً علىٰ المبادرة إلىٰ تقديم هذهِ المؤلفات لمن يبتغي ذلك، دون تردد أو تلكأ . . . فلماذا هذا الاصرار علىٰ البقاء في حالة الجهل المرفوضة هذهِ . . . ؟! أنّها دعوة صادقة تصدر من قلوب مؤمنة بكلمة الحقّ، وموقف الصدق، والله من وراء القصد.

ثم إذا كان ديدن صاحب التصحيح ـ ومن لف لفه ـ التظاهر بالدعوة إلىٰ الاصلاح والتصحيح، وتوجيه الاسنة نحو صدر الشيعة دون غيرهم، فنحن

نطالبه بأن يقف ولو موقفاً منصفاً واحداً، ويشير بوضوح إلىٰ ما يدركه هو كما يدركه غيره من مواطن الخلل، والآراء السقيمة والمهلكة التي تطفح بها كتب الآخرين، والتي لابدّ ان يدرك المخلصون منهم في يوم من الأيام خطورة الاعتقاد بها، والتشبث في الدفاع عنها، والتي منها:

١ ـ القول بأنّ الله تبارك وتعالىٰ جسم محدود كما يشار إلىٰ ذلك في أكثر من موضع، مع أنّ العقل السليم والفطرة، والكثير من الأدلة الثابتة تحكم بأنّه جلّ اسمه هو الوجود المطلق، الجامع لجميع مظاهر الوجود، من العلم والقدرة والارادة، وأنّها صفات ذاتية، أي أن صفاته عين ذاته، أي عين الوجود المطلق، والوجود المطلق هو علمه وإرادته وقدرته وجود غير مسبوق بعدم، أي قديم أزلي، باق أبدي.

﴿هُوَ الأَوّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

نعم هذا ما نعارضه وهو ما يقول به القوم كما يروون في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَومَ يُكشَفُ عَن ساقٍ﴾[2] من أنّ الله جلّ وعلا يجلس يوم القيامة علىٰ كرسي ويكشف عن ساقه ويدخلها في جهنم ـ التي تأبىٰ الاكتفاء بمن ورد فيها ـ فتقول: قط قط . . . استغفر الله العظيم من هذا البهتان العظيم.

انّ كل ذلك ممّا افتراه أعداء الاسلام ونسبوه إلى النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله، ودوّنه القوم في كتبهم، واعتقد بصحته البسطاء من الناس، وما هو إلّا خروج واضح عن صورة الحق، وواقعه السليم.

ومن ذلك أيضاً ما رووه من تفسيرهم لقوله تبارك وتعالى: ﴿الرَّحمنُ عَلى العرشِ استَوىٰ﴾[3].

---

(١) الحديد ٥٧ : ٣.

(٢) القلم ٦٨ : ٤٢.

(٣) طه ٢٠ : ٥.

وقوله جلّ اسمه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[1].

وغير ذلك كثير.

٢ ـ القول بجواز الظلم علىٰ الله تعالىٰ، مع أنّ العقل والمنطق، والقرآن والسنّة، جميع ذلك يحكم بانتفاء ذلك عن الله تعالىٰ، وأنّه جلّ اسمه لا يفعل القبيح، وأنّه مطلق العدل ومنتهاه، وأنّه ليس بظلّام للعبيد ﴿إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ مِثقالَ ذَرَّةٍ﴾[2].

٣ ـ القول بجواز الخطأ علىٰ النبي صلّى الله عليه وآله، وتخطئته، بل ونسبة الهجر والهذيان إليه، وأنّ الشيطان أوحىٰ إليه بآيات شيطانية فقرأها صلّى الله عليه وآله وسجد لها، فتبعه المسلمون في السجود . . . و إلى الكثير من هذهِ الخرافات والمفتريات المشوِّهة لوجه الدين وصورته الناصعة النقية، والمسيئة إليه اساءه بالغة.

أقول: إنّا لا ولن نقف في خانة الأعداء قبال اخواننا في الدين، بل كنّا ولازلنا وسنبقىٰ دعاة للتقريب والتفاهم، وردم الصدع الذي أوجده ويوجده أعداء الدين وذوي النفوس المتهالكة علىٰ الترف الدنيوي الزائل، إلّا إنّا نطالب اخواننا بأن يأذنوا للناس بمطالعة التأريخ الاسلامي مطالعة تحقيق وتدقيق، وان لا يسلموا بحقيقة مايقرؤونه إلّا بعد التثبت من صوابه وصحته.

هذا وإن لا يقفوا سداً حائلاً أمام دخول الكتب الإسلامية ـ لإخوانهم في الدين ـ إلى بلادهم، ليقف الناس علىٰ حقيقة عقائد الآخرين مباشرة ودون وسائط، فيكثر الكذب والبهتان، ويكون من نتيجة ذلك ظلم طوائف كبيرة من المسلمين، وانخداع آخرين دون وعي منهم إلىٰ ذلك، وإن كانوا مقصّرين في الأمر وغير معذورين.

---

(١) الفجر ٨٩: ٢٢.

(٢) النساء ٤: ٤٠.

ثمّ إنّا نطالب إخواننا أن يضربوا علىٰ الأيدي التي تعمل دائبة علىٰ تحريف الكثير من الحقائق التأريخية الثابتة واسقاط ما تشتهيه منها بصلف واصرار وعناد، وخصوصاً في الطبعات اللاحقة، حيث يجد المرء مبلغ التحريف عند المراجعة والمقارنة بين الطبعتين، ومن ذلك ما روي من حديث يوم الدار في تفسير الآية المباركة الكريمة من قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ الأَقرَبِينَ﴾[1] حيث روي في تفسيرها: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال مشيراً إلى علي عليه السلام: «إنّ هذا أخي، ووصيي، وخليفتي من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا»[2].

نعم هذا الحديث يُعد من الأحاديث الصحيحة والثابتة التي نقلها المؤرخون لبداية البعثة النبوية المباركة، بل وعدّوها من معجزات النبي صلّى الله عليه وآله، ولكن مع ذلك فقد تعرّضت للتحريف والتغيير بأيدي البعض بصلف عجيب.

ومن ذلك ما قرأته في كتاب (حياة محمد صلّى الله عليه وآله) لمحمد حسنين هيكل، حيث أخرج الحديث بكامله في الطبعة الأُولىٰ (١٣٥١ هـ) وفي الصفحة (١٠٤) منه، إلّا أنّ الحديث في الطبعة الثانية والتي بعدها حذف منه قوله صلّى الله عليه وآله: «ووصيي وخليفتي من بعدي».

كما أنّ عين القول حذف من تفسير الطبري (ج١٩ ص١٢١) وأُبدل بعبارة: إنّ هذا أخي وكذا وكذا . . . مع أنّ الطبري ذكر الحديث أكمله من تأريخه الجزء الثاني الصفحة ٣١٩، فراجع

---

(١) الشعراء ٢٦: ٢١٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٣١٩، الكامل في التاريخ ٢: ٦٢، السيرة الحلبية ١: ٣١١، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٣٧١، تاريخ دمشق ١: ٨٥، تفسير الخازن ٣: ٣٧١، كنز العمال ١٥: ١٥.

كما إنّا نطالبهم أن ينصفونا فيما يروونه في صحاهم عن النواصب واعداء أهل البيت عليهم السلام، أمثال عمران بن حطّان ومروان بن الحكم وغيرهما، حين نراهم لا يروون في صحاحهم عن أهل البيت عليهم السلام، مع أنّهم عدول القرآن، وأحد الثقلين، ومستودع علم رسول الله صلّى الله عليه وآله.

هذا مع مطالبتنا لهم بإعادة النظر في كثير من الأُمور الدخيلة علىٰ الدين، والتي أوجدها أعداء بيت النبوة من الأمويين وغيرهم، حيث يظهر فسادها عند عرضها علىٰ النصوص الثابتة والصحيحة.

نعم إنّا لا نتشبث جهلاً بإتباع أهل البيت عليهم السلام، والانقياد إليهم، لانّا كغيرنا نعلم أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله أُمّته بإتباعهم، فلماذا نعرض عن الحق ونتبع غيره، كلا وألف كلا.

ثم ألم يروي الجميع عن رسول الله صلّى الله عليه وآله بأنّ علياً عليه السلام أعلم الناس من بعده.

بل وهو القائل صلّى الله عليه وآله في حقه عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

وأيضاً: «اعلمكم علي، وأتقاكم علي».

بل وعلي عليه السلام هو القائل: «كنت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله حضراً وسفراً وما نزلت آية إلّا أسمعنيها رسول الله صلّى الله عليه وآله، ودعا لي بحفظها، وما من حكم إلّا وأنا عالم به . . . ».

فبالله عليكم كيف نترك علوم أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم الصحيحة الثابتة، وهم عليهم السلام مصابيح الدجىٰ، ومنار الهداية، والنجوم التي يهتدي بها أهل الأرض في البر والبحر، والذين قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في حقهم أنّهم سفينة نوح من ركبها نجىٰ ومن تخلّف عنها

غرق وهلك وغوىٰ، بل وهم كباب حطّة بني إسرائيل . . . إلخ .

نعم هذهِ حالنا، لا خفاء فيها ولا تلبيس، وقلوبنا قبل مكتباتنا مشرعة لكل جهد مخلص، ونية صادقة للتعرّف علىٰ كل ما نعتقد به، ونتعبّد فيه، ونمد يداً صادقة للجميع، لا كذب فيها ولا رياء، عسىٰ أن يقطع دابر المتصيدين في المياه العكرة، والبرك الآسنة، وما التوفيق إلّا من عند الله العزيز الحكيم، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمدّ وعلى آله الطيبين الطاهرين .

فهرس الموضوعات

صـدر للمؤلِّف :

١ ـ العرفان (نهج خاص) من إصدارات مسجد زين العابدين عليه السلام/ الكويـت.

مؤلفات في الطريـق اليك :

١ ـ دراسة في الفقه الإسلامي.

٢ ـ مبحث في أصل التوحيد.

٣ ـ مبحث في أصل العــدل.

٤ ـ مبحث في أصل النبــوة.

٥ ـ مبحث في أصل الإمامة.

٦ ـ دراسة في علم التفسير.

٧ ـ دراسة في الفلسـفة.

٨ ـ السنّة النبوية دراسة وتحليل.

٩ ـ الاخلاق دراسة معاصرة.

١٠ ـ رسالة المرأة في القرن العشرين.

١١ ـ فلسفة الحج.

١٢ ـ من الجمعة الى الجمعة (سلسلة محاظرات المؤلف التي القاها في مسجد الإمام زين العابدين عليه السلام من خلال خطب الجمعة).